



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الإنفاق ونظائره في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

الباحث

عبد الله سليمان مصطفى أبو تليخ

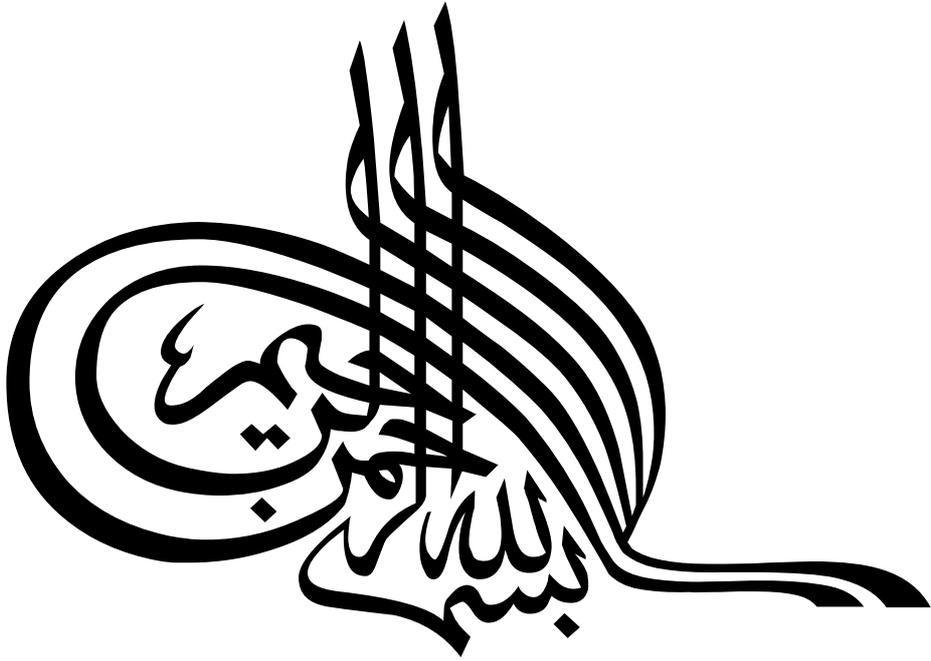
إشراف الدكتور

عبد الرحمن يوسف الجمل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير
وعلوم القرآن من كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

العام الجامعي

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ
حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(البقرة: آية ٢٦١)

﴿وَلَا تُنْفِقُوا نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا تُقِطُّوهُنَّ وَأَنْتُمْ بِأَلْسِنِكُمْ لِتَجْزِيَهُنَّ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(التوبة: آية ١٢١)

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَرِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا لَمْ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

(البقرة: آية ١١٠)

إهداء

- * إلى والدتي الغالية التي فارقتنا بجسدها في حين بقيت تعاليمها تحدونا إلى ارتياد كل جديد ، فعليها من الله فيض الرحمات.
- * إلى والدي الحبيب الذي علمنا بسلوكه قبل توجيهاته قول الحق مهما كانت التكلفة فله مني كل الحب والتقدير والاحترام.
- * إلى أسرتي اليافة من زوجة فاضلة أبت أن تطلق تنهيدة ارتياح حتى يكمل جهدها بنجاح، وأبناء وادعة في براءة واعدة بمستقبل أفضل.
- * إلى إختوتي وأختاتي .
- * إلى الليث الحبيس أحمد إبراهيم الفليت الذي لم يطق صبرا على رؤية قتلة الأحبة فسقاهم من نفس الكأس وقبل أن تجف الدماء، فأكرم به من وفاء نادر ، ورجولة فوق العادة.
- * إلى سلسلة الرجال الذين أحببتهم في الله وأحبوني.
- * إلى الأحياء عند ربهم شهداء الأمة الإسلامية الذين قدموا فتقدموا .
- * إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكر وتقدير

إنَّ أقلَّ ما يمليه الواجب كلمة شكر وتقدير، لمن كان لهم الفضل على خروج هذا العمل بهذه الصورة ، فاعترافاً بالفضل لأهل الفضل، أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير الخالص، إلى **أستاذي الفاضل الدكتور عبد الرحمن يوسف الجمل** - حفظه الله - الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، فكان منار سفينتي كلما أشكلت الدروب ، جاد عليّ بإرشاداته السديدة ، ونصائحه المفيدة ، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء .

كما أتوجه بشكري وتقديري إلى أستاذي الكريمين عضوي لجنة المناقشة

فضيلة الدكتور : زكريا إبراهيم الزميلي حفظه الله .

وفضيلة الدكتور : زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله .

حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة .

وأسجل شكري وامتناني لدوائر ثلاث:

الجامعة الإسلامية التي احتضنتني طالباً في البكالوريوس ، ثم طالباً في
الدبلوم وهاهي تقودني للمرة الثالثة في رحلة الماجستير فأسأل الله أن يحفظها منارة
للعلم، وإشعاعاً للخير .

الدراسات العليا وكلية أصول الدين بجميع العاملين فيهما الذين لهم فضل
عظيم على طلبة العلم الشرعي .

الهيئة التدريسية بمدرستي العباس بن عبد المطلب، ومعين بسيسو لما
قدموه من تسهيلات للتوفيق بين عملي لديهم ودراستي في الجامعة فكانوا دوماً
أخوة متعاونين مساندين، يطوعون كل صعب، ويذلون كل عقبة.

وأدخر شكراً خاصاً لثلاثة من الرجال تميزوا في عطائهم فأجد لزاماً عليّ

أن أفرد لهم شكراً خاصاً .

أخي الحبيب / صالح عبد ربه أبو خماش الذي ربت علي كتفي وأوماً برأسه
أن انطلق فحمل عني هموم العمل والبيت فمنحني التفرغ الذهني الذي أنشده .

الأخ المعطاء بلا حدود / محمود محمد فؤاد برغوث معلم التكنولوجيا
بمدرسة العباس بن عبد المطلب الذي وضع بين يدي ما منحته قدراته وعلومه من
تقنيات.

الأخ الغالي / خضر عبد الرحمن الأسطل مدرس اللغة العربية بمدرسة
العباس بن عبد المطلب سابقاً وبمدرسة القرارة الإعدادية المشتركة حالياً الذي أثرنى
على نفسه فمنحني من وقته الثمين فشرفني بمراجعتة اللغوية لرسالتي فمنحها بذلك
بصمة أعتزُّ بها.

سلسلة الخيرين الذين قدموا طويلاً ممتدة فلهم مني كل شكر وتقدير وامتنان .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل القرآن هداية - لا شك ولا ريب فيها - للمتقين الذين ذكر من صفاتهم بقوله سبحانه : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة : ٣) والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ﷺ أما بعد ...

تأملت قضية الصراع الأزلي بين آدم وذريته من جانب ، وإبليس وذريته من جانب آخر فوجدتها تتمثل في رغبة لدى آدم وبنيه في العودة إلى بيتهم الأول الجنة تواجهها محاولات جادة من إبليس ، وأتباعه للحيلولة دون تلك العودة ، وانقذح في ذهني أن العودة إلى ذلك البيت مرهونة بما يعتقد بنو آدم ، وبما يقدمونه ويبدلونه . ومن هنا فإنني أنظر إلى مسألة البذل والعطاء والإنفاق على أنها مسألة لها دورها في الوجود الإنساني تستحق دراسة جادة ، خصوصاً إذا تأملنا قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (المنافقون: ١٠) ، فإنه يتبين لنا أن أول مسألة يندم عليها الإنسان عند حضور الأجل ، ويتمنى أن يؤخر ويؤجل قبض روحه حتى يؤديها هي التصدق ، والإنفاق قبل غيرها من الأعمال الصالحة . من خلال هذا وذاك شعرت أن مسألة الإنفاق بحاجة إلى دراسة جادة - توضح أبعاد هذا الموضوع ، وتسبر غوره - نقف من خلالها على منهج القرآن في عرض هذا الموضوع بكافة أبعاده فعزمت على الكتابة فيه متوكلاً على الله ، معتمداً عليه ، وأسأله التوفيق .

أولاً : أسباب اختيار الموضوع :

تتمثل أسباب اختيار الموضوع في النقاط التالية :

- ١ - الإنفاق مسألة لها أهميتها في حياة الإنسان ، فكل ما هو مطلوب من الإنسان من تكاليف والتزامات الفيصل فيها مدى ما ينفقه الإنسان سواء كان جهداً بديناً ، أو عطاءً مادياً .
- ٢ - الإنفاق هو القضية الأولى التي يندم عليها الإنسان لتفريطه فيها ، ويتمنى العودة إلى الدنيا ليستزيد منها .
- ٣ - خلق الإنسان للاختبار والابتلاء في هذه الدنيا ، وإن من أسباب نجاحه ، ومن دواعي فشله في هذا الاختبار مقدار ما يقدمه ، ويبدله ، وينفقه .
- ٤ - وجود ما يزيد على ستمائة لفظة ^(١) تتعلق بموضوع الإنفاق ونظائره ، وردت خلال ما يزيد على خمسمائة آية مما يدعو إلى بحثه في رسالة علمية .

(1) بيان السور والآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ في متن الرسالة ، الباب الأول ص ١٢-١٥ ، ص ٢٠ ،

وهذه قائمة بنظائر الإنفاق الواردة في القرآن :

الأداء	التقديم	العطاء
القرض	التصدق	الوهب أو الهبة
الإيتاء	الإكرام	الإطعام
البسط	الزكاة	القربان

ثانياً : أهمية هذا الموضوع :

تبرز أهمية موضوع الإنفاق من عدة جوانب.
أ- المتأمل في معالجة القرآن لموضوع الإنفاق ؛ يجد أنه اهتم بعرضه وتفصيله، وأكثر من ذكره وبينه بأساليب عدة ومن ذلك:

- ١- الأمر الصريح المباشر من الله بالإنفاق والبذل.
 - ٢- التحذير من مغبة عدم الإنفاق ، ومن عاقبة البخل ، والشح.
 - ٣- التحذير من مجرد التردد في مسائل الإنفاق ، وأن الأصل المبادرة إلى الإنفاق ، واستغلال أي فرصة تتوفر للإنفاق.
 - ٤- بيان فضل الإنفاق ، فهو يبارك في الأصل الذي كان منه الإنفاق، ويعود بالخير على المنفق في الدنيا والآخرة ، ولا يضيع عند الله.
 - ٥- ربط الله بين الإنفاق ، وبين قضايا العقيدة ، وقضايا العبادات ، وخصوصاً الصلاة مما يدل على أهميته ، وعظيم أثره في تركية النفوس.
- كل هذه القضايا لتؤكد على أهمية هذا الموضوع ، وتستدعي الجمع والتفصيل في دراسة علمية هادفة.

ب- أما إذا نظرنا إلى الإنفاق من خلال حقيقته ، وجوهره ، وما يتضمنه من فرعيات ، وما يعالجه من قضايا عديدة تدرج في ثناياه ، فإننا سنجد طائفة من الأمور التي تستدعي وقفه ، بل وقفات لبيانها مما يؤكد أهمية هذا الموضوع ، وضرورة تناوله بالبحث لما له من أثر على السلوك الإنساني اليومي ، ومن هذه الأمور :

- ١- ضرورة التمييز بين الإنفاق المقبول والإنفاق غير المقبول ، فقد ينفق الإنسان ويبذل ، ولكن هذا الإنفاق ، وذاك البذل مردود على صاحبه ، إما لأن عنصر الإخلاص لم يتوفر ، أو لأن صاحبه أتبعه باليمن والأذى ، ولا يخفى أنه من الضروري إثارة هذه المسائل حتى يدرك الإنسان أين يحسب إنفاقه.

٢- الكل ينفق في سبيل مصالحه صالحة كانت أو سيئة ولا يخفى ضرورة أن يدرك الإنسان هذه المعاني لما تولده في النفس من قضايا منها :

- § أن يبذل في سبيل مبدئه الخير طالما أن الشرير لا يتوانى في البذل.
- § أن يجد الإنسان تفسيراً لسلوك بعض الأشرار الذين يقدمون أموالهم في سبيل الشر.

٣- هناك إنفاق يحدث تحت الإكراه ، وهناك من ينفق تدفعه الرغبة ، وبين هذا وذاك مسائل عديدة من الرغبة في الإنفاق مع عدم القدرة عليه ، والسؤال عن الإنفاق ، والمجادلة فيه ، وكلها مسائل جديرة بالدراسة والبحث.

ثالثاً : الأهداف التي يحققها هذا البحث :

- ١- الوقوف على أسلوب القرآن الكريم في معالجة قضية الإنفاق ونظائره.
- ٢- تقديم موضوع الإنفاق بشكل يظهر لنا الوحدة الموضوعية المتكاملة من خلال جمع أطراف الموضوع ، وعرضها عرضاً متكاملاً.
- ٣- بيان دور الإنفاق ، وأثره في إصلاح النفس البشرية ، والسمو بها عن جواذب الأرض التي يولدها البخل والشح.
- ٤- بيان دور الإنفاق في إصلاح المجتمعات ، والرقى بها ، والقضاء على الآلام ، وتحقيق الآمال على مستوى الإنسانية جمعاء.

رابعاً : الدراسات السابقة :

من خلال الرجوع إلى مكتبة الجامعة الإسلامية للوقوف على ما كتب في موضوع الإنفاق.

ومن خلال الإطلاع على قاعدة معلومات الرسائل الجامعية ، مركز الملك فيصل بالرياض الموجود لدى مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة.

وبعد مراسلة مركز الملك فيصل واستقبال ردهم تبين لي أنه توجد ثلاث دراسات لها علاقة بموضوع البحث.

وبالتأمل في هذه الدراسات الثلاث المدرجة في القائمة التالية التي تبين عناوينها ، وبعض ما يتعلق بها :

عنوان الرسالة	اسم الباحث	الجامعة/ الكلية	مستوى الرسالة	تاريخ المناقشة
المال وكسبه وإنفاقه في ضوء الكتاب والسنة	حسنين بن حسنين فلمبان	أم القرى-الشرعية والدراسات الإسلامية.	دكتوراه	١٤٠٣ هـ
وجوه كسب المال وإنفاقه في القرآن الكريم.	أبو اليزيد أحمد حمادة	الأزهر-أصول الدين.	---	---
إنفاق المال في وجوهه المستحقة كما يصورها القرآن الكريم	هارون كامل الحاج محمود الشرباتي	الأزهر-أصول الدين.	ماجستير	١٩٨١ م

أقول : يتبين أن علاقتها بموضوع البحث علاقة جزئية ، وهذا بيان ذلك :

- ١- الدراسات الثلاث تتحدث عن المال فقط سواءً كسبه وإنفاقه كما في الدراسة الأولى والثانية أو إنفاقه فقط كما في الدراسة الثالثة ، في حين موضوع البحث يتحدث عن الإنفاق في كافة ميادينها ، إنفاق المال ، وإنفاق الجهد ، وإنفاق الوقت ، وإنفاق الجسد.

- ٢- تتحدث الدراسات الثلاث عن إنفاق المال في وجوهه المستحقة في حين يتحدث موضوع البحث عن الإنفاق سواء كان في وجه شرعي أو غير شرعي ، متضمناً معنى الإنفاق في سبيل الله ، وفي الصد عن سبيل الله.
- ٣- تتحدث الدراسات الثلاث عن إنفاق البشر للمال في حين يتحدث موضوع البحث عن الإنفاق ، أياً كان المنفق خالقاً كما قال سبحانه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (المائدة: ٦٤) أو كان المنفق مخلوقاً.
- ٤- تتحدث الدراسة الأولى عن كسب المال وإنفاقه في ضوء الكتاب والسنة ، في حين يتحدث موضوع البحث عن الإنفاق في القرآن الكريم.
- ٥- تتحدث الدراسات الثلاث عن الإنفاق ، وإنفاق المال فقط ، في حين يتحدث موضوع البحث عن الإنفاق ، ونظائره في القرآن الكريم.
- ٦- بالإمكان الأخذ في الاعتبار المدة الزمنية التي مرت على مناقشة هذه الدراسات ، والتي تزيد على عشرين عاماً في الدراسة الأولى والثالثة.

خامساً : منهج البحث :

- ١- جمعت الآيات المتعلقة بموضوع البحث .
- ٢- وضعت عناوين للآيات التي تتناولها الدراسة ، وجمعت الآيات ذات العناوين المناسبة ، تمهيداً لتصنيفها.
- ٣- قسمت الموضوع إلى عناصر مترابطة على ضوء الآيات ، والعناوين الموضوعية لها.
- ٤- رجعت إلى أمهات كتب اللغة للوقوف على معاني الإنفاق ، ونظائره ، ودلالاتها اللغوية.
- ٥- اعتمدت على أمهات كتب التفسير للوقوف على معاني الآيات.
- ٦- ذكرت سبب نزول الآية ، وكذلك مكيتها أو مدنيها ، وما يترتب على ذلك من دلالات كلما لزم الأمر.
- ٧- اعتمدت إلقاء الضوء على مناسبة الآية بما قبلها ، وبما بعدها ، وكذلك علاقتها بالسورة التي وردت فيها ؛ ما رأيت ذلك ضرورياً في إبراز المعنى المراد.
- ٨- عمدت إلى استخلاص الدلالات التي تبرزها الآيات ، وبيان دورها في تحقيق مقاصد القرآن وأهدافه ؛ قدر اجتهادي.
- ٩- ضبطت الآيات ووثقتها في الحاشية ، ثم في نهاية البحث.

- ١٠- حرصت على أن أؤكد المعاني الأساسية بأحاديث نبوية معتمداً في ذلك على صحيح البخاري ومسلم ، وما جاء في البحث من غيرهما- ولم يأت غير حديث واحد- حرصت على تخريجها ، وبيان حكم العلماء عليها .
- ١١- ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في متن البحث من المراجع المختصة ؛ كلما لزم الأمر ، وذلك عند وروده أول مرة ، ثم أفردت لها فهرساً في آخر البحث للرجوع إليه عند الحاجة.
- ١٢- أعددت فهرس خاصة بكل من الآيات ، والأحاديث ، والمراجع ، والمواضيع حسب الأصول .

سادساً : خطة البحث :

تحقيقاً للأهداف المرجوة من هذا البحث ، وعلى ضوء المنهجية السابقة جعلت بحثي من مقدمة ، وأبواب أربعة ، وخاتمة ، كما يلي :

* المقدمة : وتتضمن النقاط الآتية

- § أسباب اختيار الموضوع.
- § أهمية الموضوع.
- § أهداف البحث.
- § الدراسات السابقة.
- § منهج البحث.

الباب الأول : الإنفاق ونظائره تعريفاً وألفاظاً . وفيه فصلان
الفصل الأول : مفهوم الإنفاق ومشتقاته في القرآن الكريم . وفيه مبحثان
المبحث الأول : تعريف الإنفاق في اللغة والاصطلاح.
المبحث الثاني : مشتقات الإنفاق الواردة في القرآن.
الفصل الثاني : نظائر الإنفاق الواردة في القرآن . وفيه مبحثان
المبحث الأول : نظائر الإنفاق المعنى والاشتقاق.
المبحث الثاني : العلاقة بين الإنفاق ونظائره.

الباب الثاني : الإنفاق غايته ، أصنافه وأحكامه ، حالاته وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول : المنفق وغايته . وفيه مبحثان
المبحث الأول : المنفق . وفيه مطلبان
المطلب الأول : إنفاق الخالق.

- المطلب الثاني : إنفاق المخلوق.**
المبحث الثاني : غايات الإنفاق. وفيه ثلاثة مطالب
المطلب الأول : الإنفاق في مصالح الدنيا.
المطلب الثاني : الإنفاق من أجل المبادئ الفاضلة.
المطلب الثالث : الإنفاق من أجل المبادئ الضالة.
الفصل الثاني : أصناف الإنفاق وأحكامه. وفيه أربعة مباحث
المبحث الأول : الإنفاق المطلق.
المبحث الثاني : إنفاق المال.
المبحث الثالث : بدائل الإنفاق. وفيه ثلاثة مطالب
المطلب الأول : إنفاق النفس.
المطلب الثاني : إنفاق الوقت.
المطلب الثالث : إنفاق الجهد.
المبحث الرابع : أحكام الإنفاق.
الفصل الثالث : حالات الإنفاق. وفيه أربعة مباحث
المبحث الأول : إنفاق السر والعلن.
المبحث الثاني : إنفاق السراء والضراء.
المبحث الثالث : إنفاق الطيب والخبيث.
المبحث الرابع : أولويات الإنفاق.

- الباب الثالث : منهج القرآن الكريم في الحث على الإنفاق وفيه أربعة فصول**
الفصل الأول : الأمر بالإنفاق. وفيه أربعة مباحث
المبحث الأول : الأمر المباشر بالإنفاق.
المبحث الثاني : التحذير من عدم الإنفاق.
المبحث الثالث : الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق.
المبحث الرابع : عدم وجود المانع من الإنفاق.
الفصل الثاني : فضائل الإنفاق. وفيه أربعة مباحث
المبحث الأول : الإنفاق يبارك في الأصل.
المبحث الثاني : الإنفاق يعود بالخير على الإنسان.
المبحث الثالث : عدم ضياع الإنفاق.
المبحث الرابع : الإنفاق مظهر مميز للمسلمين.
الفصل الثالث : الربط بين الإنفاق وقضايا الإيمان والعبادات وفيه ثلاثة مباحث
المبحث الأول : ارتباط الإنفاق بالإيمان.
المبحث الثاني : ارتباط الإنفاق بالعبادات عموماً.
المبحث الثالث : ارتباط الإنفاق بالصلاة خصوصاً.
الفصل الرابع : الحث على الإنفاق بضرب الأمثال وذكر القصص وفيه مبحثان
المبحث الأول : الحث على الإنفاق بضرب الأمثال.

المبحث الثاني : الحث على الإنفاق بذكر القصص.

الباب الرابع : الإنفاق في ميزان الله وأثر ذلك على السلوك الإنساني.

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : الإنفاق بين القبول والرد وفيه مبحثان

المبحث الأول : شروط قبول الإنفاق.

المبحث الثاني : أشكال من الإنفاق المردود.

الفصل الثاني : الإنفاق بين الرغبة والإكراه وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الرغبة في الإنفاق مع عدم القدرة عليه.

المبحث الثاني : الإكراه على الإنفاق.

المبحث الثالث : الاعتدال في الإنفاق.

الفصل الثالث : أثر الإنفاق على الإنسان والمجتمع وفيه مبحثان

المبحث الأول : أثر الإنفاق على المنفق.

المبحث الثاني : أثر الإنفاق على المجتمع.

الخاتمة : وفيها إيجاز البحث وذكر أهم النتائج التي توصل إليها والتوصيات.

والله من وراء القصر... والله ولي التوفيق

الباب الأول الإِنْفَاقُ ونظائره تعريفاً وألفاظاً

الفصل الأول : مفهوم الإِنْفَاق ومشتقاته في القرآن الكريم.
الفصل الثاني : نظائر الإِنْفَاق الواردة في القرآن .

الفصل الأول مفهوم الإنفاق ومشتقاته في القرآن الكريم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف الإنفاق في اللغة والاصطلاح.
المبحث الثاني : مشتقات الإنفاق الواردة في القرآن.

المبحث الأول تعريف الإنفاق في اللغة والاصطلاح

أولاً : الإنفاق في اللغة :

جاء الإنفاق في كتب اللغة في إطار الجذر "نَفَقَ" ، وقد أورد أهل اللغة معاني لغوية عدة له ، فذكر ابن فارس ^(٢) في معجمه أن "النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ، والآخر على إخفاء شيء

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو حسين ، من أئمة اللغة والأدب ، أصله من قزوين ، وأقام مدة في همدان ، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها ، وإليها نسبته ، توفي سنة ٣٩٥هـ ، انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط١٣ ، ١٩٩٨ ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

وإغماضه " (٣) ، وأضاف الفيروزآبادي (٤) معنى مقارباً فقال: "وعلى مضي شيء ونفاده" (٥) ، وإلى هذين الأصلين أو الثلاثة - باعتبار إضافة الفيروزآبادي - تعود معاني الجذر "نَفَقَ" ، وهذا بيانها:

الأصل الأول : "نَفَقَ" بمعنى الانقطاع والذهاب، ويقاربه المضي والنفاد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأْمَسْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ (الإسراء: ١٠٠) أي: خشية الفناء والنفاد، وهذا الانقطاع والذهاب؛ أو المضي والنفاد يكون بعدة أمور:

١. **النقصان الطبيعي للأشياء مثل:** نقصان الأموال والدراهم والطعام وسائر الأشياء؛ بسبب استهلاكها، نحو " نَفَقَ ماله ودرهمه وطعامه ... نقص وقلّ، وقيل فني وذهب " (٦) ، ومنه "نَفَقَ الشيء: نَفِدَ يقال: نَفَقَ الزاد، ونَفَقَتِ الدراهم " (٧) ، "نَفَقَتِ الدراهم نَفَقًا ... نفدت " (٨) .

٢. **الموت :** وهو على وجه المجاز ، ومنه موت المخلوقات ، نحو " نَفَقَ الرجل وكذا الدابة كالفرس والبغل وسائر البهائم ، ينفق نفوقاً بالضم : ماتا " (٩) ، "ونَفَقَتِ الدابة نُفُوقًا : ماتت " (١٠) .

(3) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ .

(4) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد بكارزين من أعمال شيراز ... وارتحل إلى زبيد ... وتوفي فيها سنة ٨١٧هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، ج ٧ ، ص ١٤٦ .

(5) بصائر ذوي التمييز لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق الأستاذ عبد الحلیم الطحاوي ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(6) لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(7) المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، طهران ، ج ٢ ، ص ٩٥٠ .

(8) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، صححه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية مصطفى السقا ، دار الفكر ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(9) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ج ٧ ، ص ٧٩ .

(10) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، سعدي أبو جيب ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٨م ، ص ٣٥٧ .

٣. **الرواج** : أي رواج السلع بشكل خاص، ورواج السوق بشكل عام، وكذلك كثرة الخطاب للمرأة، وهذا بيان ذلك :

- رواج السلع: "نَفَقَ البَيْعَ نَفَاقًا: راج، ونَفَقَتِ السلعة: تَنَفَّقَ نَفَاقًا - بالفتح - غلت ورغب فيها ، وأنفَقَهَا هو ونَفَقَهَا، وفي حديث الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، قال رسول الله ﷺ: (المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)^(١١)، المنفق - بالتشديد - من النفاق، وهو ضد الكساد "^(١٢)، ولعل رواج السلع؛ لأنها قلت في السوق، فكثرت الطلب عليها فراجت، وهذا ما يجعل الرواج يلتقي بالأصل الأول ، أي المضي والنفاذ ، " وكذلك السلعة تنفق إذا غلت ورغب فيها، ونفق الدرهم نفاقاً كذلك ... كأنه قل فرغب فيه " ^(١٣) .
 - رواج السوق: والمقصود قيامها وانعقادها، نحو " أنفق القوم، ونفقت سوقهم، أي: راجت " ^(١٤) ، " ونَفَقَتِ السوق قامت " ^(١٥) .
 - رواج النساء: أي كثرة الخطاب لهن نحو: "نفقت الأيم تنفق نفاقاً إذا كثرت خطابها" ^(١٦) ، و"النَّفَقُ من النساء التي تَنَفَّقُ عند الرجال فتحظى عندهم " ^(١٧) .
- ٤- **الانتشار** : كأنَّ الشيءَ تنائر فقل وذهب، وجاء هذا التعبير في أوبار الإبل، وتقشر الجروح، نحو: " أنفقت الإبل: إذا انتشرت ... أوبارها سمناً، أي: عن سمن " ^(١٨) ، وفي لسان العرب: "أنفقت الإبل؛ إذا انتشرت أوبارها عن سمن، أي: نُسِلتْ أوبارها من السمن " ^(١٩) .

(11) صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦-٢٦١ ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، كتاب الإيمان ، باب رقم ٤٦ ، بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف ، حديث رقم ١٠٦ ص ٦٨ .

(12) انظر لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ .

(13) تاج العروس للزبيدي ، ج ٩ ، ص ٧٩ .

(14) تاج العروس للزبيدي ، ج ٩ ، ص ٧٩ .

(15) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت شارع سوريا ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ١١٩٥ .

(16) لسان العرب لابن منظور ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٨ .

(17) المحيط في اللغة ، كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عباد ، ٣٢٦هـ - ٣٨٥هـ ، تحقيق الشيخ محمد حسن الياسين ، عالم الكتب ، بيروت ، المزرعة بناية الإمام ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ٥ ، ص ٤٤٤ .

(18) تاج العروس للزبيدي ، ج ٩ ، ص ٧٩ .

(19) انظر : لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

هذا عن أوبار الإبل، أما عن الجروح، فقد قالوا: " نَفَقَ الجرح: تقشر " (٢٠) ،
و"نَفَقَ الجرح ؛ إذا تقشر " (٢١) .

وخلاصة القول: إن المعاني السابقة جميعها تعود إلى أصل واحد؛ فيه معنى
الانقطاع والذهاب، أو المضي والنفاد.

الأصل الثاني: "نفق" بمعنى: الإخفاء والإغماض:

وجاء عن هذا الأصل معنيان: النَفَقَ والنَّفَقَ ، والأول سبب تسمية الثاني
، والنفق هو: " سَرَبَ في الأرض له مخلص إلى مكان آخر " (٢٢) ، ومنه قوله
تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتِطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ٣٥) ،
وواضح أن النفق يصلح للاختفاء، أو أن من يدخله يختفي، ومن هذه المعاني جاءت
تسمية المنافق منافقاً ، ذلك أن "لتسمية المنافق منافقاً ثلاثة أقوال، أحدها: أنه
سمي به؛ لأنه يستر كفره ويغيبه، فشبهه بالذي يدخل النفق - وهو السرب - يستتر فيه.
والثاني: أنه نافق كاليربوع (٢٣) ، فشبه به ؛ لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه
الذي دخل فيه. والثالث: أنه سمي به لإظهاره غير ما يضمّر؛ تشبيهاً لليربوع ،
فكذلك المنافق ، ظاهره إيمان ، وباطنه كفر" (٢٤) . وقد ذكر ابن فارس في
معجم مقاييس اللغة أنه "يمكن جمع الأصلين في أصل واحد وهو الخروج" (٢٥) ،
أي أن ذهاب الأشياء وانقطاعها ومضيها ونفادها ؛ يكون بخروجها من يد صاحبها
مثلاً، وكذلك النفق الذي يؤدي إلى مخرج آخر ، والنفق الذي هو دخول في
الإيمان وخروج منه في نفس الوقت .

وختاماً للحديث في هذه المسألة يسوق الباحث الاشتقاق اللفظي لكلمتي
"الإنفاق والنَّفَقَة".

١- **الإنفاق:** مصدر الفعل الرباعي "أنفق"، زيدت به الهمزة على الأصل "نفق" ؛
للدلالة على توفر الصفة في الفعل ، " فالإنفاق - بكسر الهمزة - مصدر
أنفق" (٢٦) .

٢- **النَّفَقَة:** اسم لما ينفق ، وهي بمعنى الإخراج ، " وجمعها: "نِفاق" - مثل :
رَقَبَة رِقَاب - و"نفقات" على لفظ الواحدة " (٢٧) .

(20) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، سعدي أبو جيب ، ص ٣٥٧ .

(21) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٣٦٠ .

(22) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، ٢٨٢هـ-٣٧٠هـ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام
هارون ، مراجعة الأستاذ محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ج ٩ ، ص ١٩٢ .

(23) اليربوع: دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه و أذناه أطول منها ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة و الجمع
يَرَابِيعُ والعامة تقول " جَرَبُوعُ " بالجيم ويطلق على الذكر والأنثى ، انظر المصباح المنير للرافعي ، مادة
ربع ، ج ١ ص ٢٣٢ .

(24) تاج العروس للزبيدي ، ج ٩ ، ص ٧٩ .

(25) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مج ٥ ، ص ٤٥٥ .

(26) انظر : معجم لغة الفقهاء ، وضع أ.د. محمد رواس قلعه جي ، د. حامد صادق قنبيبي ، دار النفائس ،

ط ١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص ٩٣ .

ثانياً : الإنفاق في الاصطلاح :

أورد العلماء تعريفات عدة متقاربة للإنفاق والنفقة، بينها بعض التفاوت:
الأول : ذكر المناوي^(٢٨) في التوقيف : النفقة "شرعاً ما يلزم المرء صرفه لمن عليه مؤنته من زوجته أو قنّه^(٢٩) أو دابته"^(٣٠) ، وعرّف الإنفاق بأنه : "صرف المال في الحاجة"^(٣١) .

الثاني : جاء في معجم لغة الفقهاء : "الإنفاق: صرف المال في الحاجات الضرورية وغيرها، ومنه: إنفاق الزوج على زوجته"^(٣٢) . أما النفقة فهي : "ما ينفق من الدراهم وغيرها، وما يجب من المال لتأمين الضرورات للبقاء"^(٣٣) .

الثالث : وذكر الفيروزآبادي : "النفقة: ما تنفقه من الدراهم ونحوها"^(٣٤) ، وإلى هذا الفهم مال الأصفهاني^(٣٥) ، فذكر " أن الإنفاق قد يكون في المال وفي غيره، وقد يكون واجباً وتطوعاً"^(٣٦) .

الرابع : وفي تهذيب اللغة للأزهري^(٣٧) قال : "النفقة: ما أنفقت واستنفقت على العيال وعلى نفسك"^(٣٨) .

(27) المصباح المنير ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(28) محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، الحدادي ، المناوي القاهري ، عاش في القاهرة ، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، ج ٦ ، ص ٢٠٤ .

(29) القنُ : الغلام الذي ولد عندك ولا تستطيع إخرجه عنك ، القاموس المحيط ، مادة قنن ، ص ١٥٨٢ .

(30) التوقيف على مهمات التعريف ، تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط ١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص ٧٠٨ .

(31) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(32) معجم لغة الفقهاء لقلعه جي ، ص ٩٣ .

(33) المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

(34) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .

(35) الحسين بن محمد المفضل أبو القاسم الأصفهاني ، (أو الأصبهاني) ، المعروف بالراغب ، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان ، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي ، توفي سنة ٥٠٢هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(36) مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف أبو القاسم الحسين بن محمد المفضل ، العلامة الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) ، تحقيق صفوان عدنان داودي دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٨١٩ .

(37) العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهر الهروي ، اللغوي الشافعي ، ارتحل في طلب العلم ، وكان رأساً في اللغة والفقهاء ، ثقة ثبتاً دينياً ، مات سنة ٣٧٠هـ ، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١

١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(38) تهذيب اللغة للأزهري ، ج ٩ ، ص ١٩٢ .

الخامس : وفصل سعدى أبو جيب^(٣٩) القول فى النفقة والإففاق فى القاموس الفقهى فقال: "الإففاق: بذل المال ونحوه، والإففاق: الفقر والإملاق"^(٤٠) ، واستدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠) ، وقال : الإففاق : "عبارة عن صرف المال وخرجه"^(٤١) ، أما عن النفقة فأورد عدة تعريفات لها، فالنفقة: "ما ينفق من الدراهم وغيرها، والزاد، وما ينفقه الإنسان على عياله، وما يفرض للزوجة على زوجها من مال للطعام والكساء والسكنى والحضانة ونحوها، وهى فى الشرع: الإدراة على شىء بما فيه بقاؤه"^(٤٢) .

السادس : وفى المعجم الوسيط : "الإففاق: بذل المال ونحوه؛ فى وجه من وجوه الخير"^(٤٣) .

السابع : وذكر الدكتور وهبه الزحيلي^(٤٤) أن النفقة شرعاً : "هى كفاية من يمونه من الطعام والكسوة والسكنى. وعرفاً: هى الطعام، والطعام يشمل: الخبز، والأدم، والشرب ، والكسوة السترة والغطاء . والسكنى: تشمل: البيت ومتاعه ومرافقه؛ من ثمن الماء، ودهن المصباح، وآلة التنظيف والخدمة ونحوها، بحسب العرف"^(٤٥) ، وعرفها الجزيري^(٤٦) على أنها "إخراج الشخص مؤنة من تجب عليه نفقته من خبز وأدم وكسوة ومسكن وما يتبع ذلك من ثمن ماء ودهن ومصباح"^(٤٧) ، وقريباً من

(39) ولد فى دمشق عام ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م ، نال إجازة الحقوق ، وإجازة الشريعة من جامعة القاهرة ، تولى القضاء عام ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ، وهو الآن مستشار فى الغرفة الشرعية فى محكمة النقض ، محاضر فى كلية الحقوق بجامعة دمشق ، انظر القاموس الفقهى لسعدى أبو جيب ، ص ٣٩٩ .

(40) القاموس الفقهى لسعدى أبو جيب ، ص ٣٥٧ .

(41) المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

(42) المعجم الوسيط ، ص ٩٥١ .

(43) المصدر السابق ، ص ٣٥٨ .

(44) وهبة مصطفى الزحيلي : ولد فى دير عطية من نواحي دمشق الفيحاء سنة ١٩٣٢م ، له مؤلفات وبحوث تقارب الثلاثين ، رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق ، انظر التفسير المنير ، ج ٣٠ ، ص ٤٨٤ .

(45) الفقه الإسلامى وأدلته ، تأليف الدكتور وهبه مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، ط٤ ، معدلة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ج ١٠ ، ص ٧٣٤٨ .

(46) عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري : فقيه من علماء الأزهر ولد بجزيرة شندويل (مركز سوهاج) بمصر ، وتعلم فى الأزهر ، وتوفى ببلوان سنة ١٣٦٠هـ ، انظر الأعلام للزركلى ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ .

(47) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، تأليف عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ .

تعريفهما ذكر الصنعاني^(٤٨) في كتابه "سبل السلام" أن المراد بالنفقة: "الشيء الذي يبذله الإنسان فيما يحتاجه - هو أو غيره - من الطعام والشراب وغيرهما"^(٤٩).

وبالتأمل في هذه التعريفات السابقة يتبين لنا عدة أمور :

١. بعضها خص الإنفاق في المال فقط كالتعريف الأول والثاني، وبعضها جعله في المال ونحوه كالتعريف الخامس والسادس ، وبعضها جعله في المال وغيره ؛ مصرحاً بذلك ، كالتعريف الثالث ، أو تاركاً الأمر على إطلاقه كالتعريف الرابع .
٢. وبعضها خص الإنفاق في الحاجة كالتعريف الأول، وبعضها جعله على الحاجات الضرورية وغيرها كالتعريف الثاني، وبعضها قصره على وجوه الخير كالتعريف السادس.

٣. بعض التعريفات أشارت في ثناياها إلى معاني أخرى للإنفاق كالفقر والإملاق.

٤. تعريفات النفقة دارت على أمرين الأول : النفقة على من يعول بشكل عام ،

والثاني : النفقة التي تفرض للزوجة على زوجها، مع تفصيل ماهية هذه النفقة بلا كثير خلاف.

وحتى يزداد الأمر وضوحاً ؛ وقبل حسم هذه المسائل والخروج بتعريف جامع؛ أو وضع تعريف جديد ، يرى الباحث أن يستعرض وجوه الإنفاق التي وردت في القرآن الكريم ؛ وإليك بيانها^(٥٠) :

١. **الزكاة :** فقد وردت النفقة بمعنى فرض الزكاة في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) أي: يزكون ويتصدقون.

٢- **الصدقة :** وقد جاءت النفقة بمعنى التطوع في الصدقات في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (الرعد: ٢٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧).

٣- **البذل في نصرة الدين :** وقد جاءت النفقة بمعنى الإنفاق في الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، يعني في طاعة الله ، وكذلك

⁽⁴⁸⁾ محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسن الكحلاني ، ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم عز الدين ... مجتهد من بيت الإمامة في اليمن ، نشأ وتوفي بصنعاء سنة ١١٨٢هـ ، انظر الأعلام للزركلي ، ج ٦ ص ٣٨ .

(49) سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، ج ٣ ، ص ١١٢٦ .

(50) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ، ج ٥ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ﴾ (الحديد: ١٠)،
يعني من بذل في نصره الدين.

٤- النفقة على الزوجات: وقد جاءت النفقة بمعنى الإنفاق على العيال والأهل فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦)، وقال سبحانه: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: ٧).

٥- عمارة الدنيا: وقد وردت النفقة بمعنى الإنفاق في عمارة الدنيا والندم عليها فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ (الكهف: ٤٢).

٦- الفقر والإملاق: وقد جاء الإنفاق بمعنى الفقر والإملاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأْمَسَكُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ (الإسراء: ١٠٠)، كما مرّ سابقاً^(٥).

٧- الرزق: وقد جاء الإنفاق بمعنى رزق الخالق لمخلوقاته في قوله جل وعلا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: ٦٤)، أي: يرزق كيف يشاء.

٨- الإنفاق لتقوية الكفر والصد عن سبيل الله: فقد جاء الإنفاق بمعنى نفقة اليهود أموالهم تقوية للكفر، فقال سبحانه: ﴿كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، أما في الصد عن سبيل الله فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٦).

وبعد هذا العرض يتبين أن الإنفاق والنفقة جاءتا في القرآن على معانٍ عدة؛ مما يستدعي مراعاة ذلك في التعريف. وبناءً على ما سبق من التعريفات، وما ورد من وجوه الإنفاق في القرآن، اختار الباحث تعريفاً يجمع بين التعريفات السابقة، مراعيًا المعاني التي وردت في الآيات القرآنية، فالإنفاق على ضوء ذلك هو: بذل المال وغيره في وجه من الوجوه. والملاحظ على هذا التعريف أنه:

- ١- جمع بين بذل المال وبذل غير المال.
- ٢- لم يقصر الأمر على الحاجة، أو على وجوه الخير فقط، بل تركها مطلقة في أي وجه من الوجوه.
- ٣- خص المال بالذكر دون غيره مما يبذل، لكون أكثر البذل منه، وأكثر الآيات عليه، وأول ما يتبادر إلى الذهن هو.

المبحث الثاني

مشتقات الإنفاق الواردة في القرآن

جاء ذكر الإنفاق مصرحاً به في القرآن في ثلاثة وسبعين موضعاً عبر سبع وخمسين آية، جاءت في خمس وعشرين سورة ، ولقد تنوعت مشتقات الإنفاق التي جاءت للتعبير عنه، وإليك بيانها :

أولاً : التعبير بصيغ الفعل:

جاء التعبير بصيغ الفعل في تسع وستين موضعاً.

١. التعبير بصيغة الفعل الماضي : انظر جدول رقم (١)

جاء التعبير بهذه الصيغة في ثمانية عشر موضعاً، وهي كالتالي :

- التعبير بصيغة المفرد الغائب : "أنفق" في موضعين.
- التعبير بصيغة المفرد المخاطب : "أنفقت" في موضع واحد.
- التعبير بصيغة الجمع المخاطب : "أنفقتم" في أربعة مواضع.
- التعبير بصيغة الجمع الغائب : "أنفقوا" في أحد عشر موضعاً.

جدول رقم (١)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد المواضع (السورة/الآية)
أ	المفرد الغائب	أنفقَ	٢	الكهف/٤٢ الحديد/١٠
ب	المفرد المخاطب	أنفقتَ	١	الأنفال/٦٣
ج	الجمع المخاطب	أنفقتم	٤	البقرة/٢١٥ البقرة/٢٧٠ سبأ/٣٩ المتحنة/١٠
د	الجمع الغائب	أنفقوا	١١	البقرة/٢٦٢ النساء/٣٤ النساء/٣٩ الرعد/٢٢ الفرقان/٦٧ فاطر/٢٩ الحديد/٧ الحديد/١٠ المتحنة/١٠ المتحنة/١١

٢. التعبير بصيغة الفعل المضارع : انظر جدول رقم (٢)

جاء التعبير بهذه الصيغة في واحد وأربعين موضعاً، وهي كالتالي :

جدول رقم (٢)

د- التعبير بصيغة المفرد الغائب المرفوع بالضمة : "ينفق" وهي في خمسة مواضع.

ه- التعبير بصيغة المفرد الغائب المجزوم : "ينفق" وهي في موضعين.

و- التعبير بصيغة الجمع الغائب المنصوب بحذف النون : "ينفقوا" في موضع واحد.

ز- التعبير بصيغة الجمع الغائب المرفوع بثبوت النون : "ينفقون" وهي في اثنين وعشرين موضعاً، أحدها: اتصلت به هاء الضمير، وآخر اتصلت به هاء الضمير وسبق بالفاء والسين، وذلك في كلمة " فَسَيُنْفِقُونَهَا "؛ الواردة في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) (الأنفال: ٣٦).

٣- التعبير بصيغة فعل الأمر : انظر جدول رقم (٣)

ولقد جاء بصيغة واحدة وهي: " أنفقوا " للجمع، في تسعة مواضع.

جدول رقم (٣)

تحديد المواضع (السورة/الآية)				العدد	اللفظة	صيغة التعبير
التوبة/٥٣	البقرة/٢٧٦	البقرة/٢٥٤	البقرة/١٩٥	٩	أنفقوا	الجمع
التغابن/١٦	المنافقون/١٠	الحديد/٧	يس/٤٧			
			الطلاق/٦			

ثانياً : التعبير بصيغ الاسم : انظر جدول رقم (٤)

جاء التعبير بصيغ الاسم بأربع صيغ؛ في خمسة مواضع وهي :

١- التعبير عما ينفق بالمصدر من الثلاثي بصيغة المفرد "نفقة" وذلك في موضعين.

٢- التعبير عما ينفق بالمصدر من الثلاثي بصيغة الجمع "نفقاتهم" وذلك في موضع واحد.

٣- التعبير بالمصدر من الرباعي "الإنفاق" وذلك في موضع واحد.

٤- التعبير باسم الفاعل بصيغة الجمع "المنفقين" وذلك في موضع واحد.

جدول رقم (٤)

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد المواضع (السورة/الآية)	
أ	المفرد من المصدر الثلاثي	نَفَقَةٌ	٢	التوبة/١٢١	البقرة/٢٧٠
ب	الجمع من المصدر الثلاثي	نَفَقَاتُهُمْ	١		التوبة/٥٤
ج	المصدر الرباعي	الْإِنْفَاقُ	١		الإسراء/١٠٠
د	الجمع من اسم الفاعل	الْمُنْفِقِينَ	١		آل عمران/١٧

وبعد هذا العرض للصيغ التي جاءت للتعبير عن الإنفاق؛ يتبين للمتأمل كثير من القضايا الجديرة بالإشارة ومنها :

- ١- جاء التعبير بصيغ الاسم في خمسة مواضع؛ في حين جاء التعبير بصيغ الفعل في ثمانية وستين موضعاً، ومن المؤكد أن لهذا دلالة خاصة، فالتعبير بالأسماء فيه صفة الملازمة دون التعبير بالأفعال ، ولعل في هذا إشارة إلى أنه من الصعب ؛ بل قد يكون من المحال ؛ ملازمة صفة الإنفاق في كل حين للإنسان، في حال يسره وعسره ، وكذلك ملازمتها للناس جميعاً ، إذ إن أحوال الناس ؛ وقدرتهم على الإنفاق تختلف . وأما التعبير بالأفعال ؛ حتى يتناسب مع حال الإنسان ؛ من حيث حالتي اليسر والعسر، والتنقل بينهما، وكذلك أحوال الناس المختلفة.
- ٢- جاء أغلب التعبير في صيغ الأفعال بصيغة المضارع ، حيث جاء بها في واحد وأربعين موضعاً ، وجاء التعبير بصيغة الماضي في ثمانية عشر موضعاً ، واقتصرت صيغ الأمر على تسعة مواضع، ولعل في هذا إشارة إلى أن الإنفاق متجدد ومستمر، فكلما توفرت الإمكانيات، وواتت الظروف؛ أنفق الإنسان، إذ إن التعبير بالمضارع يحمل معنى التجدد والاستمرار.
- ٣- التعبير بصيغة الشرط وجوابه المجزوم؛ فيه إشارة واضحة إلى تحقق الجزاء الموعود به للمنفق ، فهو مجزوم إعراباً، ومجزوم بوقوعه عقيدة.
- ٤- التعبير بـ " فَسَيُنْفِقُونَهَا " الواردة في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) (الأنفال: ٣٦) ، واضح فيها إشارات الترتيب والتعقيب والمستقبل القريب ، كأن الكفار ينفقون في الصد عن سبيل الله ، والعقاب مترتب ولن يطول على فعلهم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ^(٥٢) .
- ٥- التعبير بالأمر، جاءت كل مواضعه بصيغة واحدة، وهي الجمع، وكأن هذا إشارة إلى أن الإنفاق أمر لا يخص فرداً دون آخر، أو فئة دون أخرى، بل هو باب للتنافس وشحن الهمم ، وتحقيق فوزي الدنيا والآخرة ، الأولى برقي الأمم، والثانية بنيل القمم.

الفصل الثاني

(٥٢) انظر : مبحث غايات الإنفاق من الباب الثاني ص ٥٤ .

نظائر الإنفاق الواردة في القرآن

وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : نظائر الإنفاق؛ المعنى والاشتقاق .**
المبحث الثاني: العلاقة بين الإنفاق و نظائره .

المبحث الأول

نظائر الإنفاق (المعنى والاشتقاق)

وردت ألفاظ أخرى في القرآن الكريم تحمل معنى الإنفاق، والتي يطلق عليها بعض العلماء النظائر^(٥٣)، ومن نظائر الإنفاق في القرآن ما يلي:

١. الأداء: وهو لغة : الإيصال، أي: "إيصال الشيء إلى الشيء، أو وصوله إليه من تلقاء نفسه"^(٥٤).

وإصطلاحاً : "إيتاء ما استحق من دين ونحوه"^(٥٥).

ولقد جاءت مشتقات "أدى" في ستة مواضع في القرآن الكريم ، منها: أربعة مواضع في أداء الأمانات ، وموضع واحد في أداء ما وقع على الإنسان من التزامات، وأما الموضع السادس فبعيد عن الإنفاق . انظر جدول رقم (٥)

(53) الإتيان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي ،

دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ج١ ، ص ١٨٥ .

(54) معجم مقاييس اللغة ، ج١ ، ص ٧٤ .

(55) معجم لغة الفقهاء ، ص ٣٠ .

٢. الإكرام: وهو لغة: "أن يوصل إلى الإنسان إكرام، أي: نفع لا يلحقه فيه غضاضة" (٥٦).

و اصطلاحاً: "العطية للفاعل في أعقاب فعل نافع" (٥٧).

وجاءت مشتقات "كرم" في سبعة و أربعين موضعاً في القرآن الكريم ، ما جاء منها بمعنى إكرام الإنسان لأخيه الإنسان؛ موضعان. انظر جدول رقم (٥)

٣. "الإطعام: وهو لغة: التذوق" (٥٨).

و اصطلاحاً: "الطعام اسم جامع لكل ما يؤكل"، (٥٩) "وربما خص بالطعام البر" (٦٠).

وجاءت مشتقات "طعم" في ثمانية وأربعين موضعاً ، ما له علاقة بالإنفاق ؛ سبعة عشر موضعاً، تتحدث عن الإطعام الدائر بين الخلق ، وستة مواضع ، تتعلق بالإطعام الصادر من الله عز وجل . انظر جدول رقم (٥)

٤. البسط: وهو لغة: "النشر والتوسع، وهو نقيض القبض" (٦١).

و اصطلاحاً: "امتداد الشيء في عرض، أو غير عرض" (٦٢).

ووردت مشتقات "بسط" في القرآن في أربعة وعشرين موضعاً ، منها خمسة عشر موضعاً؛ تتحدث عن بسط الله عز وجل الرزق، والأرض، وبسطة العلم، والجسم .

ومنها ثمانية مواضع؛ تتحدث عن بسط اليد، سواء للأذى أو للإنفاق أو للماء ، وسواء كان البسط من الملائكة أو من الخلق، وموضع واحد عن كلب أهل الكهف ، وبسطه يديه . انظر جدول رقم (٥)

٥. الزكاة: وهي في اللغة من "الزكاء والنماء و الزيادة" (٦٣) ، ويقال: "زكا الزرع يزكو: إذا حصل منه نمو وبركة" (٦٤) ، و"سميت الزكاة زكاة لأنها سبب زيادة

(56) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، ص ٧٠٧ .

(57) معجم لغة الفقهاء ، ص ٦٦ .

(58) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٤١٠ .

(59) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٢ ، ص ٤٢٣ .

(60) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٤١٠ .

(61) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، ص ١٢٣ .

(62) معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

المال بالخلف في الدنيا والثواب في الآخرة" (٦٥) كما قال سبحانه: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) (سبأ: ٣٩)، وتطلق غالباً على الزكاة المفروضة. واصطلاحاً هي: "تمليك مال مخصوص لمستحقه بشرائط مخصوصة ... والحنابلة يعرفون الزكاة بأنها حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص" (٦٦).

جدول رقم (٥)

نظائر الإنفاق (الأداء - الإكرام - الإطعام - البسط - الزكاة)

الرقم	النظائر	العدد الكلي	ماله علاقة	تحديد المواضع (السورة / الآية)
١	الأداء	٦	٥	آل عمران ٧٥ النساء ٥٨ البقرة ٢٨٣
٢	الإكرام	٤٧	٢	يوسف/٢١ الفجر/١٧
٣	الإطعام	٤٨	١٧	البقرة ٢٤٩
				الأنعام ١٣٨
				الحج ٢٨
				الأحزاب/٥٣
				الأنعام ١٤
٤	البسط	٢٤	١٥	الذاريات ٥٧
				الأنعام ١٤
				قريش ٤
				الأنعام ٩٣
				الإسراء ٢٩
٥	الزكاة	٥٩	٣٢	المائدة ١١
				الإسراء ٣٠
				الأعراف ٦٩
				العنكبوت ٦٢
				الشورى ٢٧
٥	الزكاة	٥٩	٣٢	البقرة ٤٣
				الأعراف ١٥٦
				المائدة ١٢
				التوبة ١٨

(63) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ١٧ ، وانظر المغني لابن قدامة ، تأليف أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ج ٢ ص ٦٩٩.

(64) معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ١٧١٧ .

(65) المبسوط لشمس الأئمة أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، المجلد ١ ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(66) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

الأنبياء ٧٣	مريم ٣١	مريم ٥٥	الحج ٤١
المؤمنون ٤	الحج ٧٨	النور ٣٧	النور ٥٦
الأحزاب ٣٣	النمل ٣	الروم ٣٩	لقمان ٤
فصلت ٧	المجادلة ١٣	المزمل ٢٠	البينة ٥

ولقد جاءت مشتقات "زكى" في القرآن في تسعة وخمسين موضعاً ، جاء منها بلفظ "الزكاة"؛ اثنان وثلاثون موضعاً، منها: موضعان بمعنى الطهارة والأفضلية، أما باقي المشتقات فتحدث عن تطهير النفس ، سواء كان فعلياً، أو ادعاءً، ولفظ واحد بمعنى أفضل، مشيراً إلى الطعام . **انظر جدول رقم (٥)**

٦. **التصدق:** وهو لغة: "ما تصدقت به على الفقراء" (٦٧) .
و اصطلاحاً: "ما يتصدق به المرء عن نفسه و ماله" (٦٨) .

و لقد جاءت مشتقات "صدق" في أربعة و عشرين موضعاً، كلها تشير إلى

الصدقة بمعنى الإنفاق . **انظر جدول رقم (٦)**

٧. **العطاء:** وهو لغة: "التناول باليد" (٦٩) .

و اصطلاحاً: "ما يعطاه الجنود ونحوهم من بيت المال سنوياً" (٧٠) .

و لقد جاءت مشتقات "عطا" في القرآن؛ في ثلاثة عشر موضعاً، منها: خمسة مواضع تتحدث عن العطاء البشري، والمواضع الباقية تتحدث عن عطاء الله، سواء في الدنيا أو في الآخرة . **انظر جدول رقم (٦)**

٨. **التقديم:** و هو لغة: ضد التأخير (٧١) ، وهو بمعنى التسليف (٧٢) ، ويأتي التقديم ضد المنع في كتب الفقه (٧٣) ، فقد بوب مسلم (٧٤) في صحيحه بـ "باب في تقديم الزكاة ومنعها" (٧٥) . ويقترح الباحث تعريفاً اصطلاحياً للتقديم على ضوء ما تقدم ؛ بأنه: تسليف الخير لله عز وجل في وجه من الوجوه المشروعة؛ بدليل

(67) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٢٣٥ .

(68) معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ، ص ٣٣٩ .

(69) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ .

(70) معجم لغة الفقهاء ، ص ٢٨٤ .

(71) لسان العرب لابن منظور ، ج ٤ ، ص ١٣ ، وتاج العروس ، ج ١٠ ، ص ٣٢ .

(72) لسان العرب لابن منظور ، ج ٩ ، ص ١٩٠ ، وتاج العروس ، ج ٢٣ ، ص ٤٦٢ .

(73) المقصود كتب الفقه الواردة ضمن كتب الحديث ، كما جرت العادة عند مصنفى كتب الحديث .

(74) الإمام الكبير الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري ، ولد

سنة ٢٠٤هـ بنيسابور ، ثقة من الحفاظ ، وتوفي في شهر رجب سنة ٢٦١هـ بنيسابور ، انظر تهذيب

سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة -

بيروت ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

(75) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب رقم ٣ ، في تقديم الزكاة ومنعها ص ٣٨١ .

قوله تعالى: (وَمَا تَقْدُمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ) (البقرة: ١١٠ ، المزمّل: ٢٠).

ولقد جاءت مشتقات التقديم - التي تفيد معنى العطاء- في القرآن، في سبعة وعشرين موضعاً، تتحدث عما يقدمه الإنسان، من خير أو شر، لنفسه أو لغيره.

٩. القرض : وهو لغة: القطع ^(٧٦) . انظر جدول رقم (٦)

واصطلاحاً: "ما تعطيه من المثليات؛ ليرد لك مثله في المستقبل" ^(٧٧) .

ولقد جاءت مشتقات "قرض" في القرآن في اثني عشر موضعاً ، جاءت في ست آيات، تتحدث كلها عما يقدمه الإنسان لنفسه ، من قرض حسن يقدمه عند الله .

انظر جدول رقم (٦)

١٠. القربان : وهو لغة: "نقيض البعد، والتقرب: التداني والتوصل إلى الشيء" ^(٧٨)

واصطلاحاً: "كل ما يتقرب به إلى الله من الطاعات"، ^(٧٩) "وكذلك إلى الملك" ^(٨٠) . انظر جدول رقم (٦)

ولقد جاءت مشتقات "قرب" في ستة مواضع، كلها بمعنى التقرب إلى الله .
١١. الوهب : وهو لغة: "إيصال الشيء إلى الغير بما ينفقه، سواء كان مالاً أو غير مال" ^(٨١) .

جدول رقم (٦)

نظائر الإنفاق (التصدق - العطاء - التقديم - القرض - القربان - الوهب)

الرقم	النظائر	العدد الكلي	ماله علاقة	تحديد المواضع (السورة / الآية)
٦	التصدق	٢٤	٢٤	البقرة ١٩٦
				البقرة ٢٦٤
				البقرة ٢٧٦
				النساء ١١٤
				الأحزاب ٣٥
				التوبة ١٠٤
٧	العطاء	١٣	١٣	النساء ٩٢
				التوبة ٥٨
				التوبة ٧٩
				التوبة ١٠٣
				يوسف ٨٨
				الحديد ١٨
٧	العطاء	١٣	١٣	التوبة ٢٩
				الإسراء ٢٠
				طه ٥٠
				هود ١٠٨
٧	العطاء	١٣	١٣	النجم ٣٤
				الضحى ٥

(76) معجم لغة الفقهاء ، ص ٣٢٩ .

(77) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(78) المحيط في اللغة لكافي الكفاة ، ج ٥ ، ص ٤٠٤ .

(79) معجم لغة الفقهاء ، ص ٣٢٩ .

(80) المحيط في اللغة لكافي الكفاة ، ج ٥ ، ص ٤٠٤ .

(81) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني مؤسسة الرسالة

بيروت ، ط ٢ ، ص ٩٦٠ .

			الكوثر ١				
النساء ٦٢	البقرة ٩٥	البقرة ٢٢٣	البقرة ١١٠	٢٧	٢٧	التقديم	٨
الأنفال ٥١	المائدة ٨٠	القصص ٤٧	آل عمران ١٨٢				
الحج ١٠	الكهف ٥٧	الشورى ٤٨	يوسف ٤٨				
الروم ٣٦	القيامة ١٣	الحجرات ١	ص ٦١				
الحشر ١٨	ص ٦٠	ق ٢٨	يس ١٢				
الإنفطار ٥	الجمعة ٧	المجادلة ١٣	المجادلة ١٢				
	النبا ٤٠	الفجر ٢٤	المزمل ٢٠				
الحديد ١١	المائدة ١٢	البقرة ٢٤٥	كل آية فيها موضعين	١٢	١٢	القرض	٩
التغابن ١٧	الحديد ١٨	المزمل ٢٠					
التوبة ٩٩	المائدة ٢٧	المائدة ٢٧	آل عمران ١٣٨	٦	٦	القربان	١٠
	التوبة ٩٩	الأحزاب ٢٨					
			الأحزاب ٥٠	١	٢٥	الوهاب	١١

واصطلاحاً: " التملك في الحياة بلا عوض " (٨٢) .
ولقد جاءت مشتقات " وهب " في خمسة وعشرين موضعاً، كلها تتحدث عما
يهبه الله لعباده، عدا موضعاً واحداً، يشير إلى المؤمنة؛ التي قد تهب نفسها للنبي ﷺ .

جدول رقم (٧) من نظائر الإنفاق (الإيتاء)

تحديد المواضع (السورة / الآية)	العدد الكلي (٢٧٩)		الرقم
	المجال	ماله علاقة ٧٦	
تم عرضها مع آيات الزكاة (انظر جدول رقم ٥)	إيتاء الزكاة	٣٠	١
البقرة ٢٢٩	البقرة ٢٣٣	النساء ٤	النساء ١٩
الأحزاب ٥٠	النساء ١٢٧	النساء ٢٠	النساء ٢٤
الأحزاب ٥١	المتحنة ١٠	النساء ٢٥	المائدة ٥
المتحنة ١٠	المتحنة ١١		
البقرة ١٧٧	البقرة ٢٧١	النساء ٢	النساء ٥
البقرة ٢٦٥	النساء ٣٣	النساء ٥٣	يوسف ٣١
الأنعام ١٤١	يوسف ٦٦	يوسف ٦٦	يوسف ٦٦
إبراهيم ٢٥	النحل ٧٦	النحل ٩٠	الكهف ١٥
الإسراء ٢٦	الإسراء ٨٨	الكهف ٣٣	الكهف ٦٢
المؤمنون ٦٠	المؤمنون ٦٠	الكهف ٩٦	الكهف ٩٦
مجالات أخرى	٣٢		

النمل ٣٩	النمل ٣٨	النور ٣٣	النور ٢٢			
الليل ١٨	الحشر ٧	الروم ٣٨	النمل ٤٠			

١٢- الإيتاء : وهو لغة: الإيعاء^(٨٣) . ويقترح الباحث تعريفاً اصطلاحياً للإيتاء بأنه: إعطاء المال وغيره ؛ للمحتاجين علي سبيل الوجوب أو التصدق أو صلة للأقارب ، أو في وجه من وجوه الخير.

و لقد جاء "الإيتاء" في القرآن في مواضع كثيرة، معظمها تتحدث عن إيتاء الله للخلق ، سواء كان إيتاؤه للرسول أو الكتب أو المعجزات، أو الخير أو المال أو الذرية، أو العذاب أو الساعة أو الأجر . ومنها: ثلاثون موضعاً عن إيتاء الزكاة ، و سيتم تناولها مع آيات الزكاة ، و أربعة عشر موضعاً عن إيتاء المهور للزوجات ، و اثنين و ثلاثين موضعاً عن الإيتاء في مجالات مختلفة . انظر جدول رقم (٧)

المبحث الثاني العلاقة بين الإنفاق ونظائره

تتضح العلاقة بين الإنفاق ونظائره من خلال النقاط الآتية :

١ . ذكر الباحث أن في الإنفاق معنى الخروج أي: خروج الشيء من يد صاحبه، و انتقال الشيء من يد صاحبه إلى غيره ، وهذا قاسم مشترك بين الإنفاق وباقي نظائره؛ حيث تجد ذلك المعنى واضحاً في الأداء، والإكرام، والإطعام، والبسط، والعطاء، والتقديم، والزكاة ، والهبة، والقرض، والقربات، فكل واحدة منها لا تتحقق إلا بخروج شيء من يد صاحبها إلى غيره .

٢. ذكر الباحث أن الإنفاق فيه معنى الرواج والانتشار، الناتج عن النقص، فالذي يتبادر إلى الذهن أن النقصان سينلوه نفاذ، ولكن الإنفاق وهو نقصان وذهاب؛ إلا أنه يؤدي إلى رواج وانتشار. وتلمس هذا المعنى تصريحاً في بعض النظائر، فالزكاة نماء، والإيتاء في بعض معانيه النماء، "يقال نخلٌ ذو إِتاءٍ أي: نماء" (٨٤)، والقرض مسترد، والتقديم والقربان، تقدمه وتقربه، تنتظر مغنماً أو تأمل في نتيجة، والأداء فيه معنى أداء حق سابق للآخرين، أي أن المنفعة سابقة. وتلمسه ضمناً في نظائر أخرى كالإكرام والإطعام والبسط، ولعل عدم التحقق التام لصفة الرواج على سائر النظائر، لأن أمر الرواج ليس على إطلاقه، فهناك إنفاق ثمرته الندم والحسرة، وهو ما أنفق في الصد عن سبيل الله.

٣. ذكر الباحث أن الإنفاق لا يقتصر على إنفاق المال فقط، وكذلك نظائر الإنفاق تجمع بين المال وغيره، فالزكاة، والهبة، والعطاء، والقرض، والإكرام، وسائر النظائر تكون في المال وتكون في غيره.

٤. ذكر الباحث أن الإنفاق لا يقتصر على الإنفاق في وجوه الخير فقط، فقد يكون في وجوه أخرى، وكذلك نظائره لا تقتصر على وجوه الخير فقط، وإن كان بعضها كالزكاة، اصطلاح على دلالتها على الفريضة المكتوبة.

٥. الإنفاق هو "إخراج المال من الملك" (٨٥)، في حين أن هذه الصفة لا تتوفر في باقي النظائر بنفس الدرجة، "فالإعطاء لا يقتضى إخراج المعطى من الملك، وذلك أنك تعطى زيدا مالاً ليشتري لك الشيء، وتعطيه الثوب ليخيطه لك، ولا يخرج عن ملكك بذلك" (٨٦). أما إذا قارنا بين الإعطاء والإيتاء، فإننا نلمس "في الإعطاء دليل التملك، دون الإيتاء، ويؤيده قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثُرَ) (الكوثر: ١)، فإنه كان له منع من شاء منه كالمالك للملك، وأما القرآن فحيث إن أمته مشاركون له في فوائده، ولم يكن له منعهم منه، فقال: (وَأَقْدُ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَائِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر: ٨٧)" (٨٧). إضافة إلى العلاقة السابقة، فهناك علاقات بين نظائر الإنفاق بعضها مع بعض، وهذه بعض الإشارات التي تبين ذلك:

١. "الإعطاء: هو اتصال الشيء إلى الآخذ له، ألا ترى أنك تعطى زيدا المال ليرده إلى عمرو، وتعطيه ليتجر لك فيه. والهبة تقتضى التملك، فإذا وهبته له؛ فقد ملكته إياه" (٨٨).

٢. "الزكاة لا تكون إلا فرضاً، والصدقة قد تكون فرضاً وقد تكون نفلاً" (٨٩).

(84) معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٢.

(85) معجم الفروق اللغوية، للإمام الأديب اللغوي، أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، حقه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مدينة نصر - القاهرة، ص ١٦٧.

(86) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(87) معجم الفروق اللغوية، ص ١٦٧.

(88) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(89) المرجع السابق، ص ١٦٧.

٣. القرض أكثر ما يستعمل في العين والورق ولا يتعين فيه الوقت ^(٩٠) .
- ٤- كل موضع ذكر في وصف الكتاب "آتينا" فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه "أوتوا" ؛ لأن "أوتوا" قد يقال إذا أوتي من لم يكن منه قبول ، "وآتيناهم" يقال فيمن كان منه قبول ^(٩١) .

(90) انظر : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(91) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، ص ٦١ .

الباب الثاني الإنفاق (غايته - أصنافه - مراتبه)

- الفصل الأول : المنفق وغايته.
- الفصل الثاني : أصناف الإنفاق وأحكامه.
- الفصل الثالث : حالات الإنفاق .

الفصل الأول المنفق وغايته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : المنفق

المبحث الثاني : غايات الإنفاق

المبحث الأول المنفق

الحديث في هذا المبحث يتناول من يقع منه الإنفاق ، وبالتأمل في الآيات التي تحدثت عن الإنفاق بألفاظه الصريحة ، نجد أن منها التي تتحدث عن إنفاق الخالق ، ومنها التي تتحدث عن إنفاق المخلوق ، وأفرد الباحث لكل مطلباً خاصاً .
المطلب الأول : إنفاق الخالق :

ورد ذكر الإنفاق منسوباً إلى الله سبحانه وتعالى ، بلفظ الإنفاق في آية واحدة ، وذلك في قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (المائدة: ٦٤)، فعندما تجرأ اليهود في حديثهم عن الله الحليم؛ كعادتهم دوماً في الإساءة حتى للخالق؛ فوصفوه - جل شأنه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً- بأن يده مغلولة وذلك " لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالا " (٩٢)، ذكر القرآن ذلك الموقف منهم فقال سبحانه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (المائدة: ٦٤)، "ورد الله عليهم ما قالوه ،

(92) تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي ، وجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي ، وبهامشه أسباب النزول للسيوطي راجعه وأعدده للنشر د. محمد محمد تامر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص ١٤٢٤هـ

وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه فقال: (عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا)"^(٩٣) ، " فالتصقت بهم هذه الصفة، ووقع عليهم اللعن والطرده من رحمة الله ، وبعد الرد جاء التصحيح - لهذا التصور الفاسد السقيم - يصف الله سبحانه بوصفه الكريم، وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب ، (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) ، وعطاياه - التي لا تكف ولا تنفذ لكل مخلوق- ظاهرة للعيان، شاهدة باليد المبسوطة والفضل الغامر والعطاء الجزيل، ناطقة بكل لسان، ولكن يهود لا تراها ؛ لأنها مشغولة عنها باللحم والضم وبالكنود وبالجحود وبالبداءة حتى في حق الله"^(٩٤) . وتبدو بداءتهم وسوء أدبهم واضحة جلية؛ فقد "بلغ من غلظ حسهم وجلافة قلوبهم؛ ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه - وهو البخل- بلفظه المباشر؛ فاختاروا لفظاً أشد وقاحة وتهجماً وكفراً؛ فقالوا: (يُدُّ اللَّهُ مَغْلُوبَةً)"^(٩٥) ، فإذا كان هذا حالهم مع إلههم ، فكيف يكون حالهم مع غيرهم من خلق الله؟! إذن: " ليس الأمر كما يزعم هؤلاء اليهود؛ بل هو سبحانه في غاية ما يكون الجود والغنى ... يرزق كما يريد، إن شاء وسع في العطاء ، وإن شاء ضيقه، فعطاءه تابع لمشيئته المبنية على الحكم؛ التي شاء أن يقوم عليها نظام الدنيا والآخرة"^(٩٦) .

أما الآيات التي تعرضت لعطاء الله بغير لفظ الإنفاق فهي آيات كثيرة، عالجت أشكالاً مختلفة من عطاياه سبحانه التي لا تحصى ولا تنفذ .
ويسجل الباحث بداية ؛ أن نعم الله وعطاياه ، لا يمكن حصرها من قبل بشر وهذا بصريح قوله سبحانه في كتابه الكريم: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (إبراهيم: ٣٤)، ولكنه يسوق أمثلة ، ويبين مسلمات ، ويدون ملاحظات ، ويحاول أن يقدم المسائل عبر نقاط محددة .

(93) تفسير القرآن العظيم ، للإمام المحدث اسماعيل بن عمر بن كثير ، القرشي أبو الفداء ، (٧٧١هـ-٧٧٤هـ) ، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا ، شركة دار القبلة ، مؤسسة علوم القرآن ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ج ٣ ، ص ١٢٠١ .

(94) في ظلال القرآن بقلم سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي ، دار الشروق ، ط ١٣ ، ج ٢ ، ص ٩٢٩ .

(95) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٩ .

(96) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، تأليف لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط ١ ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م ، ج ٣ ، ص ١١١٢ .

1- التكريم الإلهي لآدم وبنيه :

أكرم الله بني آدم "بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب ، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعمة الظاهرة والباطنة" (٩٧) ، فقال سبحانه: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠)، فشر فهم وكرمهم "بخلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها" (٩٨) ، حتى إن هذا التكريم أغاظ إبليس عليه اللعنة؛ فوقف يتبجح متحدياً. وسرد الله سبحانه ذلك الموقف في القرآن، فقال تعالى مبيناً موقف إبليس عليه اللعنة: (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَكِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) (الإسراء: ٦٢).

2- البسط الإلهي للرزق :

جاءت الآيات كثيرة تتحدث عن بسط الله الرزق لعباده ، منها قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) (الإسراء: ٣٠)، فهو "الرزاق القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، لما له في ذلك من الحكمة" (٩٩) ، وهذا يضع أمامنا العديد من المسلمات:

- جاء قوله تعالى : (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (العنكبوت، ٦٢)، مسبقاً بقوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (العنكبوت، ٦١)، ومتبوعاً بقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (العنكبوت، ٦٣) "فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه، فليكن الواحد في عبادته" (١٠٠).
- "الأمر في السراء والضراء يتبع قانوناً ثابتاً، ويرجع إلى مشيئة الله سبحانه، فهو الذي ينعم بالرحمة ويبتلي بالشدة ، ويبسط الرزق ويضيقه؛ وفق سنته وبمقتضى

(97) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مكتبة

الصفاء ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، ص ٤٤١ .

(98) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٥ ، ص ٢١١٠ .

(99) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٨٨ .

(100) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢٧٠٧ .

حكيمته" (١٠١) ، نفهم هذا من قوله سبحانه: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ * أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الروم: ٣٦ ، ٣٧)؛ ولهذا "فلا داعي للفرح والبطر عند البسط، ولا لليأس والقنوط عند القبض" (١٠٢) .

- بسط الرزق وقبضه لا يدل على رضى ولا على غضب من الله ؛ ولقد رد الله سبحانه على أصحاب الفهم المغلوط؛ الذين يتصورون أن بسط الرزق لشخص ما؛ دليل على رضى الله عن هذا الشخص، وأن قبضه -عن آخر- دليل على غضبه عليه، فقال سبحانه ذاكراً تصورهم الخاطيء؛ راداً عليه: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ * قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ) (سبأ: ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) ، فقرر سبحانه بذلك " أن بسط الرزق وقبضه مسألة ، ورضاه وغضبه مسألة أخرى ، فقد يغدق الله الرزق على من هو عليه غاضب ، كما يغدقه على من هو عنه راض ، وقد يضيق الله على أهل الشر ، كما يضيق على أهل الخير ، وكل ذلك لحكمة ولغاية عنده سبحانه ، فقد يغدق الله على أهل الشر استدراجاً لهم ؛ ليزدادوا سوءاً وبطراً وإفساداً وقد يحرمهم فيزدادوا شراً وفسوقاً وجريمة ... وفي المقابل قد يغدق الله على أهل الخير ؛ ليتمكنهم من أعمال صالحة كثيرة ... وقد يحرمهم فيبلو صبرهم على الحرمان وثقتهم بربهم ... وأياً ما كانت أسباب بسط الرزق وقبضه ... فهي مسألة منفصلة عن أن تكون دليلاً بذاتها ؛ على أن المال والرزق والأبناء والمتاع قيم تقدم أو تؤخر عند الله " (١٠٣) .

- "فضل الله في الآخرة بلا حساب وبلا حدود ولا قيود، أما رزقه لعباده في الأرض فهو مقيد محدود ؛ لما يعلمه سبحانه من أن هؤلاء البشر ضعاف لا يملكون التوازن؛ ولا يحتملون إلا إلى حد؛ ولهذا قال سبحانه: (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ

(101) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٥ ، ص ٢٧٧١ .

(102) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٧١ .

(103) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٥ ، ص ٢٩١٠ .

الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (الشورى: ٢٧)، ومن ثم جعل رزقهم في هذه الأرض مقدرًا محدوداً بقدر ما يطيقون ، واستبقى فيضه المبسوط لمن ينجحون في بلاء الأرض ، ويجتازون امتحانها؛ ويصلون إلى الدار الباقية بسلام ؛ ليتلقوا فيض الله المذخور لهم بلا حدود ولا قيود ، وأكدت الآية في ثنائها على نزارة ما في هذه الحياة الدنيا من أرزاق مهما كثرت؛ بالقياس إلى ما في الآخرة من فيض غزير" (١٠٤).

3- العطاء الإلهي للأنبياء خاصة وللخلق عامة :

أولاً : العطاء الإلهي للأنبياء خاصة :

تحدثت الآيات القرآنية عن عطاء الله للأنبياء بألفاظ العطاء في أكثر من موضع ، فقد ذكر سبحانه عطاءه لسيدنا محمد ﷺ في سورتى الكوثر والضحي ، والمتأمل فيهما يلاحظ :

• جاء ذكر العطاء في السورتين رداً على الحاقدين ، مَن شَنَّاهُ^(١٠٥) وقلل مِن شَأْنِهِ في الأولى ، ومن شمت فيه لفتور الوحي فترة في الثانية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تثبيناً لفؤاد النبي ﷺ ، وهو يشق طريق الدعوة لله، في وسط كل هذه الآلام .

• العطاء في السورتين يشير إلى عطاء الدنيا والآخرة، كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين ، فذكر الطاهر ابن عاشور^(١٠٦) في تفسيره لقوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثِرَ) (الكوثر: ١) وهو يعدد أغراض السورة بكاملها أنها "اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة" (١٠٧)، (١٠٨) وفي تفسيره

(104) انظر : المرجع السابق ج ٥ ، ص ٣١٥٧ .

(105) الشنائة مثل الشناعة : البغض ، شَنَيَْ الشيءَ وشَنَّاهُ يَشْنُوهُ بمعنى أَبْغَضَهُ ، انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة شناً ج ١ ص ١٢٣ .

(106) الطاهر ابن عاشور هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، ولد بالمرسى من ضواحي العاصمة تونس سنة ١٢٩٦هـ-١٨٧٩م ... التحق بجامع الزيتونة الأعظم ... تقلد وظائف قضائية وشرعية حتى أصبح كبير أهل الشورى ، ثم شيخ الإسلام المالكي ، توفي سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م . انظر : من أعلام الزيتونة ، ص ٣٥ ، ٣٧ ، ٦٢ ، ٦٨ .

(107) تفسير التحرير والتوير ، تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، المجلد ١٥ ج ٣٠ ص ٥٧٢ .

(108) روى مسلم في صحيحه عن أنس؛ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاء. ثم رفع رأسه متبسماً. فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال "أنزلت علي أنفا سورة". فقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر}" ثم قال "أتدرون ما الكوثر؟" فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال "قانه نهر وعدنيه ربي عز وجل. عليه خير كثير. و حوض ترد عليه أمتي يوم

لقوله تعالى : **(وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)** (الضحى: ٤ ، ٥) ، بين أنه "يغلب لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة واعتبر الآية الأولى تبشيراً للنبي ﷺ بالخيرات الأبدية، واعتبر الآية الثانية وعداً واسع الشمول؛ لما أعطيه النبي ﷺ من النصر والظفر بأعدائه يوم بدر؛ ويوم فتح مكة، ودخول الناس في الدين أفواجا ، وما فتح على الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من أقطار الأرض شرقاً وغرباً" (١٠٩).

كذلك ذكر الله عطاءه لنبيه سليمان -عليه السلام- بلفظ العطاء فقال سبحانه؛ بعد أن استعرض ما وهبه لنبيه من تسخير الريح والشياطين استجابة لطلبه: **(هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ)** (ص: ٣٩ ، ٤٠) ، فتأمل عظيم فضله سبحانه، النبي يطلب بعد الاستغفار، والمولى يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، "ثم قيل له: إنك مطلق اليد فيما وهب الله لك من سلطة ومن نعمة، تعطي من تشاء كيف تشاء، وتمسك عن تشاء قدر ما تشاء ... وذلك زيادة في الإكرام والمنة، ثم زاد على هذا كله أن له عند ربه قربي في الدنيا، وحسن مآب في الآخرة، وتلك درجة عظيمة من الرعاية والرضا والإنعام والتكريم" (١١٠).

ثانياً : العطاء للخلق عامة :

أما العطاء للخلق عامة، فقد جاءت الآيات تتحدث عن العطاء في الدنيا، وعن العطاء في الآخرة، فبالنسبة للأولى؛ يقرر سبحانه :

● إن العطاء لا يقتصر على من يريد الآخرة فقط، دون من يريد الدنيا، بل هو لكليهما، فقال سبحانه: **(كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)** (الإسراء: ٢٠) ، "فإن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله، سواء منهم من يطلب الدنيا فيعطاهما، ومن يطلب الآخرة فيلقاها. وعطاء الله لا يحظره أحد ولا يمنعها؛ فهو مطلق، تتوجه به المشيئة حيث تشاء" (١١١) .

القيامة. آنيته عدد النجوم. فيختلج العبد منهم. فأقول: رب! إنه من أمتي. فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك". صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب رقم ١٤ ، حجة من قال : البسمة آية من أول كل سورة ، سوى براءة ، حديث رقم ٤٠٠ ص ١٧٢ .

(109) انظر : تفسير التحرير والتوير ، للطاهر بن عاشور ، المجلد ج٣٠ ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(110) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٥ ، ص ٣٨٢١ .

(111) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤ ، ص ٢٢١٩ .

- إن الله " وهب الوجود لكل موجود؛ في الصورة التي أوجده بها، وفطره عليها، ثم هدى كل شيء إلى وظيفته التي خلقه لها ؛ وأمهه بما يناسب هذه الوظيفة، ويعينه عليها " (١١٢) ، فقال سبحانه ؛ مبيناً ذلك في إجابة موسى عليه السلام : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه:٥٠).

أما بالنسبة للعطاء في الآخرة ، فيقرر سبحانه :

- إن " الذين سعدوا برحمة الله فهم في الجنة، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ... (إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ) من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة، عطاء من الله - الذي شاء- غير مقطوع عنهم" (١١٣) ، فقال عز وجل: (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ) (هود:١٠٨).

- إن ما أعده الله للمتقين من نعيم مقيم في الجنة، هو جزاء منه سبحانه ، وهو الجزاء الكافي الوافي ، فقال جل وعلا: (جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا) (النبأ:٣٦).

- " إن جزاء المؤمنين السعداء، هبة منه وإحسان دائم غير مقطوع ... وأما الكافرون فجزاؤهم موافق لأعمالهم " (١١٤).

المطلب الثاني : إنفاق المخلوق :

سبق أن ذكرنا(١١٥) أن الإنفاق؛ جاء مصرحاً به في القرآن؛ في ثلاثة وسبعين موضعاً ، جاء ذكر الإنفاق منسوباً إلى الخالق- عز وجل- في موضع واحد منها

(112) المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٢٣٣٨ .

(113) انظر : تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م المجلد ٧ ، ج١٢ ، ص ١٣٩ .

(114) التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، ط٤ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م المجلد ٨ ، ج١٢ ، ص ٥٣ .

(115) انظر مبحث مشتقات الإنفاق من الباب الأول ص١٢ .

وذلك في قوله سبحانه : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (المائدة: ٦٤) ، كما ورد في المطلب السابق (١١٦).

أما باقي المواضيع فقد تناولت إنفاق المخلوق، وخاصة البشر، فهم المنوط بهم التكليف. ولقد استعرضت هذه المواضيع مسائل متعددة ؛ مما يقع منهم في مجال الإنفاق .

١. فعالجت بعض الآيات الأغراض التي من أجلها يقدم الإنسان على الإنفاق ، ويهدف إلى تحقيقها من ورائه ومنها :

• الإنفاق على مصالح الدنيا وأغراضها المعتادة والمتعددة ، مما تقوم به حياة الإنسان ، وذلك في مثل قوله تعالى: (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا) (الكهف: ٤٢).

• الإنفاق في سبيل الله، وفي الدعوة إليه، وابتغاء مرضاته ، ومن ذلك قوله عز وجل : (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) (الأنفال: ٦).

• الإنفاق في الصد عن سبيل الله ، ومحاربة شرعه ، كما قال سبحانه مبيناً هذا الصنف من البشر، ومستعرضاً أحوالهم : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنفال: ٣٦).

٢. وجاءت آيات أخرى؛ تعالج الحالات والكيفيات المختلفة؛ التي يقع بها الإنفاق مثل :

• الإنفاق في حالتي السر والعلن، كما قال سبحانه: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (البقرة: ٢٧٤).

• الإنفاق في حالتي السراء والضراء ، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) (آل عمران: ١٣٤).

• التباين بين الإنفاق من الطيب و الإنفاق من الخبيث ، ولقد أشار إليها سبحانه في قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ) (البقرة: ٢٦٧).

٣. وعالجت الآيات أيضاً مسألة الحث على الإنفاق بالأساليب الآتية :

- الأمر المباشر بالإنفاق كما في الآية السابقة الذكر .
 - الحث على الإنفاق ببيان فضله، كما في قوله سبحانه: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٢).
 - الحث على الإنفاق بربطه بقضايا الإيمان والعبادات، كما في قوله عز وجل: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة: ٣).
 - الحث على الإنفاق بضرب الأمثال ، ومنها قوله سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١).
 - ٤. ومن القضايا التي تعرضت لها آيات الإنفاق -إضافة إلى ما سبق- مسألة الإنفاق المقبول وشروطه ، ومن الآيات الواردة في ذلك قوله عز وجل: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٦٢).
- هذه بعض المسائل التي تناولتها آيات الإنفاق، فيما يتعلق بإنفاق المخلوق ، وفي المباحث التالية مزيد تفصيل.

المبحث الثاني غايات الإنفاق

للإنسان من وراء إنفاقه هدف ومقصد وغاية ، وباستعراض الآيات التي ورد فيها ذكر الإنفاق ، يتبين أن غايات الإنفاق من وجهة نظر الباحث ثلاث :

١ - الإنفاق في مصالح الدنيا .

٢ - الإنفاق من أجل المبادئ الفاضلة .

٣ - الإنفاق من أجل المبادئ الضالة .

الإنفاق في مصالح الدنيا ، يكون أحياناً من أجل المبادئ الفاضلة، وأحياناً من أجل المبادئ الضالة، وذلك حسب النية التي تجول في صدر المنفق ، فحياة المؤمن اليومية يجب أن تكون وفق منهج الله ، ولخدمة دينه، ولقد بين سبحانه ذلك في قوله: **(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢)** ، في حين أن أعمال الكفار مهما كانت فهي إلى بوار ، كما قال سبحانه: **(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) (الفرقان: ٢٣)**، "فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً؛ وعلى الشريعة المرضية؛ فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذ" (١١٧) .

ومن خلال ما سبق يتبين أن أفراد الإنفاق في مصالح الدنيا في مطلب خاص؛ إنما ليقصر الحديث فيه على ما ينفقه الإنسان على نفسه وأهله وأموره العادية مما تقوم به حياته ، وبالتالي ينفرد المطلبان الأخيران بالحديث عن الإنفاق في سبيل الله وإعلاء دينه، وبالحديث عن الإنفاق في الصد عن سبيل الله ، ومحاربة دينه ، ومواجهة أوليائه، وإلى هذا ذهب الباحث ، فأفرد لكل مطلباً خاصاً به .

المطلب الأول : الإنفاق في مصالح الدنيا :

ربما لا يتجاوز الإنفاق في مصالح الدنيا واحدة من ثلاث ، إنفاق على النفس والأهل ، وإنفاق على المصالح الخاصة ، وإنفاق على المصالح العامة ، وحولها يدور الحديث .

١- الإنفاق على النفس والأهل والضيف:

ويقصد به ما ينفقه الإنسان على نفسه، وعلى من يعول؛ من مأكَل ومشرب وملبس ومسكن؛ كما عرفه بعض العلماء^(١١٨). ومن الآيات التي تعرضت لهذه المسائل قوله سبحانه: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضُوا لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (الطلاق: ٦ ، ٧) ، وهي تعالج هنا حالة من حالات التآزم بين الأزواج، تصل إلى حد التلفظ بالكلمة البغيضة- وأعني كلمة الطلاق- وهنا يبرز معنيان يغذيان العلاقات الإنسانية بين الأزواج، ويسموان بها فوق كل نتاج أرضي، أولهما: ما يتبادر إلى الأذهان من أن هذا التكليف بالإنفاق، والاهتمام بالأزواج، يأتي في الحالات غير الطبيعية، فأبي سمو ممكن أن تتخيله إذا كانت الأجواء طبيعية؟! وثانيهما: أن المواقف المشحونة قد تدفع بعض ضعاف النفوس إلى أن يتخلى عن واجباته نحو زوجته، وقد جاء هذا صريحاً في قوله: (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ)، حينها تزداد الفرقة، وتتسع الهوة بينهما؛ لتبتلع نتاج السنين من الأبناء، فكان التكليف الإلهي بالرعاية والاهتمام مستخدماً أرق وأرقى العبارات الإنسانية: السكينة والطمأنينة؛ التي تمنحها كلمة: "أَسْكِنُوهُنَّ"، إذ إن أول ما يعترى الزوجين-كليهما بلا استثناء- عندما تخيم كلمة الطلاق؛ التوتر والقلق على مصير بيتها وأبنائها. ثم تأمل ما تمنحك إياه كلمة: "مَنْ وَجَدِكُمْ" لوحدها، فكيف وقد جاءت مسبوقة بكلمة " أَسْكِنُوهُنَّ "، المتبوعة بقوله "مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ" ؟

ولقد بين الله في هذه الآيات جانباً من جوانب الإنفاق على الأهل والولد؛ عند المنعطفات المصيرية في حياة الأسرة مثل: قضايا النفقة والمسكن - كحقوق للأُم- والرضاعة كحقوق للأولاد، ففصل "مسألة الإقامة في البيوت، والإنفاق في فترة

(118) انظر : تعريف النفقة في الباب الأول ، ص ٧.

العدة؛ على اختلاف مدتها. فالمأمور به هو أن يسكنوهن مما يجدون هم من سكنى، لا أقل مما هم عليه في سكناهم؛ وما يستطيعونه حسب مقدرتهم وغناهم؛ غير عامدين إلى مضارتهم، سواء بالتضييق عليهن في فسحة المسكن أو مستواه أو في المعاملة فيه ... ثم فصل مسألة الرضاعة، فلم يجعلها واجبا على الأم بلا مقابل، فما دامت ترضع الطفل المشترك بينهما؛ فمن حقها أن تتال أجراً على رضاعته، تستعين به على حياتها، وعلى إدرار اللبن للصغير، وهذا منتهى المراعاة للأم في هذه الشريعة" (١١٩).

وإذا كانت آيات سورة الطلاق عالجت وضعاً استثنائياً، جنب الله كثيراً من الأسر الوقوع فيه، فإن آيات أخر تناولت أوضاعاً دائمة تعيشها الأسر المستقرة، فجاء قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (النساء: ٣٤)، مبيناً ما للرجال على النساء من فضل، أحد مبرراته: النفقة التي ينفقها الرجل على أهل بيته؛ " من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن؛ في كتابه وسنة نبيه ﷺ" (١٢٠).

وكما ينفق الإنسان على نفسه، وأهله، كذلك ينفق على ضيفه، وتنقل لنا الآيات مشهداً من أروع مشاهد الاهتمام بالضيف، والحفاوة به، وإنفاق الغالي بلا توان وبلا تردد، وذلك في قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينَ * فُقِرَبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) (الذاريات: ٢٤-٢٧)، وتجد في هذه الآيات مجموعة من آداب إكرام الضيوف :

- " رد التحية بأفضل منها، وهذا من حسن الاستقبال، فقد قال الضيوف: "سلاماً" بالنصب، ورد إبراهيم عليه السلام تحيتهم قائلاً: "سلام" بالرفع، والرفع أقوى وأثبت من النصب .
- الترحيب بالضيف ومنحه الأمان الذي ينشده، وهذا واضح من تبادل عبارات السلام؛ بين إبراهيم عليه السلام وضيفه المكرمين، رغم أنه منكر لهم .

(119) في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ٦، ص ٣٦٠٣ .

(120) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٩١٣ .

- إكرام الضيف بغض النظر عن حقيقته ، فكون الضيوف قوماً مجهولين بالنسبة لإبراهيم عليه السلام ، إلا أن عدم معرفته لهم لم يمنعه من تقديم واجب الضيافة؛ بل قدمه على أكمل وجه كما سنرى .
- التسلل خفية لإعداد الطعام وجلبه ، حتى لا يحول الضيف دون ذلك .
- اختيار أفضل الطعام وأطيبه .
- الإعداد السريع للطعام ، من باب الاهتمام بالضيف ، وحتى لا ينشغل عن مجالسته ومؤانسته ، ونفهم ذلك من قوله تعالى في سورة هود، واصفاً المشهد من زاوية أخرى : (**فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**) (هود : ٦٩) ، فالحرص على عدم التواني بين من لفظة " فما لبث " ، وواضح أيضاً من لفظة " حنيذ " ، أي : مشوى ، والشواء أسرع إعداداً من الطهي .
- اشتراك الأسرة جميعاً في خدمة الضيف، والقيام بواجباته؛ ألا ترى انطلاق إبراهيم عليه السلام إلى أهله - أي زوجته- لتشاركه هذه المهمة الجليلة، كأبي زوجة تدرك حقيقة دورها في الحياة ، عوناً لزوجها وسنداً له في كل مكرمة، حتى إن أحد وجهي تفسير تسمية ضيف إبراهيم عليه السلام بالمكرمين، أي: مكرمين لخدمة إبراهيم عليه السلام وزوجته لهم بأنفسهم .
- تقريب الطعام للضيف ووضعه بين يديه، زيادة في الحفاوة به، لئلا يكلفه عناء القيام والذهاب إلى موضع الطعام .
- التلطف في العرض نحو قوله تعالى : " **أَلَا تَأْكُلُونَ** " ، وذلك في دعوتهم لتناول الطعام ، وهذا لمن يرى أنها قيلت قبل أن تراوده الخيفة منهم " (١٢١) .

٢ - الإنفاق على المصالح الخاصة :

يسعى الإنسان لتوفير رزقه وسبل معيشته ، فمنهم من يوفر رزق يوم بيوم، ومنهم من يعد المشاريع الاستثمارية وينفذها ، ليستثمر ما وهبه الله له ، من إمكانات مادية أو بدنية أو ذهنية ، ولقد ذكر الله ذلك التفاوت، وبين الحكمة منه في قوله سبحانه : (**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**)

(121) انظر : جامع البيان للطبري ، المجلد ١٣ ، ج ٢٦ ، ص ٢٤١ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج

٧ ص ٣٣٠٧ ، وتفسير القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاتة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،

القاهرة ، ج ١٣ ، ص ٥٣٧٨ .

الزخرف: ٣٢) ، ويضع القرآن بين أيدينا المعايير والضوابط؛ التي يجب أن يضعها هؤلاء المستثمرون أمام أعينهم؛ ليكتب لاستثمارهم النماء ، ولهم هدوء البال، وإلا كان مصير استثمارهم الخسران، و حالهم الندم و الخذلان ، كحال صاحب الجنتين؛ الذي ضربه الله مثلاً لصنف من المستثمرين، اختلطت عليهم المعايير، وتجاوزوا الضوابط، فقال سبحانه مبيناً حالهم: (وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) (الكهف: ٤٢) ، فمن أراد لإنفاقه -على مصالحه- النماء؛ فليحذر الوقوع في طائفة من المحاذير؛ التي بينها آيات قصة صاحب الجنتين، الواردة في سورة الكهف، وإليك جملة منها:

• التباهي على الناس بكثرة المال وعزة الأنفار والأعوان :

وكان هذا أول محذور يقع فيه صاحب الجنتين ، عندما بدأت المحاورة بينه وبين صاحبه، فقال سبحانه مخبراً عنهم: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) (الكهف: ٣٤).

وهذه القصة جاءت - أساساً- تعقيباً على أصحاب الموازين الخاطئة؛ في تقييم الناس وإنزالهم منازلهم، عندما طلبوا ألا يشاركهم الفقراء مجلسهم مع النبي ﷺ ، فرد عليهم سبحانه: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (الكهف: ٢٨) ، " فبعد ذكره سبحانه المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين، وافتخارهم عليهم بأموالهم وإحسانهم، ضرب لهم ولهم مثلاً " (١٢٢) . وهذا الرجل صاحب الجنتين واحد من هذه العينة، يسوق الله قصته مثلاً؛ ليتعظ الناس .

• التوهم بأن النعم تدوم :

فقد اغتر الرجل وتصور أن جنته لا تفتنى ، فظلم نفسه بهذا التصور الفاسد، فوصفه سبحانه بقوله : (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا) (الكهف: ٣٥) ، فوجود هذا الفهم الخاطئ؛ يجعل صاحبه يستعلي على الناس ويستكبر؛ لأنه لا توجد في ذهنه مساحة تتخيل إمكانية أن تتبدل الأدوار. أما من يحمل الفهم الصحيح ، وتوجد لديه تلك المساحة من تحقق زوال النعم وفق قدر

الله المكنون ، فلن يتعالى ويتكبر، بل يتواضع ويلاطف ، لأنه لا يستبعد أن يجد نفسه في مثل حالهم يوماً .

• الظن الخاطيء بأن القيامة لن تقوم :

فقد تمادى الرجل في غيه، واستحوذ عليه الشيطان، فلم يكتفِ بظنه الفاسد الأول ، بل أتبعه بظن أشد فساداً من سابقه، كما أخبر سبحانه: (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) (الكهف:٣٦) ، فتأمل كيف أن العيوب تستدعي بعضها بعضاً " (١٢٣) .

• قياس الآخرة على الدنيا :

وهنا يبرز مرض خطير ، يتسرب إلى بعض النفوس ، فتخدع أصحابها وتعللها بالأمني ، أو أن الران على قلوبها ، جعلها لا تميز حقائق الأمور ، فمع أن الرجل أنكر البعث ، إلا أنه يجزم بأنه في حال حدوثه - وهو أمر بالنسبة له مستهجن- سينقلب إلى خير حال؛ ذلك لأنه بنى فهمه على تصور خاطيء ، بأن قاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وظن أن المنعم في الدنيا منعم في الآخرة ، ولسان حاله يردد: " كما أعطاني هذه النعم في الدنيا، فسيعطيني أفضل منه؛ لكرامتي عليه " (١٢٤) ، وهذا ما بينه سبحانه بقوله: (وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا) (الكهف:٣٦) ، وما علم المسكين أن الأمر ليس كذلك .

هذه جوانب بينتها الآيات؛ كعوامل أودت بكل مجهودات الرجل المنفق على مصالحه، المتجاوز لكل المحاذير؛ لكنها ساقط أيضاً -في المقابل- جملة من النصائح على لسان الرجل الثاني ، هي بمثابة عوامل لنجاح ودوام المصالح ، لو أخذ بها صاحب الجنتين؛ لما كان مآله هذا المآل من الخسران ، وتقليب اليدين ندماً وحسرة ، وإليك بيان بعضها :

• استدعاء بواعث التواضع:

(123) انظر : تفسير القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاتة ، ج ٨ ، ص ٢٩٨٢ ، ٢٩٨٣ .

(124) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، المجلد ٥ ، ج ١٠ ، ص ٢٩٢ .

ويتحقق ذلك بتذكر الخالق - عز وجل- المنعم المتفضل ، وتذكر أصل هذا الخلق وتطوراته ، من تراب ونطفة مهينة ، إلى رجل في هيئة سوية ، فتذكر الأصل؛ يجعلك تطامن^(١٢٥) من عليائك، وتدبر مراحل الخلق؛ يجعلك تدرك عظيم فضل الله عليك ، فتنسب الخير إليه ، وتقر له بالربوبية والوحدانية ، ونفهم ذلك من قوله سبحانه: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَلْهَاءَ لِي) (الكهف: ٣٧، ٣٨).

• ذكر الله حال رؤية النعيم :

إذ إنه عامل من عوامل حفظ الخيرات ، فشكر الله كفيلاً؛ ليس بحفظ المال والنعمة فقط؛ بل من أسباب زيادتها ، عهد قطعه الله على نفسه ، ألم تسمع قول الله عز وجل: (وَإِذْ تَأْتِيَنَّكُمْ رِجَالٌ لَبِيحٌ لِبُحْمٍ يُرْتَبُونَ لَهُمْ مِمَّنْ جَاءُوا بِالْإِثْمِ أَجْمَعِينَ) (إبراهيم: ٧) ، ومن هنا كانت نصيحة الرجل المؤمن لصاحبه: " هلا إذ أعجبتك حين دخلتها - أي الجنتين- ونظرت إليها؛ حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: ما شاء الله لا قوة إلا بالله " (١٢٦) . ولقد ذكر سبحانه ذلك الحوار بينهما ، موعظة خالدة عبر العصور ، فقال سبحانه : (وَكُلُّوا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (الكهف: ٣٩).

• الثقة بالله وقدره :

فقد بين الصالح منهما أن الجنان والأنهار ، والأموال والأنفار ، التي يتباهى بها صاحبه، كلها مرهونة بقدر الله، وبكل الثقة بالله وقدره، قال كما أخبر المولى عز وجل: (إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِّنْ حَبْتِكَ) (الكهف: ٤٠، ٣٩) .

٣ - الإنفاق في المصالح العامة :

وأقصد به ما ينفق على مصالح الأمة؛ فيعود مردوده للجميع ، ومنه ما ينفقه المسؤولون؛ لخدمة مواطنيهم والرقي بشأنهم ، وأسوق مثلاً من قصة ذي القرنين^(١٢٧) لتقريب الصورة .

(125) " طَأْمَنَ " الرجل ظهره بالهمز على فاعل ويجوز تسهيل الهمزة فيقال " طَأْمَنَ " ومعناه حناه وخفضه ، انظر المصباح المنير مادة طمن ج ٢ ص ٢٦ .

(126) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٥ ، ص ٢١٦٢ .

(127) اسمه أبو بكر بن إفريقيش من الدولة الحميرية (من سنة ١١٥ ق.م إلى ٥٥٢ م) التي يسمى ملوكها بالتبابعة جمع تبع ، وكان ملكاً صالحاً ، انظر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساکر ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ .

" ذو القرنين النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكنه الله في الأرض، وبيسر له الأسباب ؛ فيجتاح الأرض شرقاً وغرباً ؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق ، ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه، إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدراً عنهم العدوان دون مقابل ، ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق، ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه؛ إلى رحمة الله وفضله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته، قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله" (١٢٨) .

ويبرز مشهد البذل والعطاء المتبادل ؛ في رحلة من رحلات ذي القرنين الثلاثة؛ التي وردت في سورة الكهف ، وأقصد بها الرحلة التي تم خلالها بناء السد ، وفيها نلمس معاني جميلة حرياً بالحاكم المؤمن ، والمسئول الصالح أن يتحلى بها :

• مساعدة الأمم :

لم يتوان الملك المؤمن -شأن أي حاكم صالح- عن مد يد العون لمن طلبها أولاً، ويحتاجها ثانياً ، وللحد من الفساد ثالثاً ، وهي ضوابط واضحة توفرت في هذه الأمة المستضعفة ، جعلت القيادة المؤمنة؛ تؤدي رسالتها نحو البشرية دون تردد ، فالقوم لا يحاولون استغلال القائد المؤمن واستنزاف طاقاته ، بل هم حقيقة في حاجة للمساعدة، فقد عرضوا المساعدة المادية ، التي ترفع عنها الحاكم، وعندما طلبت منهم المشاركة البدنية لم يتخلفوا ، هذا ضابط. وضابط آخر: أن بناء السد ليس لأمر عادي ، بل يهدف إلى الحد من الفساد، والوقوف في وجه المفسدين، متمثلين في أجوج ومأجوج ، وهنا لا مجال للتردد، فإن مهمة الأمة المؤمنة؛ إقامة العدل على وجه الأرض، والوقوف في وجه الفساد والمفسدين، خصوصاً أن هذا السد لا يتوقف تأثيره على هذه المجموعة المحدودة من البشر، بل هو رحمة للبشرية جمعاء، ولقد قال سبحانه ذاكراً هذه الضوابط: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ
فَأَعْيُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (الكهف: ٩٣-٩٥).

• استغلال الإمكانيات والطاقات المتاحة:

صحيح أن القيادة المؤمنة ترفعت عن الأجر المادي؛ مقابل عمل هو خدمة للبشرية، ووفق منهج تلك القيادة ، ومن قوم قد يكونون في حاجة إليه ماسة، إلا أن الواجب يحتم عليها حسن إدارة؛ لاستنهاض الهمم؛ حتى تشارك في المشروع العالمي، ألا ترى أن ذا القرنين؛ كقائد مؤمن ، يعرف رسالته جيداً ، ويدرك قدراته تماماً ، استخدم ما أنعم الله به عليه من علم بخواص المواد ، وحسن إدارة مكنته من استغلال إمكانيات القوم ، واستنفار قدراتهم، كما في قوله سبحانه : (أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) (الكهف: ٩٦ ، ٩٧).

• نسب الفضل لله وحده :

فقد "نظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم، ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به؛ من أن الجبال والحوارج والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحاً أجرد مستويًا" (١٢٩) ، وتلمس هذا المعنى في قوله سبحانه وتعالى: (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا) (الكهف: ٩٨).

المطلب الثاني : الإنفاق من أجل المبادئ الفاضلة :

عالجت الآيات هذا النوع من الإنفاق تحت مسمى الإنفاق في سبيل الله، وذلك من خلال :

- بيان وجوده في نفوس الناس ، وأن هناك فئات حريصة عليه .
 - الأمر به والحث عليه .
 - بيان فضله وعدم ضياع أجره عند الله .
 - ضرب الأمثلة التي تبين مدى مردوده وعاقبته .
- وسيكتفي الباحث في هذا المطلب بمعالجة المسألة الأولى ، في حين سيتم تناول باقي المسائل في مواضع أكثر مناسبة؛ في الفصول والمباحث القادمة، بإذن الله .

ذكرت آيات سورة التوبة صنفين من الناس ، ومن الأعراب خاصة ، وفاضلت بينهم عن طريق الغاية من الإنفاق ، فكلاهما ينفق ويقدم ، بل الظاهر من إنفاق كليهما أنه في سبيل الله، ولكن شتان بين من ينفق وهو يعتبر إنفاقه مغرمًا ومخسرًا، وبين من يعتبر إنفاقه قرابة إلى الله تعالى، فقال سبحانه مبيهاً هذين الصنفين الخير منهما والسيئ: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ٩٨، ٩٩) ، وبالتأمل في هاتين الآيتين نلاحظ عدة أمور :

- يشترك الفريقان في صفة الإنفاق ، والذي ظاهره في سبيل الله ، إلا أن الخير منهما وافق ظاهره سريره ، فاتخذ من إنفاقه قرابة تقربه من الله ، في حين خالفت سريرة السيئ ما بان من أفعاله، فغدا منافقاً ، يتربص بالمؤمنين الدوائر ، ويعتبر ما ينفقه تحت مظلة الإسلام غرامة و خسارة، يتحين الفرصة للإفلات منها .

- سبق هاتين الآيتين وصف عام للأعراب في قوله سبحانه: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٩٧) ، "وبعد الوصف الرئيس العام للأعراب، يجيء التصنيف حسب ما أحدث الإيمان في النفوس من تعديلات، وما أنشأه كذلك من فروق بين القلوب؛

التي خالطتها بشاشته، والقلوب التي بقيت على ما فيها من كفر ونفاق ؛ مما يمثل الواقع في المجتمع المسلم حينذاك " (١٣٠) .

- بدأت الآيات بذكر الصنف السيئ ، وهم المنافقون من الأعراب قبل المؤمنين منهم، ربما " إلحاقاً لهم بمنافقي المدينة الذين كان يتحدث عنهم في الآيات السابقة ؛ وليتصل جو الحديث عن المنافقين من هؤلاء ومن هؤلاء ، فقال سبحانه: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا) ، فهو مضطر لأن ينفق من ماله في الزكاة وفي غزوات المسلمين ، تظاهراً بالإسلام ؛ ليستمتع بمزايا الحياة في المجتمع المسلم ، ومدارة للمسلمين ؛ وهم أصحاب السلطان اليوم في الجزيرة ، وهو يعد ما ينفقه غرامة وخسارة ، يؤديها كارهاً لا مساعدة للمجاهدين ، ولا حباً في انتصار الإسلام والمسلمين ، ويتربص بكم الدوائر، وينتظر متى تدور الدائرة على المسلمين ، ويتمنى ألا يعودوا من غزاة سالمين" (١٣١) . أما الصنف الخير: " فهؤلاء هم المؤمنون من الأعراب: وفاهم الله حقهم من الثناء عليهم ، وهم أصداد الفريقين الآخرين المذكورين في قوله: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) (التوبة:٩٧) وقوله: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا) (التوبة:٩٨) " (١٣٢) .

- " الإيمان بالله واليوم الآخر باعث الإنفاق عند الفريق المؤمن ؛ لا الخوف من الناس، ولا الملق للغالبيين ، ولا حساب الربح والخسارة في دنيا الناس " (١٣٣) ، كالفريق الآخر .

- الغاية التي يحرص على تحقيقها هذا الفريق المؤمن بالله واليوم الآخر ، والتي يتخذها هدفاً يطلبه ، ويسعى للوصول إليه ، تتمثل في أمرين ، أولهما: التقرب إلى الله ، فتعدوا نفقاته قربات عنده سبحانه . وثانيهما: الحصول على "دعوات الرسول ﷺ الدالة على رضاه ﷺ المقبولة عند الله ؛ وهو يدعو بها للمؤمنين بالله واليوم الآخر ، المنفقين ابتغاء القربى من الله ورضاه " (١٣٤) ، استجابة للأمر

(130) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٣ ، ص ١٧٠٠ .

(131) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧٠٠ ، ١٧٠١ .

(132) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، المجلد ٦ ، ج١١ ، ص ١٥ .

(133) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٣ ، ص ١٧٠١ .

(134) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٧٠١ .

الرباني: (خُدْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) (التوبة: ١٠٣).

- علم الله أن هذا الفريق المؤمن حريص على تحقيق أهداف سامية ، ومقاصد شريفة مشرفة ، لذلك جاءت البشارة من الله سريعاً ، بأن نفقاتهم حققت أهدافها ، وكتب لها القبول عند الله ، فقال سبحانه: (أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ) (التوبة: ٩٩) ، فكما كان الحرص منهم على تحقيق غاية سامية ؛ كان الحرص في المقابل على بشارتهم .
- في وصف مآل الفريق السيئ قال سبحانه: (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) (التوبة: ٩٨) ، "كأن للسوء دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم ، وتدور عليهم فلا تدعهم ، أما في وصف مآل الفريق الطيب ، يخبر سبحانه بحسن عاقبتهم ، ويعددهم بأنه سيدخلهم في رحمته ، ويجسم الرحمة كأنها دار يدخلونها فتحتويهم ؛ وذلك في مقابل تجسيم دائرة السوء على الفريق الآخر" (١٣٥) .
- "جاءت "قربات" بصيغة الجمع ، باعتبار تعدد الإنفاق، فكل إنفاق هو قربة عند الله ، وكذلك جمعت "صلوات" لأن كل إنفاق يقدمونه إلى الرسول ﷺ يدعو لهم بسببه دعوة، فبتكرر الإنفاق تتكرر الصلاة" (١٣٦) ، ولا يخفي أن صلاة الرسول ﷺ على المؤمنين هي الدعاء لهم.

المطلب الثالث : الإنفاق من أجل المبادئ الضالة :

جاء الحديث عن هذا النوع من الإنفاق ، تحت مسمى الصد عن سبيل الله ، ومن أبرز الآيات التي عالجت هذه المسألة قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٣٦) ، و الآية تقرر حقيقة مطردة ، حقيقة أن الكفار ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله ، وللوقوف في وجه دعوة الله ، وللحيلولة بين الناس وبين إتباع طريق الحق ، وفي ثنايا هذه الحقيقة ومعها، تبرز حقائق أخرى جديرة بأن يوقف عليها، وتربى عليها النفوس المؤمنة، وهى تخوض صراعها الطويل مع الباطل وأهله ؛ لما تبثه من معاني الثقة بنصر الله ، وتأبيده ، ومعيته. ومن هذه الحقائق :

(135) انظر : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٠١ .

(136) انظر : تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، المجلد ٦ ، ج ١١ ، ص ١٥ .

● حقيقة أنّ الأموال التي تبذل للصد عن دين الله ، ومحاربة دعوته ودعائه ، لن تحقق نتائجها المرجوة منها، بل ستعطي نتائج عكسية ، تعود بالحسرة والندم على منفيها .

● قد يدور بخلد بعض الناس أن الندم ناتج عن كون الأموال المبذولة لم تحقق النجاح المطلوب ، بمعنى أنها حققت بعض نجاح ، إلا أنّ الآية تقرر حقيقة أنّ عاقبة هذا البذل هي الفشل والخسران؛ على صعيدين، الأول: في الدنيا؛ لمن كتب له الحياة بعد المواجهة مع المؤمنين ، " ثُمَّ يُغْلَبُونَ " . والثاني في الآخرة؛ لمن تهاوى تحت أقدام الموحدين ، " وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ " ، والأول صائر إلى ذات المصير لكن بعد حين؛ " لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ، وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين، فهذا الخزي لهم في الدنيا؛ ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن شاء منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوؤه، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي" (١٣٧) .

● صرحت الآية بالأموال التي تنفق للصد عن سبيل الله ، مع أن الحقائق السابقة تتجاوز حدود الأموال المبذولة، إلى كل جهد يبذل للصد عن دعوة الله: من مؤتمرات تعقد، ومؤامرات تحاك، ومكائد تحبك؛ وذلك لأن كل شكل من أشكال محاربة دعوة الله؛ يحتاج إلى المال ويقوم عليه. ولقد تضافرت الآيات القرآنية لإقرار هذه الحقائق حيث يقول جل وعلا: (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) (إبراهيم: ٤٦) ، أياً كان مكرهم ومهما تعاضم، وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) (فاطر: ١٠) ، وقال تعالى: (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) (الأنعام: ١٢٤) . وتأمل السنة الإلهية المطردة ؛ في إحاققة المكر السيئ بأهله، وذلك في قوله تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إْحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر: ٤٣، ٤٢) ، والآيات كثيرة في هذا الجانب .

• تبرز من خلال الآية حقيقة أن أهل الباطل يبذلون من أجل باطلهم، وهذا يفسر لنا ظاهرة أولئك الذين يقدمون بلا توانٍ؛ رغم بطلان مذهبهم، فلا نحتار في فهم هذا السلوك النابع من الكبر والتعالي عن السير في صفوف المؤمنين؛ فيؤجج في نفوسهم سيئ المكر، وأمكر السوء كما قال سبحانه: (**اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ**) (فاطر: ٤٣)، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا ننخدع بمن ينفق الأموال ويبذل الجهد؛ فنتصور أن مجرد بذل المال وإنفاق الجهد يكفي للدلالة على صدقه، ومن ناحية ثالثة: أن نغار على ديننا، فنحن أولى بالإنفاق على مبادنتنا الفاضلة، فإذا كان أهل الباطل لم يبخلوا على باطلهم، فمن باب أولى أن يهب أهل الصلاح للذود عن حياض دعوة الحق، ولهم في قصة الرجل المؤمن في سورة "يس" خير قدوة؛ عندما ترك مصالحه وجاء من أقصى المدينة يسعى؛ لينافح عن الدعوة والدعاة، عندما تأزمت الأمور، وهدد المرسلون، وأحرق الخطر، فقال سبحانه واصفاً هذا المشهد القدوة: (**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**) (يس: ٢٠).

• لا يكفي بذل الأموال وتقديم الجهد بشكل سلبي، دون أن يكون هناك موقف لمواجهة البذل والإنفاق المضاد، "لأن المعركة لن تكف، وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الدين في أمن، وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الجاهلية على العدوان؛ ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجروا عليها الطاغوت"^(١٣٨). ويتضح هذا الفهم أكثر؛ إذا تأملنا التعقيب الإلهي في قوله سبحانه: (**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**) (الأنفال: ٣٧)، "إذ يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة... و يحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا؛ بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين، وتكون اللام معللة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله، أي: إنما أقدروناهم على ذلك؛ (**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**)، أي: من يطيعه بقتال

أعدائه الكافرين ، أو يعصيه بالنكول عن ذلك" (١٣٩) ، وعلى الاحتمال الثاني يكون إعطاء الكفار الأموال والقدرة على بذلها ليحدث التميز ، إذ "إن هذا المال الذي ينفق؛ يؤلب الباطل ويملي له في العدوان ؛ فيقابله الحق بالكفاح والجهاد، وبالحرمة للقضاء على قدرة الباطل على الحركة ، وفي هذا الاحتكاك المرير ؛ تتكشف الطباع ، ويتميز الحق من الباطل ، كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل ، حتى بين الصفوف التي تقف ابتداء تحت راية الحق ؛ قبل التجربة والابتلاء ، ويظهر الصامدون الصابرون المثابرون الذين يستحقون نصر الله ؛ لأنهم أهل لحمل أماناته ، والقيام عليها ، وعدم التفريط فيها تحت ضغط الفتنة والمحنة ، عند ذلك يجمع الله الخبيث على الخبيث ؛ فيلقي به في جهنم ، وتلك غاية الخسران " (١٤٠) .

- يحسم هذا الفهم – وأعني به مواجهة إنفاق الكفار الأموال في الصد عن سبيل الله مواجهة عملية رادعة – أمران ، الأول: التهديد الإلهي للكفار في الآية التالية مباشرة بالانتهاء " عما هم فيه من الكفر ، ومن التجمع لحرب الإسلام وأهله ، ومن إنفاق الأموال للصد عن سبيل الله " (١٤١) ، حيث يقول سبحانه: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةَ الْأُولِينَ) (الأنفال: ٣٨) ، والثاني: الأمر الإلهي للمؤمنين مقررأ حكماً دائماً للدعوة الإسلامية ؛ في مواجهة الواقع الجاهلي الدائم ؛ وذلك في قوله تعقياً على الآيات السابقة: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (الأنفال: ٣٩) ، ويؤكد ما سبق قول الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٥١) ، وقوله سبحانه: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: ٤٠) ، وفي الآيتين تجد حكمة التدافع وضرورته للقضاء على الفساد ، والمحافظة على كل قيمة نبيلة.
- وأؤكد قبل الابتعاد عن هذه المسألة أن الإسلام "حركة إيجابية تواجه الواقع البشري بوسائل مكافئة وأنه حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية" (١٤٢) .

(139) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٤ ، ص ١٥٨٠ .

(140) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٣ ، ص ١٥٠٧ .

(141) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٥٠٧ .

(142) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٣ ، ص ١٥٠٨ .

الفصل الثاني أصناف الإنفاق وأحكامه

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإنفاق المطلق

المبحث الثاني : إنفاق المال

المبحث الثالث : بدائل الإنفاق

المبحث الرابع : أحكام الإنفاق

الفصل الثاني أصناف الإنفاق وأحكامه

توطئة :

يتناول الباحث في هذا الفصل الإنفاق من ناحية أصنافه وأحكامه ، ويقصد بالأصناف: الأشياء التي ينفق منها؛ سواء كانت مالا أو وقتاً أو جهداً أو النفس ذاتها. وبالنظر في الآيات القرآنية التي تعرضت لهذه المسائل، نجد بعضها صرح بالصنف الذي أنفق أو يُنْفَقُ منه ، وبعضها ترك الأمر بلا تحديد، فلم يذكر صنفا بعينه ، وبناء على هذا تمت دراسة أصناف الإنفاق من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول الإنفاق المطلق

يعالج هذا المبحث الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإنفاق؛ دون تصريح بالشيء المنفق منه، وجاء التعبير فيها عاماً غير محدد، وقام الباحث بتصنيفها من حيث عمومها أو اقتصرها على الإنفاق المالي ، معتمداً في تصنيفه على الأسس التالية:

- اعتماد ظاهر النص؛ ما لم ترد قرينة تعطي فهماً آخر.
- استثناء الآيات التي صرحت بالإنفاق المالي، وإرجائها إلى مبحثها الخاص .
- الاستناد إلى أقوال أغلب المفسرين، وإن وجد من خالفهم .
- التعرض للآيات من حيث عمومها أو اختصاصها بالإنفاق المالي ، وترك التعليق على ما فيها؛ من معاني وإشارات إلى مباحثها الخاصة .

جدول رقم (٨)

مواضع الإنفاق الغير محدد صنفه

الرقم	صيغة التعبير	العدد	تحديد المواضع (السورة/الآية)
١	من خير	٦	البقرة/١١٠
			البقرة/٢١٥
٢	من شيء	٣	آل عمران/٩٢
		٢	المنافقون/١٠
		١	يس/٤٧
٣	مما رزقناكم	١	النساء/٣٩
		١	البقرة/٢٥٤

٢٢/ع	الأنفال/٣	البقرة/٣	٩	مما رزقناهم		٣
السجدة/١٦	الحج/٣٥	إبراهيم/٣١				
الشورى ٣٨	فاطر/٢٩	القصص/٥٤				
		النحل/٧٥	١	ينفق منه (أي الرزق)	الرزق والمعنى	
		البقرة/٢٦٧	١	من طيبات ما كسبتم		
		الحديد/٧	١	مما جعلكم مستخلفين فيه		
التوبة/٥٤	التوبة/٥٣	البقرة/١٩٥	١٥	صيغ أخرى غير محددة		٤
التوبة/٩٢	التوبة/٩١	آل عمران/١٧				
التوبة/٩٩	التوبة/٩٨	آل عمران ١١٧				
الكهف/٤٢	الإسراء/ ١٠٠	آل عمران ١٣٤				
الحديد/١٠	محمد/٣٨	الفرقان/٦٧				

وبالنظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإنفاق؛ دون تصريح بالصنف المنفق منه؛ نجد أنها عمدت إلى صيغ متعددة، بالإمكان عرضها في النقاط التالية:

انظر جدول رقم (٨)

أولاً: صيغة " من خير " :

وقد جاءت هذه الصيغة في ستة آيات، ورغم أنها صيغة عامة غير محددة؛ إلا أن أغلب المفسرين يرون أن المقصود بالخير في أربع آيات منها هو المال؛ ولهذا أرجأ الباحث الحديث عنها إلى مباحث أكثر مناسبة^(١٤٣)، وقصر الحديث هنا على الآيتين الباقيتين؛ لأن أغلب المفسرين على أنها عامة، وهاتان الآيتان هما:

١. قوله تعالى في سورة البقرة: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١١٠)، والخير في هذه الآية يحمل على إطلاقه، فترى فيها أنه " لما قدم الأمر بالصلاة والزكاة، أتى بهذه الجملة الشرطية عامة لجميع أنواع الخير، فيندرج فيها الصلاة والزكاة وغيرهما ... وقد فسر الخير هنا بالزكاة والصدقة، والأظهر العموم " ^(١٤٤)، وقد فسر الطبري^(١٤٥) الخير في هذه الآية على عمومه فقال: " والخير: هو

(143) انظر: مبحث أولويات الإنفاق ص ١٣١، ومبحث الإنفاق يعود بالخير على الإنسان ص ١٧٢.

(144) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معرض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج ١، ص ٥١٩.

(145) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد أبو جعفر الطبري، من أمل طبرستان، مولده سنة ٢٢٤هـ، طلب العلم وأكثر الترحال، ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ وأيام الناس... المؤرخ المفسر الإمام، ولد في، واستوطن بغداد وتوفي

العمل الذي يرضاه الله " (١٤٦). ويؤكد ما ذهب إليه الباحث من عموم لفظة " خير " ؛ بيان الزمخشري (١٤٧) لمعنى " من خير " بأنه " من حسنة: صلاة، أو صدقة، أو غيرهما " (١٤٨).

٢. وقوله تعالى في سورة المزل: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المزل: ٢٠) ، والخير هنا عام لكل أبوابه ، " وما تقدّموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا؛ من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله؛ من صلاة أو صيام أو حجّ، أو غير ذلك من أعمال الخير؛ في طلب ما عند الله؛ تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم، هو خيراً لكم مما قدّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثواباً " (١٤٩).

ثانياً: صيغة "من شيء":

وقد جاءت هذه الصيغة في ثلاث آيات وهي :

١. قوله تعالى في سورة آل عمران: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران: ٩٢) ، " و"من" في: { من شيء } لتبيين ما تنفقوا، أي: من أي شيء كان؛ طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه، فإن الله

سنة ٣١٠ هـ ، ودفن في داره برحبة يعقوب ببغداد ، انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(146) جامع البيان للطبري ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٦٢٧ .

(147) العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ... ولد في زمخش من عمل خوارزم ... وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، وله نظم جيد ، مات ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ ، انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

(148) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ٤٦٧ هـ - ٥٣٨ هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١، ص ٣٠٤ .

(149) جامع البيان للطبري ، المجلد ٢٩ ، ج ١٤ ، ص ١٥٢ .

عليم بكل شيء تنفقونه؛ فمجازيكم بحسبه" (١٥٠). وهذا ما فهمه الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فتصدق أبو طلحة رضي الله عنه (١٥١)

بيرحاء (١٥٢)، " فقد أخرج البخاري (١٥٣) ومسلم – واللفظ للبخاري (١٥٤) - قال أنس (١٥٥) : فلما أنزلت هذه الآية ﴿ لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ؛ قام أبو طلحة ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة الله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله ﷺ حيث أراك الله. قال: فقال: رسول الله ﷺ (بخ ذلك مال راجح ذلك مال راجح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين) ، فقال أبو طلحة ﷺ : أفعل يا رسول الله ﷺ فقسّمها أبو طلحة ﷺ في أقاربه وبني عمه. ويقول القرطبي (١٥٦) - في تفسيره- معقباً على هذه الآية

(150) الكشاف للزمخشري ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

(151) أبو طلحة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ... أحد أعيان البدرين ، وأحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة ، واسمه زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي النجاري ... قيل أنه غزا بحر الروم فتوفي في السفينة والأشهر أنه مات بالمدينة سنة ٣٤هـ، انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ١ ص ٥٠ .

(152) بئرحاء - بالحاء المهملة - ويقال بئرحا بغير همزة ، وبيرحاء بالمد ، وبيرحا بفتح الباء والراء والقصر كل ذلك قد روي في اسم هذا الموضع ، وهي أرض كانت لأبي طلحة رضي الله عنه بالمدينة قرى المسجد ؛ ويعرف بقصر بني جديلة ، انظر : معجم البلدان للحموي ، ج ١ ، ص ٦٢٢ .

(153) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله : حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، ولد في بخارى ونشأ يتيماً ... وأقام فيها ... وأخرج إلى خرقنك (من قرى سمرقند) فمات فيها سنة ٢٥٦هـ : انظر الأعلام للزركلي ، ج ٦ ، ص ٤٣ .

(154) صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، كتاب الزكاة ، باب رقم ٤٤ ، الزكاة على الأقارب ، حديث رقم ١٤٦١ ، ص ٢٨٤ ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب رقم ١٤ ، فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين ، حديث رقم ٩٩٨ ، ص ٣٨٨ .

(155) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ... صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ... مولده في المدينة وأسلم صغيراً وخدم الرسول ﷺ إلى أن قبض ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها سنة ٩٣هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ٢٤-٢٥ .

(156) الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، كان إماماً علماً من الغواصين على معاني الحديث...توفي بمنية بني خصيب من صعيد مصر سنة ٦٧١هـ انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد بن العماد ، المجلد ٣ ج ٥ ، ص ٣٣٥ .

بما يؤكد ما ذهب إليه الباحث من عمومها: " المعنى: حتى تنفقوا مما تحبون في سبيل الخير، من صدقة أو غيرها من الطاعات، وهذا جامع " (١٥٧) .

٢. وقوله تعالى في سورة الأنفال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠) ، وفيها "حضّ على النفقة في سبيل الله، من جهاد وغيره، وكان الصحابة يحمل الواحد منهم؛ الجماعة على الخيل والإبل، وجهّز عثمان رضي الله عنه جيش العسرة بألف دينار" (١٥٨) ، وإلى هذا أشار الطبري فقال: "وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب: من سلاح، أو حراب، أو كراع، أو غير ذلك من النفقات؛ في جهاد أعداء الله من المشركين؛ يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده، حتى يوفيكموها يوم القيامة" (١٥٩) .

٣. وقوله تعالى في سورة سبأ: (قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ: ٣٩) ، " و"من شيء" بيان لما في "ما" من العموم" (١٦٠) . ولقد جاءت هذه الآية تعقيباً على تباهي الكفار بالأموال والأولاد ، وذكر سبحانه هذا التباهي بقوله: (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ) (سبأ: ٣٥) ، وجاءت كذلك بعد البيان الإلهي بأن الأموال والأولاد ليست هي معيار القرب من الله؛ ما لم تكن عملاً صالحاً، فقال سبحانه: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) (سبأ: ٣٧) ، وعندما يأتي التعقيب ببيان الإنفاق الذي يخلفه الله في قوله: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ ؛ يميل الباحث -ومن خلال هذه المعاني جميعاً- إلى أن الآية ليست خاصة بالمال فقط ؛ بل على الأقل الأموال والأولاد ؛ إن لم تكن أشمل ، فالآية تشير إلى أن : " قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد ؛ إن الله يوسع على من يشاء ، ويضيق على من يشاء ، فلا تغتروا بالأموال والأولاد؛

بل أنفقوها في طاعة الله ، فإن ما أنفقتم في طاعة الله ؛ فهو يخلفه" (١٦١) .

ثالثاً: الإنفاق من الرزق : وجاء التعبير بهذا المعنى بعدة صيغ :

١. صيغة "مما رزقناكم" : وذلك في آيتين وهما:

أ- قوله تعالى في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: ٢٥٤) ، "وظاهر هذه الآية أنها مراد بها جميع وجوه البر من سبيل خير، وصلة رحم،

(157) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٢ ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

(158) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج ٤ ، ص ٥٠٩ .

(159) جامع البيان للطبري ، المجلد ٦ ، ج ١٠ ، ص ٣٩ .

(160) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، المجلد ١١ ، ج ٢٢ ، ص ٢٢٠ .

(161) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٧ ، ج ١٤ ، ص ٢٢٤ .

ولكن ما تقدّم من الآيات في ذكر القتال، وأن الله يدفع بالمؤمنين في صدور الكافرين، يترجح منه أن هذا النذب إنما هو في سبيل الله، ويقوي ذلك قوله في آخر الآية: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: فكافحوهم بالقتال بالأنفس وإنفاق الأموال (١٦٢).

ب- وقوله تعالى في سورة "المنافقون": (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون: ١٠). الظاهر أن المراد الإنفاق في الخير على عمومته، ومجيء هذه الآية بعد قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمُ وَلَا أَوْلَادَكُمُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) (المنافقون: ٩)، فيه إشارة إلى أن الإنفاق المعني هو: إنفاق الأموال والأولاد.

٢. صيغة "مما رزقكم": وجاءت هذه الصيغة في آية واحدة؛ هي قوله تعالى في سورة يس: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (يس: ٤٧)، وفيها الأمر بالإنفاق، "وهو عام في الإطعام وغيره" (١٦٣)، وتظهر عموميته من أنه من رزق الله المتنوع المتعدد، ويؤكد ذلك بقية الآية وهي تنقل حجة الكفار الباهتة؛ حيث "أجابوا بغاية المخالفة؛ لأن نفي إطعامهم يقتضي نفي الإنفاق العام، فكأنهم قالوا: لا ننفق، ولا أقل الأشياء التي كانوا يسمحون بها، ويؤثرون بها على أنفسهم، وهو الإطعام الذي به يفتخرون، وهذا على سبيل المبالغة" (١٦٤).

٣. صيغة "مما رزقهم": وجاءت هذه الصيغة في آية واحدة هي قوله تعالى في سورة النساء: (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا) (النساء: ٣٩)، وهي وإن كانت بألفاظ عامة؛ إلا أن مجيئها بعد الحديث عن المراءة في إنفاق الأموال؛ جعل الباحث يميل إلى اعتبارها من آيات الإنفاق المالي.

٤. صيغة "مما رزقناهم": وجاءت هذه الصيغة في تسع آيات، منها سبع آيات جاء فيها الحديث عن الإنفاق من الرزق؛ مسبوفاً بالحديث عن إقامة الصلاة، وأغلب المفسرين في أن الآيات السبع هي في إنفاق المال، على خلاف بينهم في كونه إنفاق الفرض أي الزكاة، أو إنفاق النفل، أي التطوع، "ورجح كونها الزكاة المفروضة لاقتترانها بأختها الصلاة في عدة مواضع من القرآن والسنة.... ولأن الصلاة طهارة للبدن، والزكاة طهارة للمال والبدن، ولأن الصلاة شكر لنعمة البدن، والزكاة شكر لنعمة المال، ولأن أعظم ما لله على الأبدان من الحقوق الصلاة، وفي الأموال الزكاة" (١٦٥)، ومن القرائن التي تشير إلى أن "المقصود بالإنفاق في بعض هذه الآيات هو الزكاة: التشابه بينها وبين آيات

(162) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٢٨٥.

(163) المرجع السابق، ج ٧، ص ٣٢٥.

(164) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٧، ص ٣٢٥.

(165) المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٥.

جاءت مصرحة بلفظ الزكاة " (١٦٦) ، فإذا قارنت بين واحدة من هذه الآيات السبع؛ وهي قوله تعالى في أول سورة البقرة: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة: ٣) ، وبين قوله تعالى في أول سورة النمل: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (النمل: ٣) ، وكذلك مقارنتها بقوله تعالى في سورة لقمان: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (لقمان: ٤) ؛ تجد التعبير صريحاً بالزكاة مع تشابه الموضوع؛ ولهذا يميل الباحث إلى تأجيل دراسة هذه الآيات السبع إلى مبحث الإنفاق المالي.

أما الآيتان المتبقيتان؛ فقد جاء فيهما الحديث عن الإنفاق من الرزق؛ من غير إقران بالصلاة ، وهما :

أ- قوله تعالى في سورة القصص: (أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (القصص: ٥٤) ، "أي: ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون على خلق الله؛ في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم، والزكاة المفروضة، والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات" (١٦٧).

ب- و قوله تعالى في سورة السجدة: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (السجدة: ١٦) ، "أي: من الذي رزقناهم، أو من رزقهم، وذلك الصدقة الواجبة، وقيل: صدقة النفل، والأولى الحمل على العموم" (١٦٨) ، فينفقون " في طاعة الله وفي سبيله" (١٦٩).

٥. صيغة " ينفق منه " : إشارة إلى الرزق ، وذلك في قوله تعالى في سورة النحل: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (النحل: ٧٥) ، والرزق في هذه الآية، شامل لكل رزق ، " مما يحسن في عيون الناس؛ لكونه رزقاً كثيراً مشتملاً على أشياء مستحسنة نفيسة، تروق الناظرين إليها " (١٧٠) ، والإنفاق يقع من هذا الرزق الشامل فهو إنفاق

(166) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(167) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٦ ، ص ٢٦٦٧ .

(168) فتح القدير للشوكاني ، الجامع بين فني الرواية والدراية ، تأليف محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ١٣٨٥ .

(169) جامع البيان للطبري ، المجلد ١١ ، ج ٢١ ، ص ١٠٩ .

(170) فتح القدير للشوكاني ، ص ٩٦٤ .

عام " ينفق منه في وجوه الخير، ويصرف منه إلى أنواع البر والمعروف " (١٧١).

٦. صيغ أخرى في معنى الرزق ، وهى :

أ- صيغة "من طيبات ما كسبتم " : في قوله تعالى في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ) (البقرة: ٢٦٧) ، " وظاهر قوله: (مَا كَسَبْتُمْ) عموم كل ما حصل بكسب من الإنسان المنفق، وسعاية وتحصيل بتعب بدن، أو بمقاوله في تجارة، وقيل : هو ما استقر عليه الملك من حادث أو قديم" (١٧٢) ، وعليه: فالإنفاق المأمور به هنا من العام؛ لأنه يقع من كسب عام .

ب- وصيغة " مما جعلكم مستخلفين فيه " : في قوله تعالى في سورة الحديد : (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (الحديد: ٧) ، "والظاهر أن معنى الآية الترغيب في الإنفاق في الخير ، وما يرضاه الله على العموم ، وقيل: هو خاص بالزكاة المفروضة ، ولا وجه لهذا الخصوص " (١٧٣) .

رابعاً: صيغ مطلقة غير محددة :

وقد جاءت هذه الصيغ في خمس عشرة آية ، واحدة في سورة البقرة ، وثلاث في سورة آل عمران ، وست في سورة التوبة ، وخمس موزعة على سور الإسراء والكهف والفرقان ومحمد والحديد ، والآيات جميعها في الإنفاق بشكل عام ، وهذا بيانها :

- ١ . قوله تعالى في سورة البقرة: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥).
- ٢ . وقوله تعالى في سورة آل عمران: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) (آل عمران: ١٧) .
- ٣ . وقوله تعالى في سورة آل عمران: (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: ١١٧).

(171)فتح القدير للشوكاني ، ص ٩٦٤ .

(172) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(173) فتح القدير للشوكاني ، ص ١٧٣٨ .

- ٤ . و قوله تعالى في سورة آل عمران: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٤).
- ٥ . و قوله تعالى في سورة التوبة: (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) (التوبة: ٥٣).
- ٦ . و قوله تعالى في سورة التوبة: (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَيُرْسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) (التوبة: ٥٤).
- ٧ . و قوله تعالى في سورة التوبة: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: ٩١).
- ٨ . و قوله تعالى في سورة التوبة: (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة: ٩٢).
- ٩ . و قوله تعالى في سورة التوبة: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (التوبة: ٩٨).
- ١٠ . و قوله تعالى في سورة التوبة: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذْخُلَهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة: ٩٩).
- ١١ . و قوله تعالى في سورة الإسراء: (قُلْ لَوْ أَنُّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا) (الإسراء: ١٠٠).
- ١٢ . و قوله تعالى في سورة الكهف: (وَاحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) (الكهف: ٤٢).
- ١٣ . و قوله تعالى في سورة الفرقان: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان: ٦٧).
- ١٤ . و قوله تعالى في سورة محمد: (هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُفْقَائِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَكَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: ٣٨).
- ١٥ . و قوله تعالى في سورة الحديد: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد: ١٠).

المبحث الثاني إنفاق المال

بين سبحانه في كتابه الحكيم؛ الأسس التي يتم وفقها التعامل مع قضايا المال ، وكنموذج لهذا البيان؛ جاءت ثلاث آيات متتالية في سورة الروم توضح بعض هذه الأسس، وذلك في قوله سبحانه: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ)(الروم: ٣٧-٣٩) ، ومن هذه الأسس :

١. الملك الحقيقي هو لله تعالى، والمال في أصله مال الله؛ رزقه لبعض عباده، واستخلفهم عليه، ويؤكد ذلك قوله سبحانه: (وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) (الحديد: ٧) ؛ وهذا "يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله؛ بخلقه وإنشائه لها؛ وإنما مولاكم إياها، وخولكم إياها، وخولكم الاستمتاع به، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها؛ فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب؛ فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها؛ كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره" (١٧٤).

٢. المحتاجون لهم حق في المال قررره الله سبحانه، وعلى من استخلفه الله فيه أن يوصله إلى مستحقه، وقد ذكرت الآيات منهم: نوي القربى والمسكين وابن السبيل.

٣. "طرق نمو الأموال وزيادتها تتم وفق تعاليم الله عز وجل، فكما أنه هو الذي يبسط الرزق ويقبضه، وهو الذي يعطي ويمنع وفق مشيئته سبحانه، فهو يوجه أصحاب المال الذين اختارهم ليكونوا أمناء عليه إلى خير الطرق للتنمية والفلاح، وهي إيتاء ذي القربى والمسكين وابن السبيل، والإنفاق بصفة عامة- في سبيل الله، ويؤكد ذلك قوله سبحانه تعقيباً على هذا الإنفاق: (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، أما محاولة تنمية المال بعيداً عن منهج الله

فهي محاولات بعيدة عن الفلاح، ومصيرها الخسران بدليل قوله تعالى: (وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ).

و هذه هي أسس النظرية الإسلامية في المال، وإليها ترجع جميع التفريعات في النظرية الاقتصادية للإسلام؛ فما دام المال مال الله؛ فهو خاضع -إن- لكل ما يقرره الله بشأنه... سواء في طريقة تملكه، أو في طريقة تنميته، أو في طريقة إنفاقه، وليس واضح اليد حراً في أن يفعل به ما يشاء" (١٧٥).

ولقد شرع لنا الإسلام نوافذ لإنفاق المال، ألزم ببعضها- متمثلاً في الزكاة- وندب إلى بعضها - متمثلاً في الصدقات- كما بين لنا كيفية التصرف إزاء حالات خاصة، كمن قدر له أن يلي أموال أيتام مثلاً ، ومسألة المهور . وإلى جانب ذلك وجهنا إلى التعامل مع أصناف معينة بأولوية خاصة ، فقال سبحانه: (قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فُلِلُواْ لِلدِّينِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (البقرة: ٢١٥) ، وبناءً على ما سبق فإن لإنفاق المال نوافذ متعددة :

- ١- الزكاة .
- ٢- الإنفاق على الأهل، والولد، وذي القربى .
- ٣- الصدقات على الفقراء والمساكين .
- ٤- الإنفاق في الصالح العام ، وتنمية المال .
- ٥- أداء الحقوق في أموال اليتامى ، ومهور النساء ، والديون وغيرها .

ويعالج هذا المبحث مسألتين منهما من خلال مطلبين:

الأول: إيتاء الزكاة .

والثاني: أداء الحقوق في أموال اليتامى ومهور النساء.

وذلك لأن باقي المسائل إما تم مناقشتها مثل: مسألة الإنفاق في الصالح العام (١٧٦) ، وتنمية المال. وإما سيتم تناولها في المباحث القادمة، كمسألة الإنفاق على الأهل، والولد، وذي القربى (١٧٧) ، ومسألة الصدقات على الفقراء والمساكين التي هي أحد مصارف الزكاة.

المطلب الأول : إيتاء الزكاة :

جاء ذكر الزكاة في القرآن في اثنين وثلاثين موضعاً ، قرنت بلفظ الإيتاء في سبع وعشرين موضعاً ، وقرنت بألفاظ أخرى في ثلاثة مواضع ، وجاءت بغير معنى الزكاة المباشر في موضعين، وبالنظر في الألفاظ التي قرنت بلفظ الإيتاء؛ تجد سبعاً منها في آيات مكية ، والباقي في آيات مدنية ، وسيتم تناول المسألة من حيث ورودها في القرآن المكي والمدني .

أولاً : آيات الزكاة في القرآن المكي : انظر جدول رقم (٩)

(175) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٥ ، ص ٢٧٧١ .

(176) انظر : مطلب الإنفاق في مصالح الدنيا من هذا الفصل ، ص ٤٣ .

(177) انظر : مبحث أولويات الإنفاق ص ١٢٦ .

" كانت الصدقة قبل الهجرة واجبة على الجملة، موكولة إلى حرص المؤمن ، وقد أطلق عليها اسم الزكاة؛ في آيات مكية كثيرة ... فالمراد بها في تلك الآيات الصدقة الواجبة، وكانت غير مضبوطة بنصب، ثم ضبطت بأصناف ونصب ومقادير مخرجة عنها... وإنما ضبطت بعد الهجرة، فصار ما عداها من الصدقة غير واجب، وقصر اسم الزكاة على الواجبة، وأطلق على ما عداها اسم الصدقة، أو البر، أو نحو ذلك " (١٧٨) ، وهذه الآيات المكية على ثلاثة أقسام:

جدول رقم (٩) آيات الزكاة في القرآن المكي

الرقم	صيغة التعبير	اللفظة	العدد	تحديد المواضع (السورة/ الآية)
١	صيغ الإيتاء	إِيْتَاءَ الزَّكَاةِ	١	الأنبياء/٧٣
		يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ	٤	الأعراف/١٥٦
				لقمان/٤
			فصلت/٧	
٢	صيغ التوصية والفعل والأمر	وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ	١	الروم/٣٩
		وَأْتُوا الزَّكَاةَ	١	المزمل/٢٠
		وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ	١	مريم/٣١
٣	التعبير بالزكاة عن الصلاح والطهر	وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ	١	مريم/٥٥
		لِلزَّكَاةِ فَاعْلَمُونَ	١	المؤمنون/٤
		خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً	١	الكهف/٨١
			١	مريم/١٢

الأول : التعبير عن أداء الزكاة بصيغ الإيتاء :

١- قوله تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء:٧٣) ، وفيها يتحدث القرآن المكي عن الزكاة ؛ كجزء من الشرائع والتكاليف الموحى بها للأنبياء السابقين، وهم في هذه الآية: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فأخبر أنه جعلهم أئمة ، يقتدي بهم في الخير، ويدعون الناس إلى دين الله ، وأوحى إليهم فعل

الخيرات ، وهي العمل بالشرائع ، وإقام الصلاة بالمحافظة عليها ، وإيتاء الزكاة بإعطائها لمستحقيها (١٧٩) .

٢- قوله سبحانه: (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ١٥٦) ، وذلك عند الحديث عن موسى عليه السلام ، ومواقف قومه ، فالآية تبين " أن الرحمة التي سألها موسى له ولقومه؛ وعد الله بإعطائها لمن كان منهم متصفا بأنه من المتقين، والمؤتئين الزكاة، ولمن كان من المؤمنين بآيات الله... فتشمل هذه الرحمة من اتقى وآمن وأتى الزكاة ؛ من بني إسرائيل؛ قبل بعثة محمد ﷺ ، فإن إبتاعهم إياه متعذر الحصول قبل بعثته ، ولكن يجب أن يكونوا عازمين على إبتاعه عند مجيئه ؛ أن كانوا عالمين بذلك" (١٨٠) ، وتشمل أيضا من يؤمن به عند بعثته ﷺ ، فالآية التالية مباشرة هي قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) (الأعراف: ١٥٧).

٣- كذلك تحدث القرآن المكي عن الزكاة ؛ وهو يبين أصناف الذين يتأثرون بآيات الله ، فقال سبحانه: (طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (النمل: ١-٣) ، " والمراد بالزكاة هنا الصدقة مطلقاً ، أو صدقة واجبة كانت على المسلمين ، وهي مواساة بعضهم بعضاً ، كما دل عليه قوله في صفة المشركين : (كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) (الفجر: ١٨، ١٧). وأما الزكاة المقدره بالنصب ، والمقادير الواجبة على أموال الأغنياء ؛ فإنها فرضت بعد الهجرة ، فليست مراداً هنا؛ لأن هذه السورة - النمل- مكية" (١٨١)

٤- قوله تعالى : (وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) (الروم: ٣٩). ومن الملاحظ أنه " لم تكن الزكاة بعد قد حددت ، ولا مستحقوها قد حصروا . والآية وإن بينت واحدة من محاولات تنمية المال الفاشلة؛ إلا أن نصها بإطلاقه يشمل جميع الوسائل ؛ التي يريد بها أصحابها أن ينموا أموالهم بطريقة ربوية ؛ في أي شكل من الأشكال ، وبينت لهم في الوقت ذاته ، وسيلة النماء الحقيقية المضمونة لمضاعفة المال ، وهي إعطاؤه بلا مقابل ، وبلا انتظار رد ولا عوض من الناس ؛ إنما هي إرادة وجه الله ، أليس هو الذي يبسط الرزق ويقدر ؟ أليس هو الذي يعطي الناس ويمنع ؟ فهو الذي يضاعف -

(179) انظر : معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

٢١٠هـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ج ٤ ، ص ٦٢ .

(180) تفسير التحرير والتوير للطاهر بن عاشور ، المجلد ٥ ، ج ٩ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(181) تفسير التحرير والتوير للطاهر بن عاشور ، المجلد ٩ ، ج ١٩ ، ص ٢١٩ .

إذن- للمنفقين ابتغاء وجهه ، وهو الذي ينقص مال المرابين الذين يبتغون وجوه الناس " (١٨٢)

٥- قوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (لقمان: ٢-٤) ، "والزكاة هنا الصدقة ، وكانت موكولة إلى هم المسلمين ؛ غير مضبوطة بوقت ولا بمقدار، والمحسنون هم الفاعلون للحسنات ، وأعلاها الإيمان ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ؛ ولذلك خصت هذه الثلاث بالذكر بعد إطلاق المحسنين ؛ لأنها أفضل الحسنات، وإن كان المحسنون يأتون بها وبغيرها " (١٨٣)

٦- قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) (فصلت: ٦،٧) ، والمفسرون في هذا على رأيين أولهما: أن المقصود بـ: (لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، يعني: لا يشهدون أن لا إله إلا الله . ولقد بين ابن كثير المعنى بصورة أشمل ، فذكر في تفسيره أن " المراد بالزكاة هنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ؛ ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك، ودلل على هذا الفهم - بأن الزكاة تعني الطهارة - فبين أن زكاة المال إنما سميت زكاة ؛ لأنها تطهره من الحرام ، وتكون سببا لزيادته وبركته ، وكثرة نفعه ، وتوفيقاً إلى استعماله في الطاعات " (١٨٤)

والرأي الثاني للمفسرين: أن المقصود بـ: (لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، يعني: يمنعون زكاة أموالهم، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، فقال : " والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : معناه: لا يؤتُونَ زكاة أموالهم ؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة ، وأن في قوله: (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) ، دليلاً على أن ذلك كذلك ؛ لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية ؛ كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، فلو كان قوله: (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله ؛ لم يكن لقوله: (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) معنى ؛ لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة ، وفي إتباع الله قوله : (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) ، قوله : (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) ، ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال " (١٨٥) . "وأورد الشوكاني (١٨٦) عند تفسيره لهذه الآية القائلين بالرأي الثاني بأسمائهم ، في حين ذكر القائلين بالرأي الأول بصيغة

(182) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٥ ، ص ٢٧٧٢ .

(183) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، المجلد ١٠ ، ج ٢١ ، ص ١٤١ .

(184) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٧ ، ص ٣٠٩٤ .

(185) جامع البيان للطبري ، المجلد ١٢ ، ج ٢٣ ، ص ١٠٢ .

(186) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ...

وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٦ ،

التضعيف "قبل" ، دون ذكر لأسمائهم ، وفي هذا إشارة إلى ميله للرأي الثاني " (١٨٧)

وبين قوة حجة الفريق الثاني ، أضف إلى ذلك أن حمل معنى الزكاة - الواردة في الآية التي بين أيدينا- على أنه طهارة النفس ؛ لكونها مكية ، يتطلب أن نحمل معنى الزكاة الواردة في الآيات المكية الأخرى على نفس المحمل ، وهذا ما لم يقل به أحد ، ثم إن أصحاب الرأي الأول أوردوا في ثنايا عباراتهم ما يدعم الرأي الآخر ، فهذا ابن كثير (١٨٨) يقول : " اللهم إلا أن يقال : لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة ؛ كان مأموراً به في ابتداء البعثة ، كقوله تبارك وتعالى : (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) (الأنعام: ١٤١) ، أما الزكاة ذات النصب والمقادير ؛ فإنما بين أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعاً بين القولين ، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة ، فلما كان ليلة الإسراء - قبل الهجرة بسنة ونصف- فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس ، وفصل شروطها وأركانها ، وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، والله أعلم " (١٨٩)

٧- قال تعالى مخففا قيام الليل: (فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (المزمل: ٢٠) ، والمقصود بالزكاة هنا: الزكاة الواجبة؛ دون مقاديرها التي نزلت بعد ذلك ، " ومن مال إلى أنها المفروضة ؛ جعل آخر السورة مدنياً " (١٩٠) ، وهذا قول مردود، إذ إن سورة المزمل من أوائل ما نزل ، وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهراً فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة (١٩١) رضي الله عنها قالت: (فإن الله -عز وجل- افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله - في آخر هذه السورة - التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة) (١٩٢)

والملاحظ على الآيات السبع السابقة أنها :

١- جاءت الزكاة فيها مقرونة بالصلاة، عدا آيات فصلت والروم والأعراف.

(187) فتح القدير للشوكاني ، ص ٣٠٩٤ .

(188) الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ، كان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم ... انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ... توفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية سنة ٧٧٤هـ ، انظر : شذرات الذهب لابن العماد ، المجلد ٣ ، ج ٦ ، ص ٢٣١ .

(189) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٧ ، ص ٣٠٩٤ .

(190) انظر : الكشف للزمخشري ، ج ٤ ، ص ٦٣٠ .

(191) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشية ، زوجة النبي ﷺ أفتقه نساء الأمة على الإطلاق ... وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨هـ ، انظر : تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(192) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب رقم ١٨ ، جامع صلاة الليل ... ، ح ٧٤٦ ، ص ٢٩٣ .

٢- جاء فيها الأمر بالزكاة بصيغ الإيتاء المختلفة، وهي: إيتاء، يؤتون، آتيتم، أتوا .

٣- جاء الحديث فيها عن الزكاة؛ باعتبارها مما أوحى به إلى الأنبياء تارة، وبأنها من صفات من يستحقون رحمة الله تارة أخرى، ومن صفات المؤمنين والمحسنين في آية ثالثة ورابعة، وأنها سبب في مضاعفة الأموال والأجور في الآية الخامسة والسابعة، وانفردت الآية السادسة ببيان أن عدم إيتائها يجعل الممتنع في دائرة المشركين .

الثاني : التعبير عن أداء الزكاة بصيغ التوصية ، والفعل ، والأمر :

وردت الزكاة في آيات مكية أخرى، إلا أن الأمر بالزكاة فيها جاء بصيغ أخرى غير تلك المشتقة من الإيتاء ، وهذا بيان ذلك :

١- **الوصية بالزكاة :** وذلك في قوله تعالى: (**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**) (مريم: ٣١) ، وهذه الآية، وما مر سابقاً عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، يدلل أن الزكاة شريعة فرضت على الأمم السابقة، وليست خاصة فقط بأمة محمد ﷺ . " وفي الزكاة هنا معنيان أحدهما: زكاة الأموال أن يؤدّيها، والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب، فيكون معناها: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي " (١٩٣) .

٢- **الأمر بالزكاة :** وجاء هذا التعبير في قوله تعالى : (**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**) (مريم : ٥٥) ، متحدثاً عن صفات سيدنا إسماعيل عليه السلام ، فإن تحدثت آية سورة الأنبياء السابقة عن أحد فرعي ذرية إبراهيم عليه السلام ، في قوله تعالى : (**وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**) (الأنبياء : ٧٣) ، فإن هذه الآية من سورة مريم؛ تتحدث عن الفرع الآخر من ذرية إبراهيم عليه السلام ، فتذكر إسماعيل أبا العرب عليه السلام : (**وَاتَّكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**) (مريم: ٥٥، ٥٤) ، ومن الملاحظ أن هذه الآيات وصفت إسماعيل عليه السلام، " بأنه كان صادق الوعد ، وصدق الوعد صفة كل نبي وكل صالح ، فلا بد أن هذه الصفة كانت بارزة في إسماعيل عليه السلام ؛ بدرجة تستدعي إبرازها والتتويه بها بشكل خاص " (١٩٤) ، وهذا يندرج كذلك على صفة أمر الأهل بالصلاة والزكاة ، " حيث كان صابراً على طاعة ربه -عز وجل- أمراً بها لأهله " (١٩٥) ، " فكان مقيماً لأمر الله عليهم ، يأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود ، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه وكمل غيره، وخصوصاً

(193) جامع البيان للطبري ، المجلد ٩ ، ج ١٦ ، ص ٩١ .

(194) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٤ ، ص ٢٣١٣ .

(195) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٥ ، ص ٢٢٣٠ .

أخص الناس عنده، وهم أهله؛ لأنهم أحق بدعوته من غيرهم " (١٩٦) ، وعليه فإن أمر الأهل بالزكاة ؛ واحدة من صفات كثيرة؛ أهلت سيدنا إسماعيل -عليه السلام- ليتحقق فيه قول الله عز وجل: (وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) (مريم: ٥٥) ؛ "وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه، واجتهاده فيما يرضيه؛ ارتضاه الله ، وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين ، فرضى الله عنه ، ورضي هو عن ربه" (١٩٧) .

٣- **فعل الزكاة** : جاء التعبير بهذه الصيغة خلال تعداد صفات المؤمنين المفلحين؛ الذي تصدره قول الله عز وجل: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) (المؤمنون: ١-٤) . "ومعنى فعلهم للزكاة: تأديتهم لها، فعبر عن التأدية بالفعل؛ لأنها مما يصدق عليه الفعل " (١٩٨) . " وأكثر المفسرين على أن المراد بالزكاة هنا؛ زكاة الأموال ، و يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هنا ؛ زكاة النفس من الشرك والدنس ، و يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ؛ فإنه من جملة زكاة النفوس ، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا ، والله أعلم " (١٩٩) .

الثالث : التعبير بالزكاة عن الصلاح و الطهر:

في هذا القسم جاء التعبير بالزكاة ليدل بشكل مباشر على معنى غير زكاة المال ، وقد ورد هذا في موضعين ، دلت لفظة الزكاة فيهما على معنى الصلاح والطهر والنقاء .

١- قال تعالى واصفاً الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والرجل الصالح ، وهو يبين لموسى عليه السلام علة إقدامه على قتل الغلام: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) (الكهف: ٨١، ٨٠) . " والزكاة هنا: الطهارة والنقاء من الذنوب، وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة" (٢٠٠) ، " والمعنى: أردنا

(196) التيسير للسعدي ، ص ٤٧٣ .

(197) التيسير للسعدي ، ص ٤٧٣ .

(198) فتح القدير للشوكاني ، ص ١١٨١ .

(199) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٥ ، ص ٢٤١٩ .

(200) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج ٦ ، ص ١٤٧ .

أن يرزقهما الله بدل هذا الولد ولدأ خيراً منه زكاة، أي: ديناً وصلاً وطهارة من الذنوب " (٢٠١) .

٢- قال تعالى مخبراً عن سيدنا يحيى عليه السلام: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا) (مریم: ١٢، ١١) . "والزكاة هنا: الطهارة والصلاح" (٢٠٢) ، والمعنى: " وآتاه الطهارة والعفة، ونظافة القلب والطبع، يواجه بها أدران القلوب، وندس النفوس؛ فيطهرها ويزكئها" (٢٠٣) .

جدول رقم (١٠) آيات الزكاة في القرآن المدني

الرقم	موضوع الآيات	العدد	تحديد المواضع (السورة/ الآية)		
١	خلال الحديث عن أهل الكتاب	٦	البقرة/٤٣	البقرة/٨٣	البقرة/١١٠
			النساء/١٦٢	المائدة/١٢	البينة/٥
٢	فترة سابقة في العهد المكي	١	النساء/٧٧		
٣	الموقف من المشركين	٢	التوبة/٥	التوبة/١١	
٤	صفات المؤمنين	٧	البقرة/١٧٧	البقرة/٢٧٧	المائدة/٥٥
			التوبة/١٨	التوبة/٧١	الحج/٤١
			النور/٣٧		
٥	الأمر المباشر بأداء الزكاة	٤	الحج/٧٨	النور/٥٦	الأحزاب/٣٣
			المجادلة/١٣		

ثانياً : آيات الزكاة في القرآن المدني : انظر جدول رقم (١٠)
بالنظر في الآيات المدنية التي ذكرت الزكاة؛ تجد أنه يمكن توزيعها إلى خمس مجموعات :

(201) فتح القدير للشوكاني ، ص ١٠٥٦ .

(202) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٥ ، ص ٢٢١٠ ، ٢٢١١ ، وانظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج٦ ، ص ١٦٨ .

(203) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٤ ، ص ٢٣٠٤ .

الأولى : ست آيات ذكرت الزكاة فيها؛ خلال الحديث عن بني إسرائيل وأهل الكتاب

الثانية : آية جاء ذكر الزكاة فيها؛ عند الحديث عن فترة سابقة في

مكة، تميزت بكف اليد.

الثالثة : آيتين جاء ذكر الزكاة فيهما؛ خلال الحديث عن الموقف من المشركين.

الرابعة : سبع آيات ذكرت الزكاة فيها؛ خلال الحديث عن صفات المؤمنين .

الخامسة : أربع آيات تحدثت عن الأمر المباشر بالزكاة .

المجموعة الأولى :

آيات الزكاة خلال الحديث عن أهل الكتاب :

تحدثت آيات هذه المجموعة عن جوانب متعددة مما يتعلق بالزكاة وأهل الكتاب

عموماً، وبني إسرائيل خصوصاً ، ومن هذه الجوانب :

١ - الحديث عن شريعة أهل الكتاب عموماً :

حيث تحدثت آية سورة البينة عن أهل الكتاب عموماً؛ مبينة أساس شريعتهم،

والأوامر الصادرة إليهم ، فقال سبحانه : (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدينَ حُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (البينة:٥) وتلمس في

هذه الآية أنهم - أي أهل الكتاب - " ما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده -

قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيمان" (٢٠٤) - " ويقوموا الصلاة

وهي أشرف عبادات البدن" (٢٠٥) ، ويؤدوا الزكاة ، " التي هي حق المخلوقين

ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين" (٢٠٦) .

٢ - الحديث عن شريعة بني إسرائيل السابقة :

تحدثت آيتان عن الزكاة؛ خلال الحديث عن ميثاق بني إسرائيل وشريعتهم

السابقة ، الأولى قوله تعالى في سورة البقرة: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا

تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ)

(البقرة:٨٣) ، والثانية قوله تعالى في سورة المائدة: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ

الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ

سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة:١٢) .

وتلاحظ أن الحديث في الآيتين يقرر :

أولاً : أن الله أخذ على بني إسرائيل الميثاق .

(204) انظر : التيسير للسعدي ، ص ٨٨٣ .

(205) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٨ ، ص ٣٨٣١ .

(206) المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١١٩٤ .

ثانياً : تفاصيل الميثاق ، والذي يعيننا من هذه التفاصيل ما فيها من تكليف بإيتاء الزكاة .

ونلاحظ كذلك أن الآية الأولى تميزت ببيان إعراض بني إسرائيل عن تطبيق ميثاقهم، وأداء تكاليف شريعتهم ، في حين تميزت الآية الثانية ببيان جزاء من يؤدي هذه التكاليف، ويلتزم بهذا الميثاق .

٣- الحديث عن أهل الكتاب الذين شهدوا النبي ﷺ:

تحدثت ثلاث آيات عن الزكاة؛ خلال الحديث عن شهد النبي ﷺ من أهل الكتاب ، وتناولت كل آية جانباً مختلفاً ، ففي الآية الأولى، وهي قوله في سورة البقرة : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاَكِعِينَ ﴿٤٣﴾) ، أمر أهل الكتاب " أن يصلوا مع النبي ﷺ ... وأمرهم أن يؤتوا الزكاة، أي: يدفعونها إلى النبي ﷺ ... وأمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد ﷺ " (٢٠٧) . أما في الآية الثانية؛ وهي قوله في سورة النساء: (لَكِن الرَّاَسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١٦٢) ، فقد بين فيها -عز وجل- أن صنفاً منهم يؤمنون بما أنزل على الرسول ﷺ، و بما أنزل من قبله، وهم الراسخون في العلم ، الذين لهم قدم ثابتة فيه ، و " هم مؤمنو أهل الكتاب، وصفوا -أولاً- بالرسوخ في العلم، ثم بالإيمان بكتب الله، وأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون بالله واليوم الآخر " (٢٠٨) ، وذلك على أحد الأقوال . أما الآية الثالثة، وهي قوله في سورة البقرة: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١١٠) ، وفيها يبين سبحانه للمؤمنين " كيفية مواجهة كيد اليهود، وطعنهم في الدين؛ فحثهم على الاشتغال بما ينفعهم، وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة؛ من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ حتى يمكن لهم الله النصر في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد " (٢٠٩) .

المجموعة الثانية :

الحديث عن العهد المكي في القرآن المدني:

وتتمثل هذه المجموعة في آية واحدة، تحدثت عن فترة سابقة في مكة، تميزت بكف اليد ، وهي قوله جل في علاه: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْأَ أَخْرَجْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) (النساء: ٧٧). والآية وهي تتحدث عن فترة سابقة تقرر حقائق مطردة :

١- دور الصلاة والزكاة في تهيئة النفوس لمرحلة الجهاد .

(207) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(208) فتح القدير للشوكاني ، ص ٤٣٢ .

(209) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .

٢- الإنفاق و البذل عامل أساسي في أداء رسالة الجهاد ، فعندما لم تتوفر الظروف المواتية للشروع فيه؛ كان الأمر بأداء الزكاة ، ويؤكد منزلة الإنفاق إزاء الجهاد خاتمة الآية، حيث يقول سبحانه: **(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى)**، فمتاع الدنيا الذي تبخل به، وتتردد في إنفاقه من ناحية ، وتتوقف عن الجهاد؛ لتستمتع به من ناحية أخرى ، قليل زائل، مقابل نعيم الآخرة الكثير الدائم .

٣- القيام بالتكليف المناسب في وقته المناسب، دون تضجر أو تذمر، "فحدد سبحانه في ظروف مكة- حيث قلة عدد المسلمين، وكثرة أعدائهم- ما يناسب هذه الظروف، فكان الأمر بالتوحيد، والصلاة، والزكاة . وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال، والأصل القيام بما أمروا به في ذلك الوقت؛ ففيه الخير والتنبيه، كما قال تعالى: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا)** (النساء:٦٦) ؛ فلما هاجروا إلى المدينة، وقوي الإسلام، وواتت الظروف؛ كتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك؛ خوفاً من الناس، وضعفاً وخوراً: **(رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ)**، وكان الذي ينبغي لهم، ضد هذه الحال التسليم لأمر الله، والصبر على أوامره " (٢١٠) .

المجموعة الثالثة :

الزكاة خلال الحديث عن الموقف من المشركين:

ورد ذكر الزكاة في آيتين من سورة التوبة؛ وذلك خلال الحديث عن الموقف من مشركي الجزيرة العربية ، وهاتين الآيتين هما قوله تعالى: **(فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** (التوبة:٥) ، وقوله تعالى: **(فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُقِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** (التوبة: ١١). ولقد جاءتا ضمن مجموعة من الآيات ؛ " لتحدد العلاقات النهائية بين المجتمع الإسلامي؛ الذي استقر وجوده في المدينة، وفي الجزيرة العربية بصفة عامة، وبين بقية المشركين في الجزيرة؛ الذين لم يدخلوا في هذا الدين " (٢١١) بمختلف مواقفهم (٢١٢) . والمهم ما أشارت إليه الآيات

(210) انظر : التيسير للسعدي ، ص ١٦٧ .

(211) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

من ضوابط لتحديد الموقف من المشركين، "حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي: الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف أركان الإسلام- بعد الشهادتين- الصلاة؛ التي هي حق الله عز وجل، وبعدها أداء الزكاة؛ التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين " (٢١٣). وبين ما للزكاة من دور في تحديد العلاقات بين المسلمين أنفسهم، وخير مثال على ذلك: موقف الصديق ﷺ، عندما حارب مانعي الزكاة؛ استناداً إلى فهمه لهذه الآيات وغيرها، فقال مقولته الشهيرة: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً؛ كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ؛ لقاتلتهم على منعها" (٢١٤).

المجموعة الرابعة :

جاء ذكر الزكاة متعلقاً بالمؤمنين في إحدى عشرة آية، تحدثت سبع آيات منها عن الزكاة؛ خلال بيان صفات المؤمنين، أما الآيات الأربع الأخر فجاءت بالأمر المباشر بأداء الزكاة، ولهذا أفردتها الباحث في مجموعة منفصلة.

الزكاة خلال الحديث عن صفات المؤمنين :

جاء ذكر الزكاة باعتبارها واحدة من صفات المؤمنين في سبع آيات وهي:

١- قوله تعالى في سورة البقرة: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

(212) سواء منهم من كان له عهد مع رسول الله ﷺ، فنقضه حينما لاح له أن مواجهة المسلمين للروم - حين توجهوا لمقابلتهم في تبوك - ستكون فيها القاضية على الإسلام وأهله، أو على الأقل ستضعف من شوكة المسلمين وتهد من قوتهم، ومن لم يكن له عهد؛ ولكنه لم يتعرض للمسلمين من قبل بسوء، ومن كان له عهد موقوت، أو غير موقوت؛ فحافظ على عهده، ولم ينقص المسلمين شيئاً، ولم يظاهر عليهم أحداً، فهؤلاء جميعاً نزلت فيهم هذه الآيات وما بعدها؛ لتحديد العلاقات النهائية بينهم وبين المجتمع المسلم.

(213) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ص ١٦٢٦.

(214) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب رقم ١، وجوب الزكاة، حديث رقم ١٤٠٠، ص ٢٧٣.

- وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (البقرة: ١٧٧).
- ٢- قوله تعالى في سورة البقرة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٧).
- ٣- قوله تعالى في سورة المائدة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥).
- ٤- قوله تعالى في سورة التوبة: ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة: ١٨).
- ٥- قوله تعالى في سورة التوبة: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٧١).
- ٦- قوله تعالى في سورة الحج: (الَّذِينَ إِن مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: ٤١).
- ٧- قوله تعالى في سورة النور: (رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور: ٣٧).

والمتمثل في هذه الآيات ، دارساً علاقة الزكاة بما ورد فيها من معاني؛ يجد أنه ما من معنى سام، أو هدف إيجابي، أو فكرة نظيفة إلا كانت الزكاة واحدة من دعوماته، وعاملاً أساسياً في الوصول إليه .

ففي الآية الأولى التي " بينت صفات المتقين، ووضعت قواعد التصور الإيماني الصحيح، وقواعد السلوك الإيماني الصحيح " (٢١٥) ، جاء ذكر الإنفاق فيها كصفة من صفات المتقين مرتين ، مرة بلفظ إيتاء المال على حبه؛ دلالة عن التطوع، ومرة بلفظ إيتاء الزكاة؛ دلالة عن الفرض. وإيتاء الزكاة يعني: الوفاء بالتزامات الإسلام الاجتماعية؛ "التي جعلها الله حقاً في أموال الأغنياء للفقراء، بحكم أنه هو صاحب المال، وهو الذي ملكه للفرد بعقد منه، من شروطه إيتاء الزكاة، وهي المذكورة هنا بعد الحديث عن إيتاء المال على حبه، لمن ذكرتهم الآية من قبل على الإطلاق ؛ مما يشير إلى أن الإنفاق في تلك الوجوه ليس بديلاً من الزكاة، وليست الزكاة بديلة منه ... والبر لا يتم إلا بهذه وتلك، وكناتهما من مقومات الإسلام، وما

كان القرآن ليذكر الزكاة منفردة بعد الإنفاق؛ إلا وهي فريضة خاصة لا يسقطها الإنفاق، ولا تغني هي عن الإنفاق " (٢١٦) .

في حين جاءت الآية الثانية بعد الحديث عن الربا، وتأثيره الماحق لكل بركة؛ " لترسم صورة مشرقة لنظام الزكاة، مقابل نظام الربا، وتعرض - في مقابل صفحة الكفر والإثم والتهديد الساحق لأصحاب منهج الربا ونظامه - صفحة الإيمان والعمل الصالح، وخصائص الجماعة المؤمنة في هذا الجانب، وقاعدة الحياة المرتكزة إلى نظام الزكاة، المقابل لنظام الربا. والعنصر البارز في هذه الصفحة هو عنصر الزكاة، عنصر البذل بلا عوض ولا رد، والمتأمل في الآية يرى أنها تعرض صورة الأمن والطمأنينة، والرضى الإلهي المسبغ على هذا المجتمع المؤمن، فالزكاة هي قاعدة المجتمع المتكافل المتضامن؛ الذي لا يحتاج إلى ضمانات النظام الربوي في أي جانب من جوانب حياته " (٢١٧) .

وعند الحديث عن صفات المؤمنين؛ الذين يتمثل فيهم حزب الله، والذين يجب على المؤمن الحق أن يمنحهم ولائه، ترى أن الآية الثالثة قصرت الموالاتة على موالاتة الله، وموالاتة رسوله، وموالاتة المؤمنين، وبينت صفات هؤلاء المؤمنين "من إقام الصلاة؛ التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة؛ التي هي حق المخلوقين، ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين" (٢١٨) ، فتجد الزكاة تأتي في موضعها؛ لتبني كل ما فيه خير الإنسانية .

وفي الآية الرابعة - آية سورة التوبة - حيث الحديث عن صفات المؤمنين؛ الذين يعمرون مساجد الله، فبعد أن بين سبحانه أنه لا ينبغي للمشركين أن يكونوا عماراً لمساجد الله، تحدث عن العمار الحقيقيين، مبيناً صفاتهم؛ والتي منها إيتاء الزكاة، وكذلك في الآية الأخيرة - آية سورة النور - التي تحدثت أيضاً عن عمار بيوت الله؛ نعتهم سبحانه بالرجال، " إشعاراً بهمهم السامية، ونياتهم وعزائمهم العالية؛ التي بها صاروا عماراً للمساجد؛ التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته وشكره، وتوحيده وتنزيهه " (٢١٩) ، وعندما عدد صفات هؤلاء الرجال ذكر منها إيتاء الزكاة .

(216) المرجع السابق، ج ١، ص ١٦١ .

(217) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ١، ص ٣٢٨ .

(218) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٣، ص ١١٩٤ .

(219) المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٥١٥ .

وفي الآية الخامسة - آية سورة التوبة- يأتي الحديث عن صفات المؤمنين؛ بعد أن سبقنا آيات تتحدث عن صفات المنافقين في قوله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (التوبة: ٦٧) ، فبين سبحانه صفات المؤمنين؛ مقابل صفات المنافقين، والتي عد منها الزكاة؛ في إشارة واضحة إلى دور الزكاة - إلى جانب غيرها من الصفات - في التمييز بين الفريقين، فالمنافقون "يقبضون أيديهم حرصاً وشحاً، فاستحقوا نسيان الله، أي: تركه لهم وتخليه عنهم، أما أولئك المؤمنون فيسقطون أيديهم بذلاً وإيماناً؛ فاستحقوا أن يرحمهم الله" (٢٢٠).

وفي الآية السادسة- آية سورة الحج- عندما تحدث سبحانه عن صفات الممكن لهم في الأرض؛ الذين ينزل عليهم نصر الله ، فبين أن " وعد الله المؤكد الوثيق المتحقق، الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره، فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله فيستحقون نصر الله القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء الذين إن مكناهم في الأرض؛ فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر؛ أقاموا الصلاة فعبدوا الله ووثقوا صلواتهم به، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين، وآتوا الزكاة؛ فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج، وحققوا لها صفة الجسم الحي؛ كما قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٢٢١) ، وأمروا بالمعروف؛ فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس، ونهوا عن المنكر؛ فقاوموا الشر والفساد، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة؛ التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه، هؤلاء هم الذين ينصرون الله، إذ ينصرون نهجه ؛ الذي أراده للناس في الحياة ، معتزين بالله وحده دون سواه ، وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين" (٢٢٢).

وهكذا بات واضحاً دور الزكاة في إرساء معالم مجتمع متماسك متآخي ، ومكانتها كصفة مميزة من صفات المؤمنين .

المجموعة الخامسة :

وفي آيات هذه المجموعة، تجد تأكيداً لما سبق من معاني في آيات المجموعة السابقة؛ إلا أنها جاءت هنا خلال التكليف المباشر ، وورد هذا في الآيات الأربع الآتية :

(220) فقه الزكاة ، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة ، الدكتور يوسف القرضاوي ،

الناشر مكتبة وهبة ، ١٤ شارع الجمهورية ، عابدين ، ط١٤ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ج١ ، ص ٨١ .

(221) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب رقم ١٧ ، تراجم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم ،

حديث رقم ٢٥٨٦ ص ١٠٤١ .

(222) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٤ ، ص ٢٤٢٧ ، ٢٤٢٨ .

١ - قوله تعالى في سورة الحج: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنْبِيَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج: ٧٨).

٢ - قوله تعالى في سورة النور: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور: ٥٦).

٣ - قوله تعالى في سورة الأحزاب: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب: ٣٣).

٤ - قوله تعالى في سورة المجادلة: (أَسْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المجادلة: ١٣).

ففي الآية الأولى - آية سورة الحج - حيث الحديث عن قوامه هذه الأمة، وشهادتها على البشرية جمعاء؛ وجه سبحانه المسلمين إلى مقابلة نعمة التكريم هذه بالقيام بشكرها، فأمرهم بأداء حق الله عليهم، " في أداء ما افترض، وطاعة ما أوجب، وترك ما حرم، ومن أهم ذلك: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ وهو الإحسان إلى خلق الله؛ بما أوجب للفقير على الغني من إخراج جزء نزر من

ماله في السنة للضعفاء والمحاويج " (٢٢٣).

وفي الآية الثانية - آية سورة النور - جاء الأمر أيضاً مباشراً " بإيتاء الزكاة من الأموال؛ التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممن ذكر الله، لمصرف الزكاة " (٢٢٤). ويبين سبحانه في هذه الآية طريق الوصول إلى رحمة الله؛ عبر إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة لله ولرسوله. ولقد جاءت بين آيتين، تحدثت الأولى -فيما تحدثت- عن التمكين والاستخلاف في الأرض، وتبديل الخوف أمناً، وذلك في قوله سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: ٥٥).

(223) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٥، ص ٢٤١٥.

(224) التيسير للسعدي، ص ٥٤٩.

وتحدثت الثانية - فيما تحدثت - عن ضعف المشركين؛ فما هم بمعجزين في الأرض ، وذلك في قوله سبحانه: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ) (النور: ٥٧) ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن التمكين والأمن والاستخلاف، وعجز المشركين في مواجهة الموحدين؛ لن يتحقق إلا بتنفيذ أوامر الله المباشرة؛ من إقامة للصلاة، وإيتاء للزكاة، وطاعة لله ولرسوله .

وفي الآية الثالثة - آية سورة الأحزاب- يبين سبحانه وسائل الطهارة والنظافة من رجس الجاهلية ، وبدأ ببيت النبي ﷺ؛ مع سموه و طهارته ونظافته ، وجاء ذكر الزكاة كواحدة من وسائل الطهارة والسمو، وهي في أصلها طهارة وسمو .

وفي الآية الرابعة -آية سورة المجادلة- جاء الأمر بالزكاة تخفيفاً على الصحابة؛ عندما ألزمهم سبحانه بتقديم صدقة بين يدي النبي ﷺ؛ إذا رغبوا في مناجاته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني : أداء الحقوق في أموال اليتامى ومهور النساء :

أولاً: إيتاء أموال اليتامى :

أمر سبحانه بإيتاء أموال اليتامى في قوله تعالى: (وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) (النساء: ٢) ، وإيتاء اليتامى أموالهم يتم من خلال:

١ . "إجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية؛ إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلى والاستبداد كالصغير والسفيه الكبير" (٢٢٥) ، وأثناء هذه الفترة على الولي أن يراعي :

أولاً : ألا يبدل عين المال بأخرى من جنسها؛ تحت حجة أنهما من ذات النوع؛ فلا "يأخذ الشاة السمينه من غنم اليتيم، ويجعل مكانها الشاة المهزولة؛ ويقول شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيد وي طرح مكانه الزيف؛ ويقول درهم بدرهم" (٢٢٦) . "وكانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يتخرجون عن أموال اليتامى، فكانوا يأخذون الطيب والجيد من أموال اليتامى، ويبدلونه بالرديء من أموالهم؛ ويقولون: اسم باسم ورأس برأس؛ فنهاهم الله عن ذلك" (٢٢٧) .

(225) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ١٣ .

(226) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١ ، ص ٨٤٤ .

(227) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٣ ، ج ٥ ، ص ١٣ .

ثانياً: "إصلاح مال اليتيم؛ لأن تمام إيتائه ماله حفظه، والقيام به بما يصلحه وينميه، وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار" (٢٢٨).

ثالثاً: لا يتسلط على أموال اليتامى بالأكل والانتفاع معتقداً أنها كأمواله، وربطت الآية في إشارة واضحة بين توفر أموال خاصة للولي والحبوب الكبير - أي: الإثم الكبير - في حالة التسلط على أموال اليتامى؛ ففيها "تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة؛ التي قد استغنى بها الإنسان؛ بما جعل الله له من الرزق في ماله، فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى (حُوبًا كَبِيرًا) أي: إثمًا عظيمًا، ووزراً جسيماً" (٢٢٩)؛ ولهذا عقب المولى ببيان حالة الولي الفقير فقال سبحانه: (وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: ٦). وللعلماء أقوال وتفصيل في هذه الحالة ليس هنا مقامه.

٢. "الإيتاء بتسليم المال إليه، وتمكينه من التصرف فيه؛ بعد اختباره وإرشاده" (٢٣٠)، وهذا بين من قوله تعالى: (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا) (النساء: ٦).

ثانياً: إيتاء الصداق للنساء :

مر معنا الإنفاق على الأهل عموماً؛ متضمناً إنفاق المهور (٢٣١)، وذلك عند الاستشهاد بقوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (النساء: ٣٤)، وهنا يتطرق الباحث للمهور كواحد من مجالات إنفاق المال، مقتصرأ على حالتين من حالات الحياة الزوجية وهما: مرحلة البداية بالزواج ودفع الصداق، وحالة الطلاق في بعض الأحوال.

ففي مسألة الصداق، بين سبحانه "وجوب المهر في النكاح" (٢٣٢)، فقال جل وعلا: (فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: ٢٥)، وقال

(228) التيسير للسعدي، ص ١٤٤.

(229) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(230) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٣، ج ٥، ص ١٣.

(231) انظر: مطلب الإنفاق في مصالح الدنيا، من هذا الفصل ص ٤٢.

(232) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٣، ج ٥، ص ١٢٩.

سبحانه أمراً بإيتاء النساء مهورهن: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) (النساء: ٤) ، " إذ لما كان كثير من الناس يظلمون النساء، ويهضمونهن حقوقهن - خصوصاً الصداق؛ الذي يكون شيئاً كثيراً، ودفعة واحدة؛ يشق دفعه للزوجة - أمرهم وحثهم على إيتاء النساء ... مهورهن ... عن طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهن، أو تبخسوا منه شيئاً" (٢٣٣) ، " فالرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتماً، وأن يكون طيب النفس بذلك؛ كما يمنح المنيحة، ويعطى النحلة طيباً بها؛ كذلك يجب أن يعطى المرأة صداقها طيباً بذلك، فإن طابت هي له به بعد تسمية؛ أو عن شيء منه فليأكله حلالاً طيباً؛ ولهذا قال سبحانه: (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا)" (٢٣٤) .

وفي مسألة الطلاق حذر سبحانه من مضايقة الأزواج لدفعهن إلى التخلي عن حقوقهن ، فقال جل وعلا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء: ١٩-٢١) .

والتوجيهات للرجال واضحة خلال الآيات الثلاث ، " فوجهت الآية الأولى الزوج بالأضرار زوجته في العشرة؛ لتترك ما أصدقها أو بعضه، أو حقاً من حقها عليه، أو شيئاً من ذلك على وجه القهر لها والاضطهاد. وبينت الآية الثانية لمن أراد أن يفارق امرأة ويستبدل مكانها غيرها؛ فلا يأخذ مما كان أصدق الأولى شيئاً؛ ولو كان قنطاراً من مال؛ في حين وضحت الآية الثالثة علة هذا؛ إذ كيف يأخذ الصداق من المرأة وقد أفضى إليها وأفضت إليه؟" (٢٣٥) .

(233) التيسير للسعدي ، ص ١٤٤ .

(234) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢ ، ص ٨٤٨ ، ٨٤٩ .

(235) انظر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٧١ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ .

المبحث الثالث بدائل الإنفاق

لا يقتصر الإنفاق على إنفاق المال بل يتسع ليشمل كل شيء ينفق منه، وفي تعريف الإنفاق - الذي صيغ اعتماداً على استقرار تعريفات العلماء السابقين- ما يشير إلى ذلك؛ فقد نص على أن الإنفاق هو: "بذل المال وغيره في وجه من الوجوه" (٢٣٦) ، وعليه فكل ما يمكن بذله هو مادة للإنفاق، ومن هنا كانت بدائل الإنفاق أمام الراغبين فيه متعددة متنوعة، وفي المسائل التالية عرض لثلاث منها:

المطلب الأول: إنفاق النفس:

وردت آيات كثيرة تتحدث عن إنفاق النفس، وتقرنه غالباً بإنفاق المال، ولقد توقف الباحث عند بعضها؛ في محاولة منه لإلقاء الضوء على هذه المسألة.

١. قال تعالى في سورة النساء: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء: ٩٥، ٩٦) ، وفي هذه الآية دعوة واضحة إلى بذل المال والنفس في سبيل الله، وفيها إخبار منه سبحانه بأنه "لا يتساوى المتخلف عن الجهاد في سبيل الله والمجاهد؛ الذي استفرغ طاقته وجهده في قتال الأعداء بماله إنفاقاً، وبنفسه مباشرة في قتالهم" (٢٣٧) ، وهذا "التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر، ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه؛ وإن كان معلوماً؛ لكن أراد سبحانه بهذا الإخبار تنشيط المجاهدين ليرغبوا، وتبكييت القاعدين ليأنفوا" (٢٣٨).

والملاحظ بالنظر إلى سياق الآية، أنها جاءت بعد آيات أكدت على عظمة النفس الإنسانية عند الله، وأن التعدي عليها جريمة كبيرة عنده سبحانه، خصوصاً النفس المؤمنة؛ حتى أنه "في حال التسبب - بدون قصد - في إهلاك نفس مؤمنة؛ كان

(236) انظر: مبحث تعريف الإنفاق في اللغة والاصطلاح من الباب الأول ص ١١ .

(237) انظر: جامع البيان للطبري، المجلد ٤، ج ٥، ص ٢٧٩ .

(238) فتح القدير للشوكاني، ص ٤٠٧ .

تعويض المجتمع بنفس أخرى -بتحريرها من رق العبودية - جزءاً من الجزاء" (٢٣٩) ، ومن هذه الآيات التي يظهر فيها ذلك جلياً قوله سبحانه: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ٩٢) ، والذي يرمي إليه الباحث من هذا البيان لقيمة النفس المؤمنة؛ الإشارة إلى أن هذه النفس العزيزة الغالية على الله؛ تبذل رخيصة بدون تردد في سبيله سبحانه .

٢. وقال تعالى في سورة التوبة: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١١١) ، و"المراد بالأنفس في هذه الآية هي: أنفس المجاهدين، وبالأموال: ما ينفقونه في الجهاد، فقد مثل سبحانه إثابة المجاهدين بالجنة - على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله - بالشراء ... فهؤلاء المجاهدون باعوا أنفسهم لله بالجنة التي أعدها للمؤمنين، أي: بأن يكونوا من جملة أهل الجنة وممن يسكنها، فقد جادوا بأنفسهم ... وجاد الله عليهم بالجنة، وهي أعظم ما يطلبه العباد ويتوسلون إليه بالأعمال. وواضح أن عملية بذل النفس هذه؛ المراد بها أنهم يقدمون على قتل الكفار في الحرب، ويبدلون أنفسهم في ذلك، فإن فعلوا فقد استحقوا الجنة؛ وإن لم يقع القتل عليهم بعد الإبلاء في الجهاد، والتعرض للموت بالإقدام على الكفار" (٢٤٠). والذي يؤكد عليه الباحث هنا أن النفس هي المطلوب تقديمها مع الأموال- في سبيل الله؛ ليتلقى صاحبها بعد ذلك الثمن العزيز الغالي وهو الجنة، "فإن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين، الله سبحانه فيها هو المشتري، والمؤمن فيها هو البائع، فهي بيعة مع الله، لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه، ولا في ماله؛ يحتجزه دون الله سبحانه، ودون الجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله، فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله، مقابل ثمن محدد معلوم هو الجنة، وهو ثمن لا تعدله السلعة، ولكنه فضل الله ومثمه" (٢٤١).

٣. وقال تعالى في سورة التوبة: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٢٠، ١٢١) ، والشاهد في هذه الآية قوله

(239) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٢ ، ص ٧٣٥ .

(240) انظر فتح القدير للشوكاني ، ص ٧٣٧ .

(241) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٧١٣ ، ١٧١٤ .

سبحانه: (وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) ، فالنفس هي واحدة مما يبذل وينفق في سبيل الله، والآية تبين هنا أنه لا ينبغي للمسلمين، ولا يصح لهم "أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﷺ ، فيشحون بها ويصونونها؛ ولا يشحون بنفس رسول الله ﷺ ويصونونها؛ كما شحوا بأنفسهم وسانوها" (٢٤٢).

٤. ومن الآيات التي تدعو إلى بذل النفس في سبيل الله؛ قوله سبحانه في سورة الحجرات: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: ١٥) ، وقوله سبحانه في سورة الصف: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف: ١٠-١٣).

المطلب الثاني : إنفاق الوقت :

الوقت نعمة غالية، ويجب على الإنسان أن يحسن استغلالها؛ فيما يعود عليه بالنفع في دنياه وآخرته، والإسلام نظر إليه هذه النظرة؛ فاعتبره نعمة جديرة بأن تستغل في طاعة الله، وأكد أن الإنسان سيحاسب عليها، وسيجزى حسب تصرفه نحوها، فيها هو القرآن يصف موقف المضيق لوقته؛ الذي لم يحسن استغلاله، فيقول سبحانه: (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١٠ ، ١١) ، والرسول ﷺ بين في الحديث النبوي أن الوقت نعمة، فقال عليه الصلاة والسلام: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (٢٤٣) ، فليحذر الإنسان أن ينقضي الوقت وتذهب الصحة دون أن يستغلها في كل خير؛ وإلا فهذا هو المخدوع، خدعته الصحة فما ظن أنه سيأتي يوم يضعف فيه، وغره طول الأمل فانقضى دون أن يشعر.

ومما يؤكد ما للوقت من قيمة؛ أن الله أقسم بأجزاء منه في أكثر من مناسبة، فقال سبحانه في سورة العصر: (وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: ١-٣) ، وقال سبحانه في سورة الفجر: (وَالْفَجْرُ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ) (الفجر: ١ ، ٢) ، وقال سبحانه في سورة الضحى: (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) (الضحى: ١ ، ٢) ، وقال سبحانه في سورة الليل: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) (الليل: ١ ، ٢) ، ومن الملاحظ أن جميع هذه السور سميت بأجزاء من الوقت.

وفي النقاط الآتية محاولة لإلقاء الضوء على مسائل تتعلق بالوقت، وضرورة استغلاله، واستنفاد دقائقه في رضى الله:

(242) فتح القدير للشوكاني ، ص ٧٤٢ .

(243) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رقم ١ ، ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش

الآخرة ، حديث رقم ٦٤١٢ ، ص ١٢٣٢ .

أولاً : قصر عمر الدنيا:

تحدث القرآن الكريم في أكثر من موضع عن قصر الدنيا، وأن امتدادها الزمني قصير، بل قصير للغاية؛ إذا ما قورن بالآخرة، ومن ذلك قوله سبحانه في سورة يونس: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (يونس: ٤٥)، ولقد ساق ابن كثير في تفسيره لهذه الآية مجموعة من الآيات؛ التي تتحدث في ذات المعنى، وعقب عليها قائلاً: "وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة" (٢٤٤).

ومن الآيات التي تتحدث عن قصر الدنيا أيضاً، قوله سبحانه في سورة طه: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْئَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) (طه: ١٠٢-١٠٤) ، وهذا القول منهم "لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد؛ لأن الدنيا كلها - وإن تكررت أوقاتها، وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها - كأنها يوم واحد؛ ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة" (٢٤٥).

ومن الآيات التي تقرر حقيقة قصر الدنيا - لينتبه الغافلون؛ فيدركوا ضرورة الاستعداد واستغلال الأوقات- قوله تعالى في سورة المؤمنون: (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (المؤمنون: ١١٢-١١٤) ، وقوله تعالى في سورة الروم: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) (الروم: ٥٥) ، وآيات أخرى كثيرة.

ثانياً : قيام الساعة بغتة:

أخفى الله سبحانه علم الساعة وميقاتها عن سائر خلقه، فهي لا تأتي إلا بغتة، والقرآن يقرر في أكثر من موضع هذه الحقيقة، فقد قال سبحانه في سورة الأعراف: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الأعراف: ١٨٧) ، وفي الآية توجيه للنبي ﷺ أن "يجيب سائليه عن الساعة؛ بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره" (٢٤٦).

والآيات التي تصرح بهذا المعنى، وتحدث عنه كثيرة منها: قوله سبحانه في سورة يوسف: (أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (يوسف: ١٠٧) ، وقوله تعالى في سورة الأنبياء: (بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَنظِرُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظِرُونَ) (الأنبياء: ٤٠) ، وقوله تعالى في سورة الحج: (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ) (الحج: ٥٥) .

(244) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤ ، ص ١٧٥٤ .

(245) المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٢٢٩٤ .

(246) جامع البيان للطبري ، المجلد ٦ ، ج ٩ ، ص ١٦٧ .

ثالثاً : مواقف الندم على ضياع الوقت:

يتصور الإنسان اللاهي أن العمر أمامه ممتد، والحياة أمامه طويلة؛ فيعبث ويضيع وقته، وغاب عن ذهنه - في غمرة لهوه وتهاونه - أن الدنيا قصيرة، وأن العمر سرعان ما ينقضي، والأدهى من ذلك أن الساعة لا تأتي إلا بغتة.

وهذه الحالة من التهاون والاستهتار في قيمة الوقت، توصل حتماً إلى حالة من الندم متى انتهت الحياة الدنيا؛ سواء بقيام الساعة، أو بانقضاء الأجل المقدر للإنسان، ولقد تحدث القرآن مبيناً حالتنا الندم هاتين، فقال متحدثاً عن الندم عند انقضاء الأجل: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ١٠، ١١) ، "فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة - ولو شيئاً يسيراً - ليستعنت ويستدرك ما فاتته، وهيهات !!! كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه" (٢٤٧) . ومن الآيات التي تبين ذلك - أيضاً - قوله تعالى في سورة إبراهيم: (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُلَ أَوْ كَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ) (إبراهيم: ٤٤) ، وقوله تعالى في سورة المؤمنون: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠) ، وللمسألة مزيد تفصيل من زاوية أخرى في مبحث قادم (٢٤٨) .

أما عن الندم عند قيام الساعة، فيقول سبحانه مقررًا ذلك: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (الأعراف: ٥٣) ، وفي هذا بيان حال المكذبين من الندم والأسف على ما مضى؛ وذلك عندما يقع ما أخبر به الرسل من قيام الساعة، فيقروا أولاً بحقيقة ما جاء به الرسل، ويبحثوا ثانياً عن الشفعاء، وتتصاعد حدة الندم على ما فرطوا وما أضاعوا، فيتمنون العودة إلى الحياة الدنيا، مدعين ادعاء كاذباً بأنهم سيعملون غير الذي كانوا يعملون.

وقال سبحانه في سورة فاطر؛ مؤكداً وقوع الندم من المفرطين عند قيام الساعة: (وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَو كَمْ نُعَمَّرُكُمْ مَا يَنْذَرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ) (فاطر: ٣٧) ، والآية تصف حالة الندم التي تعتر بهم، "فالكفار يصرخون من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أولم نمهلكم في الحياة قدراً وافياً من العمر، يتعظ فيه من اتعظ، وجاءكم النبي ﷺ ، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم

(247) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٨، ص ٣٥٣٦ .

(248) انظر مبحث الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق من الباب الثالث ص ١٥٠ .

من عذاب الله" (٢٤٩) ، بهذا التبكيت وهذا التأنيب الذي تنتهي جولاته بقوله سبحانه: (قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكْمُنُوا) (المؤمنون:١٠٨).

المطلب الثالث : إنفاق الجهد :

تدعو آيات القرآن إلى بذل المستطاع في سبيل الله ، وتقديم الجهد خالصاً لوجهه الكريم، والمتأمل يجد آيات كثيرة تدعو إلى التعامل مع شريعة الله وميثاقه بكل جدية وعزم، وأخذ تعاليمه بقوة، وإلزام النفس بها، وعدم التهاون فيها، فيقول سبحانه معنفاً بني إسرائيل، ومذكراً لهم بالميثاق الذي تهاونوا فيه فهانوا: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة:٦٣) ، ولا يخفي عليك أن "الآيات تسوق قصة بني إسرائيل كنموذج لأمة سابقة؛ تلقت تعاليم الله وفرطت فيها، وتعرضها كتجربة لأمة حاضرة؛ تتلقى تعاليم الله مجدداً؛ فلتحذر التفريط فيها، ولتتعظ بغيرها من الأمم السابقة" (٢٥٠) .

وتلقى الأنبياء دعوة واضحة لأخذ تعاليم الله وشرعه بكل العزم والقوة، فيخبر سبحانه عن نبيه موسى عليه السلام في سورة الأعراف: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) (الأعراف:١٤٥) ، "والأمر الإلهي الجليل لموسى عليه السلام أن يأخذ الألواح بقوة وعزم، وأن يأمر قومه أن يأخذوا بما فيها من التكاليف الشاقة؛ بوصفه الأحسن لهم والأصلح لحالهم، هذا الأمر على هذا النحو - فضلاً على أنه يشي بضرورة هذا الأسلوب في أخذ هذه الطبيعة الإسرئيلية؛ التي أفسدها الذل وطول الأمد بالعزم والجد لتحمل تكاليف الرسالة والخلافة- فإنه كذلك يوحى بالمنهج الواجب في أخذ كل أمة لكل عقيدة تأتيها. إن العقيدة أمر هائل عند الله سبحانه ... يجب أن يؤخذ بقوة، وأن تكون له جديته في النفس وصراعته وحسمه، ولا ينبغي أن يؤخذ في رخاوة ولا في تميع ولا في ترخص؛ ذلك أنه أمر هائل في ذاته ، فضلاً على أن تكاليفه باهظة لا يصبر عليها من طبيعته الرخاوة والتميع والترخص ، أو من يأخذ الأمر بمثل هذه المشاعر" (٢٥١) .

(249) انظر : التيسير للسعدي ، ص ٦٦٣ .

(250) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ٦٥ .

(251) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٣٧٠ .

إن هذا الفهم لأبعاد تعاليم هذا الدين؛ يوجب على معتنقيه أن يبذلوا جهدهم لخدمته، ولا يترددوا لحظة في تقديم وسعهم وقدرتهم، ولهذا ذكر القرآن قوماً قدموا جَهْدَهُمْ وَجُهْدَهُمْ وَأَتَى عَلَيْهِمْ، وتوعد من تكلم في حقهم ولمز في بذلهم، فقال سبحانه: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة: ٧٩) ، وفي دعوة واضحة للمسلمين ببذل كافة الإمكانيات، وتقديم الوسع المستطاع، والإعداد اللازم، يقول سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠). فالآية توجه المؤمنين إلى "بذل الوسع وتقديم غاية الطاقة حسب الاستطاعة" (٢٥٢) ، "فلاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد ؛ والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها" (٢٥٣) ؛ ولهذا فالمؤمنون مطالبون ببذل "كل ما يقدرون عليه، من القوة العقلية والبدنية، وأنواع الأسلحة ونحو ذلك، مما يعين على قتال الأعداء" (٢٥٤) ، "بحيث لا تقعد العصبية المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها" (٢٥٥) .

ثم لك أن تتدبر قول الله عز وجل في سورة التوبة: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٢٠، ١٢١) ، حيث بين سبحانه أشكال متعددة من الإمكانيات، وأكد على عدم ضياعها ووقوع أجرها، وأثبت أن فاعليها من المحسنين، ولهذا مزيد تفصيل في مباحث قادمة بإذن الله (٢٥٦) .

والذي يؤكد عليه الباحث في هذا المقام أن الإنفاق يمتد ويتسع ليشمل أصنافاً مختلفة، تتجاوز الإنفاق المادي إلى إنفاق معنوي، كإنفاق النفس و إنفاق الوقت وإنفاق الجهد، وهذا الأخير يتطلب من المؤمن:

١. بذل الجهد البدني العضلي في سبيل الله، فهذا الجسد بكل ما أودع فيه من أسرار، وما منح من إمكانيات، إنما هو هبة الله، والشرف والكرامة الحقيقية عندما تبذل هذه الأسرار، وتلك الإمكانيات في سبيل الواهب.
٢. تفعيل القدرات في وجهها السليم؛ إذ إنها ليست ملكاً له، يمنحها أو يحرمها وفق مشيئته، إنما هي منحة الله، (فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف: ١٢٩) ، إن خيراً

(252) انظر : جامع البيان للطبري ، المجلد ٦ ، ج ١٠ ، ص ٣٥ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤ ، ص ١٦٠١ .

(253) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٥٤٣ .

(254) انظر : التيسير للسعدي ، ص ٣٠٤ .

(255) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٥٤٤ .

(256) انظر مبحث عدم وجود المانع من الإنفاق من الباب الثالث، ص ١٦٠، ١٦٢ .

فخير؛ وإن شراً فشر، ألم يقل سبحانه: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزلزلة:٧، ٨) ، ومصير هذه القدرات - إن لم توجه للخير - أن تصدأ وتتآكل كسيف في غمده ، والأسف كل الأسف إن أشهر السيف في غير محله.
٣. بذل أقصى الجهد وغاية الوسع في تقديم كل ما من شأنه رفعة دين الإسلام، واستقصاء كل أبواب الخير حتى يعذر أمام الله.

المبحث الرابع أحكام الإنفاق

يرى الباحث أن يعالج أحكام الإنفاق من خلال الأحكام الشرعية، مركزاً على الإنفاق المالي وما في حكمه، تاركاً غيره من بدائل أخرى للإنفاق؛ إلى ما ورد في مباحثها من أحكام، وذلك لأنها في الأصل تتبع لمسائل فقهية أخرى، ليس مجال عرضها هذه الرسالة.

والإنفاق منه الواجب، ومنه المندوب، ومنه المحظور.

الإنفاق الواجب :

ويتمثل الإنفاق الواجب في الزكاة وبعض النفقات، أما الزكاة فقد سبق تعريفها^(٢٥٧)، وتشمل زكاة المال وزكاة الفطر.

أولاً : زكاة المال:

وهي شرعاً: "اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص؛ يجب صرفه لأصناف مخصوصة بشرائط"^(٢٥٨)، والتعريف يضع أمامنا أربعة مسائل: قدر مخصوص، ومال مخصوص، وأصناف مخصوصة، وشرائط، وبإضافة أدلة وجوبها، فهي إذن خمس مسائل:

الأولى: أدلة وجوبها:

"الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي واجبة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع أمته، أما الكتاب فقول الله تعالى: (وَأَتُوا الزَّكَاةَ)، وقوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)، وأما السنة: فقد بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن فقال: (أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم)^(٢٥٩) وقوله ﷺ (بني الإسلام على خمس)^(٢٦٠)، وعد منها إيتاء الزكاة، وأخبار سوى هذين كثيرة. وأجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوبها، واتفق الصحابة - رضي الله عنهم - على قتال مانعيها، فروى البخاري بإسناده عن أبي هريرة ﷺ^(٢٦١) قال: (لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر ﷺ، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر ﷺ: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو

(257) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٣٦٨.

(258) انظر مبحث نظائر الإنفاق (المعنى والاشتقاق) من الباب الأول ص ١٧ .

(259) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رقم ٧، الدعاء بين الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم ٢٩، ص ٢٤.

(260) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب رقم ٢، دعاؤكم إيمانكم، حديث رقم ٨، ص ٢٥ .

(261) عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة: صحابي كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأسلم سنة ٧هـ وكان أكثر مقامة بالمدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٣٠٨.

منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه:
فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق. (٢٦٢) " (٢٦٣) .

الثانية : المال المخصوص:

والمقصود به الأصناف التي تجب فيها الزكاة، "وتجب في خمسة أشياء :
المواشي، والأثمان، والزرورع، والثمار، وعروض التجارة" (٢٦٤) . فالأول: "بهيمة
الأنعام وهي: الإبل، والبقر، والغنم، سميت بذلك لأنها لا تتكلم. والثاني: الذهب
والفضة وما يقوم مقامهما من أوراق وقلوس نقدية" (٢٦٥) ، وزكاة الزروع " في
الحنطة والشعير، ومن الثمار في التمر والزبيب" (٢٦٦) ، وذلك عند من قصرها على
هذه الأربع، "وهناك من توسع حتى جعل في كل ما أخرجت الأرض زكاة، وهناك
من توسع فجعلها في كل ما يقتات ويدخر أو في كل ما يببس ويبقى ويكال" (٢٦٧) ،
أما عروض التجارة فهي: "ما أعد للبيع والشراء" (٢٦٨) .

الثالثة: الشروط:

والمقصود: الشروط التي إذا توفرت في المال وجبت فيه الزكاة، وقد ذكرها
القرضاوي (٢٦٩) - في كتابه فقه الزكاة - وفصل القول فيها وهي:

-
- (262) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب رقم ١ ، وجوب الزكاة ، حديث رقم ١٣٩٨ ، ص ٢٧٢ .
- (263) انظر : المغني لابن قدامة المقدسي ، ج ٢ ، ص ٥٧٢ ، ومغني المحتاج ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ، وبدائع
الصنائع في ترتيب الشرائع ، تأليف الإمام علاء الدين أبي بكر مسعود الكاساني الحنفي ، الملقب بملك
العلماء المتوفى ٥٨٧هـ ، طبعة جديدة منقحة مصححة بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٣ .
- (264) كفاية الأختار في حل غاية الاختصار ، تأليف الإمام نقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصري
الدمشقي الشافعي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م ، ج ١ ،
ص ١٠٦ .
- (265) إتحاف المسلمين بما تيسر من أحكام الدين ، علم ودليل ، تأليف عبد العزيز بن محمد السلطان ، ط ٤ ،
١٤٠٩هـ ، ج ٢ ، ص ٩ .
- (266) فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوي ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .
- (267) انظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، ٣٨٢ .
- (268) إتحاف المسلمين بما تيسر من أحكام الدين لعبد العزيز بن محمد السلطان ، ج ٢ ، ص ٩ .
- (269) ولد عام ١٩٢٦م ، ونشأ في مصر ، وأتم تعليمه في الأزهر الشريف فحصل على الشهادة العالية من
كلية أصول الدين عام ١٩٥٣م ، وعلى إجازة التدريس عام ١٩٥٤م ، كما حصل على الدكتوراه بمرتبة
الشرف الأولى عام ١٩٧٣م . عمل بعد تخرجه في وظائف متعددة بالأوقاف المصرية والأزهر وقطر

الملك التام، والنماء، وبلوغ النصاب، والفضل عن الحوائج الأصلية والسلامة من الدين، وحولان الحول^(٢٧٠)، ويرى الباحث أن يتحدث عن شرطي حولان الحول وتوفر النصاب تاركاً الأخرى لكتب الاختصاص.

فأما النصاب "فمعناه في الشرع ما نصبه الشارع علامة على وجوب الزكاة سواء كان من النقدين أو غيرهما ويختلف مقدار النصاب باختلاف المال المزكى"^(٢٧١) فهو "في الإبل خمس بإجماع المسلمين في كل العصور، فليس فيما دونها زكاة واجبة إلا أن يشاء رب الإبل، وليس فيما دون أربعين شاة زكاة بالإجماع أيضاً... أما النصاب الأدنى للبقر فقد اختلف فيه من خمس إلى ثلاثين إلى خمسين"^(٢٧٢)، هذا بالنسبة للأنعام أما بالنسبة للأثمان "فنصاب الذهب عشرون مثقالاً وهو الدينار... ونصاب الفضة مائتا درهم"^(٢٧٣)، "ونصاب النقود: هو ما يساوي قيمة خمسة وثمانين جراماً من الذهب، وهي المساوية للعشرين ديناراً التي جاءت بها الآثار واستقر عليها الأمر، وعروض التجارة إما نقود أو سلع مقومة بالنقود، فأما النقود فأمرها بين، وأما السلع والعروض فيشترط لوجوب الزكاة فيها ما يشترط لزكاة النقود، فنصابها نصاب النقود، وتقدير النصاب في الحبوب والثمار بخمسة أوسق، وأجمع العلماء أن الوسق ستون صاعاً، فالأوسق الخمسة ثلاثمائة صاع، والصاع مكيال لأهل المدينة، يأخذ أربعة أمداد، والمد أيضاً مكيال، وقدره بملء كفي الإنسان المعتدل؛ إذا ملأهما ومد يده بهما"^(٢٧٤).

وأما حولان الحول فمعناه: أن لا تجب الزكاة إلا إذا ملك النصاب، ومضى عليه حول وهو مالكة، والمراد الحول القمري لا الشمسي"^(٢٧٥)، "وهذا الشرط إنما هو بالنسبة للأنعام والنقود والسلع التجارية، وهو ما يمكن أن يدخل تحت اسم زكاة

والجزائر، عضو في عدة مجامع ومؤسسات علمية ودعوية. انظر: الصحوة الإسلامية للقرضاوي، الغلاف الأخير.

(270) انظر: فقه الزكاة، ج ١، ص ١٤٦.

(271) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٩٣.

(272) فقه الزكاة، ج ١، ص ١٨٨.

(273) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٦٠١.

(274) انظر فقه الزكاة، ج ١، ص ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٩٢، ٣٩٣.

(275) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٥٩٣.

رأس المال. أما الزروع والثمار والعسل والمستخرج من المعادن والكنوز ونحوها؛ فلا يشترط لها حول، وهو ما يمكن أن يدخل تحت اسم زكاة الدخل" (٢٧٦).

الرابعة: القدر المخصوص:

وهو المقدار الواجب إخراجه من هذه الأصناف، إذا توفرت فيها شروطها، ويختلف من صنف إلى آخر، ويكتفي الباحث فيها بذكر المقدار مقروناً بأدنى النصاب، فالإبل "إذا بلغت خمساً ففيها شاة" (٢٧٧)، وأما البقر "فليس فيها شيء حتى تبلغ ثلاثين، فإذا بلغت ففيها تبيع" (٢٧٨)، فإذا زادت فليس في الزيادة شيء حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغت ففيها بقرة مسنة (٢٧٩). وأما الغنم فليس فيها صدقة حتى تبلغ أربعين، فإذا كانت أربعين ففيها شاة" (٢٨٠). وبالنسبة للزروع والثمار: "فكل ما سقي بكلفة ومونة ... ففيه نصف العشر، وما سقي بغير مونة ففيه العشر" (٢٨١).

أما الذهب والفضة والأوراق النقدية فزكاتها "ربع العشر، نصف مثقال عن عشرين مثقالاً من الذهب، وخمسة دراهم عن مائتي درهم" من الفضة (٢٨٢). وأما عروض التجارة "فعلى التاجر المسلم - إذا حل موعد الزكاة - أن يضم ماله بعضه على بعض؛ رأس المال والأرباح والمدخرات والديون المرجوة، فيقوم بجرد تجارته ويقوم قيمة البضائع إلى ما لديه من نقود - سواء استغلها في التجارة أم لم يستغلها-

(276) فقه الزكاة ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(277) الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠هـ-٢٠٤هـ) تحقيق وتخرير الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، دار الوفاء ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، ج ٣ ، ص ١٤ .

(278) التَّبِيْعُ : ولد البقرة في السنة الأولى ، انظر المصباح المنير للرافعي ، ج ١ ص ٧٩ .

(279) البقرةُ والشاةُ يقع عليهما اسم المُسن إذا أَتَتْها ؛ فإذا سقطت تَبَيَّنَتْها بعد طلوعها فقد أسنت ؛ وليس معنى إسْنانها كبرها كالرجل ؛ ولكن معناه طُلوع تَبَيَّنَتْها ، وتَبَيَّنْتان في السَّنَةِ الثالثة انظر لسان العرب مادة سنن ج ١٣ ص ٢١٩ .

(280) انظر الأم للإمام الشافعي ، ج ٣ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(281) المغني لابن قدامة المقدسي ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ .

(282) المذهب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، تحقيق وتعليق وشرح وبيان الراجح من المذاهب بقلم الدكتور محمد الزحيلي الأستاذ بكلية الشريعة جامعة دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، ج ١ ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

إلى ماله من ديون مرجوة القضاء غير ميثوس منها، ويخرج من ذلك كله ربع العشر" (٢٨٣).

الخامسة: الأصناف المخصصة التي يجب صرف الزكاة إليها:

والمقصود - كما هو واضح من العنوان - الفئات التي يحق لها أن تأخذ من الصدقات والزكوات ، وهي المذكورة في قوله تعالى من سورة التوبة : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٦٠).

ثانيا: زكاة الفطر:

"يقال لها زكاة الفطر؛ لأنها تجب بالفطر، ويقال لها زكاة الفطرة، أي: الخلقة، يعني زكاة البدن؛ لأنها تزكي النفس، أي: تطهرها وتنمي عملها" (٢٨٤) ، "وزكاة الفطر في الاصطلاح: صدقة تجب بالفطر من رمضان" (٢٨٥) ، وهي: مقدار محدد يخرج المسلم في شهر رمضان من أغلب طعام أهل بلده كالقمح والأرز والتمر، أو ما يعادله من النقود إلى الفقراء، بنية التقرب إلى الله تعالى. والأصل في وجوبها ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر (٢٨٦) رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ (فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين) (٢٨٧) ، "فعلى كل رجل لزمته مؤنة أحد - حتى لا يكون له تركها- أداء زكاة الفطر عنه" (٢٨٨) ، "وتجب بغروب الشمس من ليلة الفطر، ويجوز تقديمها، والمستحب أن تخرج قبل صلاة العيد" (٢٨٩) .

(283) فقه الزكاة ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .

(284) كفاية الأخيار للإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(285) الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط ٣ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، طباعة ذات السلاسل ، الكويت ، ج ٢٣ ، ص ٣٣٥ .

(286) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن : صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية ، كان جريئاً جهوريماً نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها سنة ٧٣هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(287) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب رقم ٤ ، زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير ، حديث رقم ٩٨٤ ، ص ٣٨١ .

(288) الأم للشافعي ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

(289) انظر : المهذب لأبي إسحاق الشيرازي ، ج ١ ، ص ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

ثالثاً: النفقات الواجبة:

هناك "ثلاثة أسباب توجب النفقة وهي: القرابة، والملك، والزوجية، فسبب الملك يوجب للمملوك على المالك، وسبب الزوجية يوجب للزوجة على الزوج" (٢٩٠) ويتولد عنه في الظروف غير الطبيعية عدة نفقات منها: نفقة المعتدة ، ونفقة الرضاعة، ونفقة الحضانة . أما سبب القرابة فيشمل النفقة على الأبناء ، والنفقة على الآباء ، والنفقة على الأقارب، والنفقات بسبب القرابة ليست على إطلاقها، إنما لها شروط منها: حاجة الوالدين، ويسار الولد ، ودرجة القرابة .

ومن الفقهاء من يرى أن الحق الوحيد في المال هو الزكاة، في حين يرى آخرون أن في المال حقاً سوى الزكاة، وقد ناقش الدكتور القرضاوي هذه الأقوال، وأفرد لها باباً خاصاً بعنوان يحمل تساؤلاً : "أفي المال حق سوى الزكاة؟" (٢٩١) وخلص إلى أن شقة الخلاف بينهما ليست بالسعة التي نتخيلها ، فإن بينهما مواضع اتفاق، كما بينهما مواضع خلاف، وقدم عرضاً لكليهما (٢٩٢) ، ويشير الباحث هنا إلى مواضع الاتفاق كمجالات أخرى للإنفاق وهي:

١. حق الوالدين في النفقة إذا احتاجا وولدهما موسر.
٢. حق القريب مع الاختلاف في درجة القرابة الموجبة للنفقة ؛ ما بين موسر ومضيق.
٣. حق المضطر إلى القوت أو الكساء أو المأوى.
٤. حق جماعة المسلمين في دفع ما ينوبهم من النوازل العامة؛ التي تنزل بهم كصد خطر العدو، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار، ومقاومة الأوبئة والمجاعات ونحوها.

الإنفاق المندوب :

من أحب القربات إلى الله أن يؤدي العبد ما فرضه الله عليه من العبادات، وله بعد ذلك أن يتقرب إلى الله تعالى بما شاء من النوافل، حتى يغدو من أحبائه؛ الذين يحفظهم بحفظه ويكلؤهم بعينه، كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

(290) كفاية الأخيار للإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(291) فقه الزكاة ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ .

(292) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٤١ .

قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ... الحديث) (٢٩٣). والإنفاق واحد من هذه العبادات، كتب الله منه فرائض، وجعل منه نوافل، ففرض الزكاة -مثلاً- على المسلم القادر على إخراجها، والمجال واسع مفتوح بعد ذلك أمام المسلم؛ ليستزيد من الخير، وأمام الدولة المسلمة لترى ما فيه مصلحة المسلمين؛ إزاء الظروف والأحوال الطارئة غير الطبيعية.

ويحسن للمتطوع أن يتحرى الأوقات الفاضلة، كشهر رمضان "وعشر ذي الحجة وأيام العيد وكذا في الأماكن الشريفة كمكة والمدينة وفي الغزو والحج وعند الأمور المهمة كالكسوف والمرض والسفر" (٢٩٤).

الإنفاق المكروه:

ومن الإنفاق المكروه: إنفاق الخبيث (٢٩٥)، والإنفاق المتبوع بالمن والأذى، وسترد أحكامهما، والأقوال فيهما في المباحث القادمة (٢٩٦).

الإنفاق المحرم:

ومن الإنفاق المحرم: الإنفاق في الصد عن سبيل الله، والإنفاق رياء الناس ومنه إنفاق المنافقين تحت ضغط الإكراه؛ النابع من داخلهم، نتيجة خوفهم من المسلمين، وتم التعرض لبعض هذه الأنواع في المباحث السابقة، كالإنفاق في الصد عن سبيل الله (٢٩٧)، وبعضها له مباحثه الخاصة (٢٩٨).

الفصل الثالث

(293) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب رقم ٣٨، التواضع، حديث رقم ٦٥٠٢، ص ١٢٤٧.

(294) انظر: مغني المحتاج للنووي، ج ٣، ص ١٢١.

(295) انظر: مبحث إنفاق الطيب والخبيث من الفصل القادم، ص ١٢٧.

(296) انظر: مبحث أشكال من الإنفاق المردود من الباب الرابع، ص ٢٣٢.

(297) انظر: مبحث الإنفاق من أجل المبادئ الضالة من هذا الباب، ص ٥٤.

(298) انظر: مبحث أشكال من الإنفاق المردود من الباب الرابع، ص ٢٣١.

حالات الإنفاق

وفيه أربعة مباحث :

- المبحث الأول : إنفاق السر والعلن
- المبحث الثاني : إنفاق السراء والضراء
- المبحث الثالث : إنفاق الطيب والخبيث
- المبحث الرابع : أولويات الإنفاق

الفصل الثالث

حالات الإنفاق

الحديث في هذا الفصل يتناول الحالات المتنوعة؛ التي توصف بها عملية الإنفاق، فهناك إنفاق يؤدي في السر، وآخر يتم في العلن، وهناك إنفاق في حالة السراء، وآخر في حالة الضراء، وتجد من يتحرى الطيب فينفق منه؛ كما أنك تجد من يتيمم الخبيث؛ ليجعله مادة لإنفاقه، ثم إن هناك حالات أولى من أخرى بالإنفاق. واستيفاءً لهذه المسائل كانت هذه المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول

إنفاق السر والعلن

دعت الآيات القرآنية إلى الإنفاق في سائر الحالات، في السر والجهر، وفي الليل والنهار، وبينت فضل الصدقة في كل الأحوال، وفاضلت أحياناً بين نفقة السر ونفقة العلن، وفي ما يلي تفصيل ذلك:

أولاً : بيان فضل الصدقة في السر والعلن:

وجه سبحانه عباده إلى الإنفاق والمبادرة فيه؛ قبل أن تنتضي الأجال، وتنتهي المعاملات؛ فلا بيع ولا شراء، ولا صداقة ولا أخلاء، وليس لأحد إلا ما قدم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذه الدعوة الإلهية شملت حالتي الإنفاق في السر والعلن، فقال سبحانه: (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) (إبراهيم: ٣١) ، وفي آيات أخر جاء الحث على الإنفاق في حالتي السر والعلن؛ مع بيان أجر وثواب المنفقين، فقال سبحانه: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٤) ، وفي " هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته؛ في جميع الأوقات من ليل ونهار " (٢٩٩) ، وذلك لأنه توفرت "لديهم رغبة زائدة في الإنفاق، وشدة حرص عليه؛ حتى أنهم لا يتركون ذلك ليلاً ولا نهاراً، ويفعلونه سرّاً وجهرّاً؛ كلما ظهرت لهم حاجة المحتاجين، وبان لديهم فاقة المفتاقين؛ في جميع الأزمنة، وعلى مختلف الأحوال من سر وجهر " (٣٠٠) ، والآية كذلك تمنح المنفق أمناً في الدنيا وأماناً في الآخرة (٣٠١) ألم يقل الله سبحانه: (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، فمن تعهد الإنفاق ليلاً ونهاراً؛ تعهده الله دنيا وآخره، ومن حرص عليه سرّاً وجهرّاً؛ شملته عناية الله وحفظه، ولقد بين النبي ﷺ ذلك في حديثه الذي يرويه مسلم في صحيحه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة؛ فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة) (٣٠٢) . وإذا تأملت الآيات الأخرى التي تحدثت عن مسألة الإنفاق في السر والجهر؛ تجد أنها فصلت في أجرها وبيان فضلها، ومن ذلك قوله سبحانه في سورة فاطر: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا

(299) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ .

(300) انظر : فتح القدير للشوكاني ، ص ٢٥٠ .

(301) انظر : مبحث عدم ضياع الإنفاق من الباب الثالث ، ص ١٧٥ .

(302) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب رقم ١٥ ، تحريم الظلم ، حديث رقم ٢٥٨٠ ،

الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (فاطر: ٢٩، ٣٠) ، حيث إن الله وعدهم:

١. تحقق الربح لتجارتهم مع الله ؛ فهي "تجارة لن تكسد ولن تهلك" (٣٠٣) ، فإن "الإخبار برجائهم لثواب ما عملوا في قوله تعالى: (يَرْجُونَ)؛ بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم" (٣٠٤) .

٢. الوفاء بثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا (٣٠٥) .

٣. مضاعفة الأجر لهم بزيادات لم تخطر لهم (٣٠٦) .

٤. مغفرة لذنوبهم.

٥. "تقبل القليل من العمل الخالص، والإثابة عليه بالجزيل من الثواب" (٣٠٧) .

وكذلك قوله سبحانه في سورة الرعد: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد: ٢٢-٢٤) ، حيث أضافت هذه الآية مزيد فضل عن الأولى، فبينت أجر من يتصف بصفات محددة من ضمنها الإنفاق في السر والعلن، ومن هذا الأجر:

١. البشرى بأن لهم "عاقبة طيبة عند انتهاء دارهم الدنيا" (٣٠٨) ، فالكل مآله إلى الآخرة؛ ولكن شتان بين مآلٍ ومآل.

٢. بيان حقيقة العاقبة وتمثلها في جنات عدن، أي: "جنات إقامة يخلدون فيها" (٣٠٩) .

٣. الأُنس بالصالحين من الأقارب، فيجمع سبحانه في الجنة "بينهم وبين أحبائهم من الآباء والأهلين والأبناء؛ ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين؛ لتقر أعينهم بهم؛ حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى، امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته" (٣١٠) ، كما قال تعالى:

(303) تفسير جامع البيان للطبري ، المجلد ١٢ ، ج ٢٢ ، ص ١٤٢ .

(304) انظر : فتح القدير للشوكاني ، ص ١٤٥٤ .

(305) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٦ ، ص ٢٩١٤ ، وتفسير جامع البيان للطبري ، المجلد ١٢ ج ٢٢ ، ص ١٤٢ .

(306) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٦ ، ص ٢٩١٤ .

(307) انظر : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٢٩١٤ .

(308) انظر : تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المتوفى سنة ٩٨٢هـ منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ .

(309) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٤ ، ص ١٨٩١ .

(310) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٩٢ .

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ) (الطور: ٢١).

٤. التهنة من قبل الملائكة بدخول الجنة، "فعند دخولهم إياها؛ تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنيين لهم؛ بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام؛ في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام" (٣١١).

ثانياً: بيان التفاضل بين نفقة السر ونفقة العن:

يميل الباحث في هذه المسألة إلى ما ذكره القرطبي من موازنة بين صدقة السر وصدقة العن، وذلك في تفسيره لقوله سبحانه: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (البقرة: ٢٧١) ، وبالإمكان إيجاز ذلك في النقاط التالية:

١. "الحال في الصدقة تختلف بحال المعطي لها، والمعطى إياها، والناس الشاهدين لها.
٢. أما المعطي لها: فله فيها فائدة إظهار السنة وثواب القدوة، وهذا لمن قويت حاله وحسنت نيته وأمن على نفسه الرياء، وأما من ضعف عن هذه المرتبة فالسر له أفضل.
٣. وأما المعطى إياها: فإن السر له أسلم من احتقار الناس له، أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغنى عنها وترك التعفف.
٤. وأما حال الناس: فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم، من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء، وعلى الآخذ لها بالاستغناء، ولهم بها تحريك القلوب إلى الصدقة؛ لكن هذا اليوم قليل" (٣١٢).

المبحث الثاني

إنفاق السراء والضراء

لا يتوقف الإنفاق على حال واحدة؛ فكما أنه يؤدي في السر والعن؛ فإنه يؤدي في حالتي السراء والضراء، وقد سبق (٣١٣) وبين الباحث أن أغلب صيغ الإنفاق جاءت بصيغة المضارع، وفسر ذلك في حينه - على أنه قد يكون إشارة إلى أن الإنفاق متجدد مستمر في كل الأحوال، ويؤكد هنا على أن الإنفاق يتجاوب مع كل الإمكانيات، مرن يتكيف مع كل الظروف، ثم إن تعدد أصنافه يمنحه مزيداً من هذه المرونة، فتجده في حال السراء كما تجده في حال الضراء، ولبيان وقوع الإنفاق في

(311) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ص ١٨٩٢.

(312) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٢، ج ٣، ص ٢٥٢.

(313) انظر: مبحث مشتقات الإنفاق الواردة في القرآن من الباب الأول، ص ١٦.

حالتى السراء والضراء، وما يترتب عليه من أجر؛ يسوق الباحث بعض الآيات التي توضح ذلك:

أولاً : قوله تعالى في سورة آل عمران: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (آل عمران: ١٣٣-١٣٦)،

والآيات تتحدث عن جملة من الصفات يكفي أصحابها شرفاً أنها صفات المتقين، لكنه شرف يحتاج إلى مسارعة، ويتطلب مواقف غير عادية؛ فضلاً عن المواقف العادية، فالإنفاق في السراء أمرٌ قد يكون عادياً؛ إلا أن الإنفاق في الضراء أمرٌ غير عادي، وهذا باعتبار حال المنفق غالباً، وباعتبار حال المعطى أحياناً؛ فبعض الناس ينفق على الآخرين ويساندهم في الأفراح والمسرات، أما إذا دارت عليهم الدوائر قلب لهم ظهر المجن؛ إما خوفاً أن يصيبه ما أصابهم؛ أو لذهاب الحاجة إليهم بتغيير أحوالهم، وهنا تظهر المعادن الحقيقية للرجال الذين لا ترهبهم الأحداث، ولا تحركهم المطامع، وإلى أمثال هؤلاء يعد الرحمن جنته. وبالتأمل في بقية الصفات تلاحظ أن كظم الغيظ رغم أنه أمر لا يستطيعه الجميع، وفضله كبير جليل؛ إلا أن الأكثر صعوبة منه العفو عن أساء إليك، أما الإحسان إلى من أحسن إليك؛ فأمر تميل إليه النفس البشرية؛ ما لم تكن نفس غذيت الخسة ونكران المعروف، في حين أن العفو عن الناس والإحسان إلى من أساء إليك خلق ينذر وجوده؛ لذا يعتد به، ويعد لك، ويتميز به صاحبه في ميدان السبق نحو الجنان، وكذلك التوبة من الذنوب أمر تلجأ إليه كثير من النفوس السوية؛ متى زالت عنها غشاوة أودت بها إلى المعصية؛ إلا أن الذي يتطلب مراعاة للنفس والشيطان ليتحقق هو: الإقلاع عن المعصية وعدم العودة لها. ومن خلال ما سبق تلمس قاسماً مشتركاً بين هذه الصفات، تمثل في سموها وتميزها عن الأمور المعتادة، فكان الجزاء من جنس العمل مميّزاً بمغفرة من الله، وجنة عرضها السموات والأرض؛ أعدت وهيأت للمتقين الذين من صفاتهم - وعلى رأسها- الإنفاق في السراء والضراء، فتجدهم "إن أيسروا، أكثروا من النفقة؛ وإن أعسروا لم

يحتقروا من المعروف شيئاً، ولو قل" (٣١٤) ، فينفقون "في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال ... لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مرضيه، والإحسان إلى خلقه؛ من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر" (٣١٥)

ثانياً: قوله تعالى في سورة الحديد: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد: ١٠) ، وفي الآية "بيان لتفاوت المنفقين؛ باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات؛ حثاً على تحري الأفضل منها، بعد الحث على الإنفاق" (٣١٦) ، فلا يستوي في الأجر والمثوبة ؛ من أنفق من قبل فتح "مكة" وقاتل الكفار، أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار، وكلاً من الفريقين وعد الله الجنة، أما لماذا هذا التباين؟ فذلك لأسباب منها:

١. "إن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة، ولا سلطان ولا رخاء؛ غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة والأنصار كثرة، والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال؛ ذلك متعلق مباشرة بالله؛ متجرد تجرداً كاملاً لا شبهة فيه؛ عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده؛ بعيد عن كل سبب ظاهر، وكل واقع قريب، لا يجد على الخير عوناً؛ إلا ما يستمده مباشرة من عقيدته، وهذا له على الخير أنصار؛ حتى حين تصح نيته، ويتجرد تجرد الأولين" (٣١٧) .

٢. "إن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام" (٣١٨) ، فكان إنفاق الأوائل مع شدة حاجتهم إليه .

(314) التيسير للسعدي ، ص ١٢٩ .

(315) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ .

(316) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، تأليف ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، دار صادر بيروت ، ط ١ ٢٠٠١ ، ج ٢ ، ص ١٠٤٦ .

(317) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٤٨٤ .

(318) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٩ ، ج ١٧ ، ص ١٧٦ .

٣. "إن المتقدمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ" (٣١٩).

٤. إقرار "أن الكم ليس هو الذي يرجح في الميزان؛ إنما هو البذل الخالص لله؛ الذي لا تشوبه شائبة من طمع في عوض من الأرض، ولا من رياء، وذلك أن ما بذله الأوائل من ناحية الكم؛ كان قليلاً بالقياس إلى ما أصبح الذين جاءوا بعد الفتح يملكون أن يبذلوه؛ فكان بعض هؤلاء يقف ببذله عند القدر الذي يعرف ويسمع أن بعض السابقين بذلوه" (٣٢٠).

"ولقد بذلت الحفنة المصطفاة من السابقين؛ من المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم أجمعين- ما وسعها من النفس والمال في ساعة العسرة وفترة الشدة قبل الفتح (٣٢١)، وكلاهما اعتز به الإسلام أيام أن كان الإسلام غريباً محاصراً من كل جانب، مطارداً من كل عدو، قليل الأنصار والأعوان" (٣٢٢). ولقد جسدت السنة النبوية هذا التفاضل، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٣٢٣) قال: كان بين خالد بن الوليد رضي الله عنه (٣٢٤) وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (٣٢٥) شيء؛ فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو

(319) فتح القدير للشوكاني، ص ١٧٣٩.

(320) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ٦، ص ٣٤٨٤.

(321) أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة، ويرى بعضهم على أنه فتح الحديبية، انظر: تفسير جامع أحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٩، ج ١٧، ص ١٧٥، ١٧٦.

(322) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ٦، ص ٣٤٨٤.

(323) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ، غزا مع رسول الله ﷺ، اثنتي عشر غزوة، وكان من نجباء الصحابة وعلمائهم وفضلائهم، مات في المدينة سنة ٧٤هـ، انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني، مؤسسة الرسالة ط ٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ج ١٠، ص ٢٩٤.

(324) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام وليث المشاهد... أبو سليمان القرشي المخزومي المكي... هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة، وشهد الفتح وحنين... وحارب أهل الردة ومسيلمة وغزا العراق واستظهر... وشهد حروب الشام... توفي بحمص سنة ٢١هـ، انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١، ص ٤٠.

(325) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث أبو محمد الزهري القرشي: صحابي من أكابرهم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم وأحد السابقين إلى الإسلام، ووفاته في المدينة سنة ٣٢هـ، انظر: الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٣٢١.

أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) (٣٢٦) علماً بأن خالد بن الوليد رضي الله عنه ممن أنفق قبل فتح مكة وقاتل؛ إلا أن للسبق شرف واضح، ومع كل التمايز يقرر سبحانه "أن كل هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا؛ وعد الله الجنة بانفاقهم في سبيله وقتالهم أعداءه" (٣٢٧).

ثالثاً: قوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان:٨) ، والشاهد في الآية أن الأبرار ينفقون ويطعمون وهم يرغبون في هذا الطعام ؛ وبرغم هذه الرغبة فيه ، والحاجة إليه إلا أنهم لم ييخلوا ، ولم يترددوا ؛ فأطعموا "وهم في حال يحبون فيها المال والطعام ، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم ، وتحروا في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم " (٣٢٨) ، فقيراً عاجزاً عن الكسب لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وطفلاً مات أبوه ولا مال له، وأسيراً أسر في الحرب من المشركين وغيرهم.

(326) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب رقم ٥٤ ، تحريم سب الصحابة ، حديث رقم ٢٥٤١ ، ص ١٠٢٦ .

(327) جامع البيان للطبري ، المجلد ١٣ ، ج ٢٦ ، ص ٢٥٢ .

(328) التيسير للسعدي ، ص ٨٥٦ .

المبحث الثالث

إنفاق الطيب والخبيث

من الحالات المتنوعة التي توصف بها عملية الإنفاق؛ حالتني إنفاق الطيب وإنفاق الخبيث، وذلك إضافة إلى ما سبق استعراضه من حالتني السر والعلن، وحالتني السراء والضراء. وإذا كانت الآيات القرآنية - في المبحثين السابقين - دعت إلى الإنفاق في سائر الحالات؛ فإن الأمر هنا يختلف إذ جاء الحث والثناء على صورة دون الأخرى. والآيات التي عالجت هذه المسألة توضح ذلك:

أولاً: قال تعالى في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨) ، وفي هذا "نداء عام للذين آمنوا في كل وقت وفي كل جيل، يشمل جميع الأموال التي تصل إلى أيديهم؛ تشمل ما كسبته أيديهم من حلال طيب، وما أخرج الله لهم من الأرض من زرع وغير زرع مما يخرج من الأرض" (٣٦٩) ، وتمثل هذا النداء في الأمر بالإنفاق. والمتأمل في هذه الآية -مقارناً لها مع ما سبقها من آيات الإنفاق- يجد أن كل آية أو مجموعة آيات عالجت جانباً من جوانب الإنفاق، فكان قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: ٢٥٤) ، يوجه المؤمنين إلى المبادرة في الإنفاق قبل فوات الفرص، كما جاء الترغيب في الإنفاق وبيان أجره المضاعف في قوله سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ مِنْ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١) ، ثم كان بيان أثر المن والأذى الماحق والمبطل للصدقات في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة: ٢٦٤) ، والتأكيد على أن يكون الإنفاق خالصاً لوجه الله ببيان ثمرته المضمونة في قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْبُورَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٦٥) ، في حين بين قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٤) ، نظرة الشرع إلى إنفاق السر والعلن، وفي وسط هذا البيان الإلهي المحكم يأتي قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) ، لتأخذ الآية موقعها في بيان ضابط آخر من ضوابط الإنفاق، وهو الحرص على إنفاق الطيب، وعدم تحري الخبيث ليكون مادة للإنفاق، وحول هذا الضابط تلمس عدة أمور:

١. أمر تعالى عباده المؤمنين أن يقصدوا الطيب فينفقوا منه.

٢. تحمل الآية نهياً صريحاً عن "تعمد إنفاق الخبيث، والرديء من الأموال في الصدقات" (٣٣٠).

٣. تبين الآية أن هذا الخبيث الرديء؛ الذي يتيممه البعض فينفق منه، لا تقبله النفوس وتعافه، "فإذا قدم لها على سبيل الهدية تأخذه على مضض، وإذا قدم لها كحق من حقوقها لا تقبله حتى تنقص من قيمته" (٣٣١)، فإذا كان هذا صفته في التعامل بيننا نحن البشر، أليس من الأولى أن ننزه زكواتنا وصدقاتنا ونفقاتنا عن هذا الرديء؛ وهي معاملة مع الله؟ بلى؛ "فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون" (٣٣٢)؛ "لأن الله عز وجل أحق من تقرب إليه بأكرم الأموال وأطيبها" (٣٣٣).

٤. تقرر الآية أن الله "غني عن عطاء الناس إطلاقاً، فإذا بذلوه فإنما يبذلونه لأنفسهم؛ فليبذلوه طيباً، وليبذلوه طيبة به نفوسهم" (٣٣٤)، "فما أمرهم به، وحثهم عليه، إنما لنفعمهم، ومحض فضله وكرمه عليهم" (٣٣٥).

٥. "لا تخلو الجماعة المؤمنة على مر العصور من نماذج سامية، احتلت قمة سامقة، ونماذج أخرى بحاجة إلى تربية وتهذيب وتوجيه، فكما سطر الأنصار - رضوان الله عليهم- صفحات مشرقة في تاريخ البذل السمع والعطاء الفياض، كانت هناك نماذج أخرى بحاجة إلى مزيد تربية، وحسن توجيه؛ لتتجه إلى الكمال، فليدرك المرءون ذلك" (٣٣٦).

ثانياً: قال تعالى في سورة آل عمران: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران: ٩٢)، والآية تبين طريق الوصول إلى البر والفوز بالجنة، وتحدد ذلك بشكل واضح لا لبس فيه، فتؤكد أن "البر الذي هو اسم جامع للخيرات، لا يدرك إلا بالإنفاق مما نحب، ومن أطيب أموالنا وأزكاها"

(330) انظر : جامع البيان للطبري ، المجلد ٣ ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

(331) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(332) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .

(333) جامع البيان للطبري ، المجلد ٣ ، ج ٣ ، ص ١١٠ .

(334) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(335) التيسير للسعدي ، ص ١٠٦ .

(336) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٣٣٧) ، وترى في الآية الترغيب في إنفاق الجيد والتحذير من إنفاق الرديء؛ وذلك أن إنفاق الجيد يعني أموراً كثيرة منها:

١. "النفقة من الطيب المحبوب للنفوس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها، ورقتها.

٢. ومن أول الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلت النفوس على قوة التعلق بها؛ فمن أثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال.

٣. وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالاً وأخلاقاً، لا تحصل بدون هذه الحالة.

٤. وأيضاً فمن قام بهذه النفقة على هذا الوجه، كان قيامه ببقية الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، من طريق الأولى والأحرى" (٣٣٨).

هذا بالنظر إلى الآية نفسها؛ أما بالتدبر في السياق الذي وردت فيه الآية؛ واكتفاء بالمناسبة القريبة، حيث يقول سبحانه في الآية التي تسبقها مباشرة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأُ الْأَرْضَ ذُهَبًا وَكَوْا فُتْدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ) (آل عمران: ٩١) ، فبمناسبة الحديث عن "الإنفاق على غير درب الله، وفي غير سبيله، وبمناسبة الافتداء يوم لا ينفع الفداء" (٣٣٩) ؛ جاءت الآية "ليبين ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم، إثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم" (٣٤٠) ، "وقد فقه المسلمون - وقتها - معنى هذا التوجيه الإلهي، وحرصوا على أن ينالوا البر - وهو جماع الخير - بالنزول عما يحبون، وببذل الطيب من المال سخية به نفوسهم؛ في انتظار ما هو أكبر وأفضل ... وعلى هذا الدرب سار الكثيرون منهم يلبون توجيه ربهم ؛ الذي هداهم إلى البر كله ، يوم هداهم إلى الإسلام ، ويتحررون بهذه التلبية من استرقاق المال ، ومن شح النفس ومن حب الذات ؛ ويصعدون في هذا المرتقى السامق الوضيء أحراراً خفافاً طلقاء" (٣٤١) .

(337) انظر : التيسير للسعدي ، ص ١٢٣ .

(338) التيسير للسعدي ، ص ١٢٣ .

(339) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

(340) تفسير أبي السعود ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(341) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .

المبحث الرابع أولويات الإنفاق

تعرضت المباحث السابقة لحالات متضادة من حالات الإنفاق، فعالجت حالة إنفاق السر وضده إنفاق العلن، كما ناقشت إنفاق السراء وضده إنفاق الضراء، وكذلك الأمر مع إنفاق الطيب وضده إنفاق الخبيث؛ أما في هذا المبحث، فالحديث عن الأولويات التي يجب مراعاتها حال الإنفاق، سواء من ناحية مادة الإنفاق نفسه، أو من ناحية الجهة التي سينفق عليها، وقد ورد في القرآن سؤالين حول هذه الأولويات، ثم أجاب عنهما. ويكتفي الباحث هنا بمعالجة السؤالين؛ حيث يبين كل واحد منهما جانباً من هذه الأولويات.

أولاً : السؤال عن جهة الإنفاق:

يقول تعالى في سورة البقرة: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢١٥) ، والسؤال الوارد في الآية سؤال عن النفقة، "وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنها؛ أن ما أنفقتم من مال قليل أو كثير، فأولى الناس به، وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقا عليك، وهما الوالدان، الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق، ترك الإنفاق عليهما، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة على الولد الموسر، ومن بعد الوالدين، الأقربون؛ على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة" (٣٤٢). وبدأت الآية تستعرض الأولويات، فبعد الوالدين والأقارب، اليتامى، ثم المساكين فابن السبيل، وبالتأمل في الترتيب الذي اعتمده القرآن في مجال الإنفاق؛ تلاحظ أنه اعتمد الروابط التي تربط المنفق بالمجتمع من حوله، والدائرة أخذه بالاتساع حتى يعم الخير وينتشر، فبدأ بأسمى رابطة وأجلها؛ ألا وهي رابطة الأبوة، فجعل الوالدين على قمة الأولويات، ثم تحول إلى رابطة الرحم؛ لتتسع الدائرة الخيرة فتضم الأقارب، وهم "فريق من الأمة إن لم يعطوا احتاجوا، وأخذهم من القريب أكرم لهم من أخذهم من البعيد، وفيه -في الوقت ذاته- إشاعة للحب والسلام في المحضن الأول، وتوثيق لروابط الأسرة؛ التي شاء الله أن تكون اللبنة الأولى في بناء الإنسانية الكبير" (٣٤٣). وبعد رابطة الرحم، يعتمد رابطة الرحمة لأولئك الذين فقدوا المعيل؛ ففقدوا الحنان، فكانوا أولى الأصناف بعد الأقارب، ثم تمتد رابطة الرحمة لتمد اليد نحو "المساكين؛ الذين لا يجدون ما ينفقون، ولكنهم يسكتون فلا يسألون الناس كرامة وتجبلاً، ثم أبناء السبيل الذين قد يكون لهم مال، ولكنهم انقطعوا عنه، وحالت بينهم وبينه الحوائل" (٣٤٤). والسنة النبوية أكدت

(342) التيسير للسعدي ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(343) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(344) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

هذا المنهج في الأولويات وتبنته، فقد جاء في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه (٣٤٥) أن رسول الله ﷺ قال لرجل: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا) (٣٤٦)، فبعد الأهل والأقارب تأتي مجموعة من الفئات تربطها بالمنفق روابط مختلفة.

ثانياً: السؤال عن مقدار الإنفاق:

يقول تعالى في سورة البقرة: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة: ٢١٩) ، والسؤال هنا " عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم، فيسر الله لهم الأمر، وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم، الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم، وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه، من غني وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمره" (٣٤٧) ، ورغم أن صيغة السؤال واحدة؛ إلا أن الإجابة اختلفت، فإذا كانت الإجابة هناك تتعلق بوجهة الإنفاق، فهي هنا تتعلق بمصدر الإنفاق، ولعل تأجيل الإجابة عن مصدر الإنفاق، والبدء "ببيان المصرف الذي يصرفون فيه، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، لأن الشيء لا يعتد به إلا إذا وضع في موضعه وصادف مصرفه" (٣٤٨) ، وفي هذا بيان لمعلم جديد من معالم الأولويات، كما أن الإجابة ذاتها تعطيك بعداً آخر؛ وهو أن احتياجات الإنسان نفسه على قمة الأولويات، وما زاد عنها فهو العفو الذي يبدأ بإنفاقه؛ وفق التدرج أو التوسع السابق بيانه. "وهذا الترتيب يشي بمنهج الإسلام الحكيم البسيط في تربية النفس الإنسانية وقيادتها، إنه يأخذ الإنسان كما هو بفطرته وميوله الطبيعية واستعداداته ... لقد علم الله أن الإنسان يحب ذاته؛ فأمره أولاً بكفايتها قبل أن يأمره بالإنفاق على من سواها، وأباح له الطيبات من الرزق، وحثه على تمتع ذاته بها في غير ترف ولا مخيلة، فالصدقة لا تبدأ إلا بعد الكفاية" (٣٤٩) ، وتجد التطبيق العملي لهذا في سنة النبي ﷺ ، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن **تعول**) (٣٥٠) .

وفي نهاية هذا العرض لأولويات الإنفاق -من حيث المصدر والمصرف- يسوق الباحث آية ثالثة أكدت على حق مجموعة - من الفئات السابقة الذكر- في أن

(345) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي : صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ... غزا تسعة عشرة غزوة ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفي سنة ٧٨هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(346) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب رقم ١٣ ، الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة ، حديث رقم ٩٩٧ ، ص ٣٨٩ .

(347) التيسير للسعدي ، ص ٩١ .

(348) فتح القدير للشوكاني ، ص ١٩٢ .

(349) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(350) صحيح البخاري ، كتاب النفقات ، باب رقم ٢ ، وجوب النفقة على الأهل والعيال ، حديث رقم ٥٣٥٦ ، ص ١٠٥٩ .

ينالهم الإنفاق؛ وذلك قوله تعالى: (فَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الروم: ٣٨).

الباب الثالث منهج القرآن الكريم في الحث على الإنفاق

- الفصل الأول : الأمر بالإنفاق .
- الفصل الثاني : فضائل الإنفاق .
- الفصل الثالث: الربط بين الإنفاق وقضايا الإيمان والعبادات .
- الفصل الرابع : الحث على الإنفاق بضرب الأمثال وذكر القصص .

الباب الثالث منهج القرآن الكريم في الحث على الإنفاق

يتناول الباحث في هذا الباب أسلوب ومنهج القرآن الكريم في الحث على الإنفاق؛ من خلال استعراض الآيات القرآنية التي تناولت هذه المسائل وتصنيفها إلى أربعة أساليب :

- ١- الأمر بالإنفاق .
- ٢- بيان فضائل الإنفاق .

- ٣- الربط بين الإنفاق وقضايا الإيمان والعبادات .
٤- ضرب الأمثال وذكر القصص .
وتم تناول هذه الأساليب عبر فصول أربعة، اختص كل فصل بأسلوب منها .

الفصل الأول الأمر بالإنفاق

- وفيه أربعة مباحث :
- المبحث الأول : الأمر المباشر بالإنفاق .
 - المبحث الثاني : التحذير من عدم الإنفاق .
 - المبحث الثالث : الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق .
 - المبحث الرابع : عدم وجود المانع من الإنفاق .

المبحث الأول الأمر المباشر بالإنفاق

بين الباحث في الباب الأول (٣٥١) أن ألفاظ الإنفاق التي جاءت بصيغة الأمر بلغت تسعة مواضع، كلها جاءت بصيغة جمع المخاطب بلفظ (أَنْفِقُوا) ، وأشار في حينه إلى دلالة هذا؛ على أن الإنفاق أمر لا يخص فرداً دون آخر، بل هو باب للتنافس على كل واحد محاولة ولوجه؛ كلما توفرت الإمكانيات ، وهنا عمد الباحث إلى بعض هذه المواضع التسعة لعرضها بشيء من التفصيل، تاركاً بعضها الآخر لمسائل أكثر مناسبة.

أولاً : جاء الأمر مباشراً بالإنفاق في مثل قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥)، والمتأمل في هذه الآية يتبين له :

- ١- الأمر المباشر بالإنفاق في قوله: (وَأَنْفِقُوا) .
- ٢- إخلاص الإنفاق لله، وذلك بين عندما أمر به سبحانه في سبيله فقال : (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) .

٣- مجال الإنفاق الواسع الشامل لكل خير ، " فمضمون الآية : الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات " (٣٥٢) ، وفيها " يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله ، وهي كل طرق الخير، من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته" (٣٥٣) .

- ٤- خصوصية الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، وتبرز هذه الخصوصية مما يلي:
أ- ورود الآية بعد آيات تحدثت عن القتال، فقد سبقت بمجموعة من الآيات بدأت بقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠) ، وسبقت مباشرة بقوله تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين * الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (البقرة: ١٩٣، ١٩٤) ، وهذا التابع يحمل إشارة واضحة على علاقة الإنفاق- في الآية- بالقتال .

(351) انظر : مبحث مشتقات الإنفاق الواردة في القرآن ، ص ١٤ ، ١٦ .

(352) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(353) التيسير للسعدي ، ص ٨٢ .

ب- ما ورد في سبب نزول هذه الآية؛ من أنها نزلت في الأنصار، عندما فكر بعضهم في الإقامة على الأموال وترك الغزو، فقد روى الترمذي (٣٥٤) في سننه عن أسلم أبي عمران التَّجِيبِيّ (٣٥٥) قال: (... فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله !! يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب (٣٥٦) فقال يا أيها الناس: إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله ؛ حتى دفن بأرض الروم (٣٥٧) ، (٣٥٨)

ج- الدور الطبيعي للإنفاق في إعداد الجيوش وتسليحها ، واعتماد الجيوش على الأموال لترتيب شؤونها ، " فالجهاد كما يحتاج للرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال . لم تكن هناك رواتب يتناولها القادة والجند ، إنما كان هناك تطوع بالجنس وتطوع بالمال، وهذا ما تصنعه العقيدة حين تقوم عليها النظم، إنها لا تحتاج حينئذ أن تنفق لتحمي نفسها من أهلها، أو من أعدائها، إنما يتقدم الجند ويتقدم القادة متطوعين ينفقون هم عليها، ولكن كثيراً من فقراء المسلمين - الراغبين في الجهاد، والذود عن منهج الله وراية العقيدة - لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم، ولا

(354) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى الترمذي ، أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، من أهل ترمذ ... مات بها سنة ٢٧٩هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ .

(355) أسلم بن يزيد، أبو عمران التجيبي المصري، مولى عمير بن تميم جد التجيبي ... كان وجيهاً بمصر في أيامه، وكان الأمراء يسألونه في حوائجهم، انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، مؤسسة الرسالة، ط ٤ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، ج ٢ ، ص ٥٢٨ .

(356) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة أبو أيوب الأنصاري ، من بني النجار : صحابي شهد العقبة وبردراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية صحبه أبو أيوب غازياً فحضر الوقائع ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية سنة ٥٢هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(357) سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، كتاب تفسير القرآن ... ، باب "ومن سورة البقرة" ، حديث رقم (٢٩٧٢) ، ج ٥ ، ص ٢١٢ .

(358) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب ، انظر المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، والحديث صححه الألباني ، انظر صحيح سنن الترمذي ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، كتاب تفسير القرآن ... ، باب "ومن سورة البقرة" ، حديث رقم (٢٩٧٢) ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

ما يتجهزون به من عدة الحرب ومركب الحرب، وكانوا يجيئون إلى النبي ﷺ يطلبون أن يحملهم إلى ميدان المعركة البعيد؛ الذي لا يبلغ على الأقدام، فإذا لم يجد ما يحملهم عليه؛ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، كما حكى عنهم القرآن الكريم. من أجل هذا كثرت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى الإنفاق في سبيل الله؛ الإنفاق لتجهيز الغزاة. وصاحبت الدعوة إلى الجهاد، دعوة إلى الإنفاق في معظم المواضع" (٣٥٩).

د- ما مال إليه أغلب المفسرين إلى أن المقصود بالتهلكة - التي جاء التحذير من الوقوع فيها - هي ترك الجهاد والتخلي عن القتال.

هـ- يتبين كذلك للمتأمل دلالة التعقيب الأول بعد الأمر بالإنفاق والتمثل في قوله تعالى: **(وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** ، يتبين له أن التهلكة الحقيقية في التخلي عن الإنفاق في سبيل الله، ويؤكد هذا الفهم حديث الترمذي السابق ، وحديث البخاري الذي يرويه عن حذيفة رضي الله عنه (٣٦٠) : **(وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** قال: نزلت في النفقة (٣٦١) . ويؤكد أيضاً أقوال المفسرين حول المراد بالتهلكة ، فقد ذكر القرطبي أقوالاً خمسة ، ثلاثة منها صرحت بما ذهب إليه الباحث، والرابع أشار إلى الإنفاق في القتال على المستوى الشخصي، والخامس بعيد ، وهذه الأقوال هي :

أ- "الإلقاء باليد إلى التهلكة هو: ترك الجهاد في سبيل الله .

ب- الإلقاء باليد إلى التهلكة هو: ترك النفقة في سبيل الله ومخافة العيلة أي: الحاجة

ج- الإمساك عن الصدقة هو التهلكة، أي: لا تمسكوا عن النفقة على الضعفاء، فإنهم إذا تخلفوا عنكم؛ غلبكم العدو فتهلكوا.

د- الإلقاء باليد إلى التهلكة ، بالسفر في الجهاد بغير زاد ، فيؤدي ذلك إلى الانقطاع في الطريق ، أو يكون فاعله عالة على الناس .

هـ - إلقاء اليد إلى التهلكة بالاستسلام لليأس ، إذا بالغ في المعاصي فظن أن لا فائدة في التوبة ، فينهمك بعد ذلك في المعاصي ، فالهلاك : اليأس من الله " (٣٦٢) .

وأضاف إليها الشوكاني البخل (٣٦٣) ، في حين فصل الطبري فيها فقال :

"والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه ؛ مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله. وذلك أن الله -جل ثناؤه- جعل أحد سهام الصدقات

(359) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ١٩١ .

(360) حذيفة بن جسل بن جابر العبسي أبو عبد الله ، (واليمان لقب جسل) : صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين ... توفي في المدائن سنة ٣٦هـ ، انظر : الأعلام للزركلي، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(361) صحيح البخاري ، كتاب التفسير، باب رقم ٣١ ، وأنفقوا في سبيل الله ... ، حديث رقم ٤٢١٦ ، ص

(362) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ١ ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(363) انظر : فتح القدير للشوكاني ، ص ١٥٠ .

المفروضات الثمانية " في سبيله، فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٦٠)، فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله ... كان للهلكة مستسلماً، وبيديه للهلكة ملقياً " (٣٦٤) ، في حين بين السعدي (٣٦٥) أن أول ما يدخل في النفقة: الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، وفصل القول في ذلك فقال: " يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله ... وأعظم ذلك- وأول ما دخل في ذلك- الإنفاق في الجهاد في سبيل الله ، فإن النفقة فيه، جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن ، وفيها من المصالح العظيمة : الإعانة على تقوية المسلمين ، وتوهين الشرك وأهله ، وعلى إقامة دين الله وإعرازه . فالجهاد في سبيل الله ؛ لا يقوم إلا على ساق النفقة ، فالنفقة له كالروح ، لا يمكن وجوده بدونها ، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله ، إبطال للجهاد ، وتسليط للأعداء ، وشدة تكاليفهم ، فيكون قوله تعالى: (**وَلَا تُؤْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**) كالتعليل لذلك " (٣٦٦) .

٦- التعقيب الثاني على الإنفاق في سبيل الله بالأمر بالإحسان، " وهو أعلى مقامات الطاعة " (٣٦٧) ، " فلما كانت النفقة في سبيل الله نوعاً من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموماً " (٣٦٨) ، فهو بهذا " يرتقي بهم من مرتبة الجهاد والإنفاق إلى مرتبة الإحسان... ومرتبة الإحسان هي عليا المراتب في الإسلام، وهي كما قال رسول الله ﷺ: (**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**) (٣٦٩) ، وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء، وهذا هو

(364) انظر : جامع البيان للطبري ، المجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(365) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم ، ولد في بلدة عنيزة في القسم وتوفي بها عام ١٣٧٦هـ ، انظر التيسير للسعدي ، ص ١٢ ، ١٥ .

(366) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(367) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(368) التيسير للسعدي ، ص ٨٢ .

(369) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب رقم ١ ، بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... ، حديث رقم ٨

التعقيب الذي ينهي آيات القتال والإنفاق، فيكل النفس في أمر الجهاد إلى الإحسان أعلى مراتب الإيمان " (٣٧٠) .

ثانياً : أمر الله بالإنفاق كذلك في قوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ) (التغابن: ١٦) ، فخطب المؤمنين أن " ابدلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم؛ يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة" (٣٧١) ، والملاحظ أن الآية جاءت بعد الحديث عن فتنة الأموال والأولاد في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (التغابن: ١٥، ١٤) ، مما يضع أمامنا طريقة تجاوز فتنة الأموال والأولاد وتحويلها إلى مصدر للخيرية والفلاح، كما قال سبحانه : (خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ) ، وقال سبحانه : (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ) ، وذلك بإنفاقها دون شح وبخل ، " فمن سلم من البخل ومنع الفضل من المال ، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب " (٣٧٢) . وإذا لاحظت قوله : (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) ، بعد قوله : (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) ؛ تدرك كيف يتوارى الخير العميم والأجر العظيم وراء فتنة الأموال والأولاد ، وذلك " لمن يصابر نفسه على مراجعة ما تسوله من الانحراف عن مرضاة الله ، إن كان في ذلك تسويل ، ولمن يعطي حق المال والرأفة بالأولاد" (٣٧٣) .

وبملاحظة الآية التي جاءت تعقيباً على الإنفاق، وهي قوله سبحانه : (إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن: ١٧) ، تجد أنها تشي بالإغراء والتحبیب في الإنفاق، بأسلوب يمس شغاف القلوب، ويدفع نحو التفاني ووقاية النفس من الشح، " فيسمى إنفاقهم قرضاً لله، ومن ذا الذي لا

(370) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(371) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٨ ، ص ٣٥٤٣ .

(372) فتح القدير للشوكاني ، ص ١٧٨٨ .

(373) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ١٣ ، ج ٢٨ ، ص ٢٨٧ .

يربح هذه الفرصة التي يقرض فيها مولاها، وهو يأخذ القرض فيضاعفه ويغفر به، ويشكر المقرض ويحلم عليه حين يقصر في شكره ... وتبارك الله ما أكرمه وما أعظمه ! وهو ينشئ العبد ثم يرزقه، ثم يسأله فضل ما أعطاه قرصاً يضاعفه، ثم يشكر لعبده الذي أنشأه

وأعطاه، ويعامله بالحلم في تقصيره - هو- عن شكر مولاها " (٣٧٤) .

ثالثاً : ومن الآيات التي جاء فيها الأمر المباشر بالإففاق قوله تعالى في سورة الحديد: (**أَمْؤُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ أَمْؤُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**) (الحديد:٧) ، وتلاحظ في الآية :

١- تعبير (**مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ**) يدل على :

أ- " أن أصل الملك لله سبحانه ، و إن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة " (٣٧٥) .

ب- " أن هذه الأموال ليست أموال مالكيها في الحقيقة، وإنما هم مستخلفون فيها بوراتها عن كان قبلهم، وما هم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فليغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنهم إلى من بعدهم " (٣٧٦) .

ج- " الإشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ؛ فاعل وارثك أن يطيع الله فيه، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصي الله فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان " (٣٧٧) .

د- " التحريض على الإففاق في سبيل الله، وأن المال عرض زائل لا يبقى منه لصاحبه إلا ثواب ما أنفق منه في مرضاة الله " (٣٧٨) .

هـ - منهج القرآن الإلهي في علاج القلوب، " فهم يدعون إلى الإففاق؛ ومع الدعوة لمسة موحية، فهم لا ينفقون من عند أنفسهم، إنما ينفقون مما استخلفهم الله فيه من ملكه، وهو الذي له ملك السماوات والأرض، فهو الذي استخلف بني آدم جملة في شيء من ملكه، وهو الذي يحيي ويميت، فهو الذي استخلف جيلاً منهم بعد جيل، وهي لفظة دقيقة في استثارة الخجل والحياء من الله - وهو المالك الذي استخلفهم وأعطاهم، فماذا هم قائلون حين يدعوهم إلى إففاق شيء مما استخلفهم فيه ومما أعطاهم؟! - وفي نهضة (٣٧٩) النفوس عن الشح والله هو المعطي ولا نفاذ

(374) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٩١ .

(375) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٩ ، ج ١٧ ، ص ١٩٨ .

(376) انظر : المرجع السابق ، المجلد ٩ ، ج ١٧ ، ص ١٩٨ .

(377) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٨ ، ص ٣٤٩٢ .

(378) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور للطاهر ابن عاشور ، المجلد ١٣ ، ج ٢٧ ، ص ٣٥٥ .

(379) نهضة عن الأمر ، أي كَفَّهَ وزجره فكف وانزجر ، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة نهضة

لما عنده، فماذا يمسكهم عن البذل والعطاء وما في أيديهم رهن بعطاء الله؟! " (٣٨٠)

٢- الارتباط الواضح المطرد بين الإيمان والإنفاق في مطلع الآية: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا)، وفي نهايتها: (فَأَلْذِنَ آمِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفِقُوا)، وكذلك تلحظ هذا الارتباط في سائر آيات السورة التي تحدثت عن الإنفاق ، (وَمَا لَكُمْ لِمَا تُمُونُ بِاللَّهِ) (الحديد:٨)، (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الحديد: ١٠)، وهي مسألة سيتم معالجتها في مبحث خاص^(٣٨١).

(380) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٤٨٢ .

(381) انظر : مبحث ارتباط الإنفاق بالإيمان ، ص ١٨٢-١٨٨ .

المبحث الثاني التحذير من عدم الإنفاق

كما اعتمد القرآن أسلوب الأمر المباشر في الحث على الإنفاق ، عمد أيضاً إلى أسلوب الأمر المرتبط بالتحذير من مغبة عدم الإنفاق ، وترى في مواضع كثيرة مجيء التحذير من عدم الإنفاق تعقيباً على الأمر به ، ففي قوله تعالى : (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥) أمر بالإنفاق، ثم عقب بالتحذير من عدم الإنفاق، واعتبره - أي عدم الإنفاق - تهلكة (٣٨٢).

ومن الآيات التي جاء فيها التحذير من عدم الإنفاق ، قوله تعالى : (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَكَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: ٣٨) ، وبالإمكان اعتبار هذه الآية نموذجاً للحث على الإنفاق عن طريق التحذير من مغبة عدم الإنفاق ، ويتضح من خلالها منهج القرآن في معالجة الشح والبخل الفطريين المؤديين إلى التردد في الإنفاق ، وتتمثل هذه المنهجية على ضوء الآية في :

١- التأكيد على الغنى الإلهي ، فإله هو الغني " عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائماً ... فوصفه بالغنى وصف لازم له ، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه " (٣٨٣) ، " وما يناله شيء مما يبذلون، وما هو في حاجة إلى ما ينفقون، والله الغني وأنتم الفقراء، فهو الذي أعطاكم أموالكم، وهو الذي يدخر لكم عنده ما تنفقونه منها ، وهو الغني عما أعطاكم في الدنيا، الغني عن أرصدتكم المذخورة في الآخرة " (٣٨٤).

٢- إبراز الضعف والفقر البشري ، الذي إذا تعمق لدى الإنسان تولد لديه الشعور بحاجته إلى إله قوي غني يلوذ ببابه ، مما يجعله حريصاً كل الحرص على مرضاة الله، وبالتالي تنفيذ مطالبه ومنها الإنفاق ، وهذا التقرير للضعف البشري تشهدده في قوله سبحانه: (وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ) ، " وهذا الفقر البشري ملازم للإنسان في الدارين، فنحن الفقراء إلى رزقه في الدنيا؛ فما لنا من قدرة على شيء من الرزق إلا أن يهبنا إياه ، ونحن الفقراء إلى أجره في الآخرة؛ فهو الذي يتفضل به علينا ، وما نحن بموفين شيئاً مما علينا، فضلاً على أن يفضل لنا شيء في الآخرة إلا أن يتفضل علينا سبحانه ، ففيم البخل إذن وفيم الشح؟! وكل ما في أيدينا؛ وكل ما ينالنا من أجر على ما ننفق هو من عند الله ومن فضل الله " (٣٨٥).

(382) انظر : المبحث السابق ، ص ١٤٠ .

(383) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٧ ، ص ٣٢٢٦ .

(384) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٣٠٣ .

(385) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٣٠٣ .

٣ - بيان أن الضرر والخسران عائد فقط على البخيل الممتنع عن الإنفاق ، فالآية تؤكد على أن البخل يعود بالضرر على صاحبه، وهو الخاسر من حيث ظن أنه رابح بالاحتفاظ بأمواله ، وهي إذ تقرر هذه الحقيقة فإنها تشير ضمناً إلى أن البذل والإنفاق يعود بالنفع على صاحبه، " وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال - مواساة لإخوانكم الفقراء- ليعود نفع ذلك عليكم، ويرجع ثوابه إليكم ، ومن يبخل ويمتنع عن الإنفاق، إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبال ذلك عليه " (٣٨٦)، " فما يبذله الناس إن هو إلا رصيد لهم مذخور؛ يجدونه يوم يحتاجون إلى رصيد، يوم يحشرون مجردين من كل ما يملكون، فلا يجدون إلا ذلك الرصيد المذخور، فإذا بخلوا بالبذل، فإنما يبخلون على أنفسهم، وإنما يقللون من رصيدهم، وإنما يستخسرون المال في ذواتهم وأشخاصهم ، وإنما يحرمونها بأيديهم ، أجل ؛ فالله لا يطلب إليهم البذل إلا وهو يريد لهم الخير، ويريد لهم الوفرة، ويريد لهم الكنز والذخر " (٣٨٧) . والسياق الذي جاءت فيه الآية - حيث تتحدث الآيات عن الجهاد - يعطينا بعداً آخر للضرر المترتب عن البخل ، إذ إن امتناع الإنسان عن الإنفاق في أبواب الجهاد؛ يمكن عدوه من التسلط عليه، فيعود بخله وبالأعلى عليه (٣٨٨) .

٤ - التهوين من شأن هذه الحياة الدنيا ، إذ لعله من أسباب التردد في الإنفاق، عظم شأن الدنيا في نظر هذا المتردد، فعندما يعتمد القرآن -في منهجه للحث على الإنفاق- تهوين شأن الحياة الدنيا فإنه يقضي بذلك على واحدة من أهم مثبطات النفس البشرية ، وبالنظر فيما سبق الآية التي بين أيدينا من آيات نلمس هذه المنهجية واضحة ، وذلك في قوله تعالى: (**إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ**) (محمد:٣٦) ، فلقد بينت الآية أن " الحياة الدنيا لعب ولهو حين لا يكون وراءها غاية أكرم وأبقى، حين تعاش لذاتها مقطوعة عن منهج الله فيها، ذلك المنهج الذي يجعلها مزرعة الآخرة ... وهذا هو الذي تشير إليه الفقرة التالية في الآية: (**وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ**) ، فالإيمان والتقوى في الحياة الدنيا؛ هو الذي يخرجها عن أن تكون لعباً ولهواً ، ويطبعها بطابع الجد ، ويرفعها عن مستوى المتاع الحيواني " (٣٨٩) ، فعندما يدرك الإنسان ضلالة هذه الحياة الدنيا، يندفع نحو إعمار الآخرة بالإنفاق ؛ دون تردد أو حرص على الدنيا يعوقه .

٥ - الإعلام بوجود حالات البخل ضمن دائرة البذل : من المؤكد أن وجود القدوات أمام الإنسان يحثه ويشجعه على إتباع المسلك السوي ، ولهذا نجد الآية وهي تقرر وجود حالات البخل ، تقرر أيضاً وجود حالات البذل والإنفاق " فترسم صورة

(386) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٧ ، ص ٣٢٢٦ .

(387) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٣٠٣ .

(388) انظر : تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ١٢ ، ج٢٦ ، ص ١٣٧ .

(389) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٣٠٢ .

وصفية لواقع الجماعة المسلمة يومذاك ، ولو اقع الناس تجاه الدعوة إلى البذل في كل بيئة ، فهي تقرر أن منهم من يبخل ، ومعنى هذا أن هنالك من لا يبخلون بشيء ، وقد كان هذا واقعاً سجلته الروايات الكثيرة الصادقة ، وسجله القرآن في مواضع أخرى ، وقد حقق الإسلام في هذا المجال مثلاً تحسب من خوارق الأمثال في البذل والتضحية ، عن رضا وعن فرح بالبذل والعطاء " (٣٩٠) ، وهذا يضع أمامنا معالم المنهج السليم ؛ في إصلاح النفوس وحثها على فعل الخير؛ بذكر الحالات الإيجابية ، وعدم التوقف فقط عند السلبيات .

٦- الإنذار بسنة الاستبدال : إن الأشدّ تأثيراً على النفس المؤمنة حرمانها من ظلال الإيمان والعيش في كنفه والانتساب إلى أهله ، والقيام بتكاليف الدعوة إليه ، ولهذا يعتبر الإنذار بسنة الاستبدال في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد:٣٨) ، من أشدّ الأساليب تأثيراً على النفس المؤمنة ، ودافعاً لها نحو البعد عن مسبباته ، " وإنها لندارة رهيبة لمن ذاق حلاوة الإيمان، وأحس بكرامته على الله، وبمقامه في هذا الكون، وهو يحمل هذا السر الإلهي العظيم، ويمشي في الأرض بسلطان الله في قلبه، ونور الله في كيانه، ويذهب ويجيء وعليه شارة مولاه، وما يطيق الحياة وما يطعمها؛ إنسان عرف حقيقة الإيمان وعاش بها ثم تسلب منه، ويترد من الكنف وتوحد دونه الأبواب؛ لا بل إن الحياة لتغدو جحيماً لا يطاق عند من يتصل بربه ثم يطبق دونه الحجاب، إن الإيمان هبة ضخمة لا يعدلها في هذا الوجود شيء، والحياة رخيصة رخيصة، والمال زهيد زهيد ، حين يوضع الإيمان في كفة ، ويوضع في الكفة الأخرى كل ما عداه ، ومن ثم كان هذا الإنذار أهول ما يواجهه المؤمن ، وهو يتلقاه من الله " (٣٩١)

والمأمل في سنة الاستبدال من خلال الآيات القرآنية يجد (٣٩٢) :

(390) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٣٠٣ .

(391) المرجع السابق ، ج٦ ، ص ٣٣٠٣ ، ٣٣٠٤ .

(392) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني

الشنقيطي ، ط٣ ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩ ، ج١ ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

- أ- أنها سنة إلهية تحدث وفق مشيئة الله ، فقد قال سبحانه: (**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ**) (النساء: ١٣٣) .
- ب- أقام الله الدليل على حدوثها، فأخبر أنه أذهب من كان قبلهم وجاء بهم بدلاً منهم وذلك في قوله تعالى : (**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ**) (الأنعام: ١٣٣) .
- ج- بين سبحانه أنهم إن تولوا أبدل غيرهم ، وأن أولئك المبدلين لا يكونون مثل المبدل منهم ؛ بل يكونون خيراً منهم ، وذلك في قوله تعالى : (**وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ**) (محمد: ٣٨) .
- د- أخبر سبحانه أن أمر الاستبدال هين عليه غير صعب ولا ممتع ، وذلك في قوله تعالى : (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**) (إبراهيم: ٢٠، ١٩) .
- هـ- ورد ذكر سنة الاستبدال في القرآن في موضعين ، أحدهما: الآية التي بين أيدينا ؛ والتي تعالج موضوع الإنفاق . والآخر : قوله سبحانه في سورة التوبة : (**إِلَّا تَتُوبُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (التوبة: ٣٩) ، والآية هنا تعالج موضوع النفير إلى القتال والجهاد في سبيل الله ، ولعل اقتصار الإنذار بسنة الاستبدال على هاتين المسألتين يشي بأهميتهما أولاً ، وارتباطهما ببعضهما ثانياً، مما يؤكد ما ذهب إليه الباحث في المبحث السابق من بيان لدور الإنفاق في الجهاد واستمراريته .

المبحث الثالث

الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق

إضافة إلى الأمر المباشر بالإنفاق ، وإضافة إلى التحذير من عدم الإنفاق ، عمد القرآن إلى الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق ، وذلك ضمن منهجه في الحث على الإنفاق من خلال الأمر به ، و تأتي هذه الدعوة لأن الأحوال تتغير ، إما تغير دائم بانتهاء الأجل وانقطاع العمل، وإما تغير مؤقت بذهاب الإمكانيات التي كانت متوفرة ، وفوات الفرص التي كانت سانحة متاحة ، وانقضاء الوقت الذي كان ملائماً ، وانفراج الموقف الذي كان ملحاً ، ومثال هذه الدعوة في كتاب الله ، قوله في سورة البقرة: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٍ وَلَا شَفَاعَةٍ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ**) (البقرة: ٢٥٤) ، وقوله تعالى في سورة المنافقون: (**وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا**

أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (المنافقون: ١٠) ، ومثاله في السنة ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان) (٣٩٣) ، " فيأمر سبحانه عباده بالإنفاق مما رزقهم إنفاقاً في سبيله، ويدعوهم للمبادرة إلى ذلك في الحياة الدنيا ، وحذرهم من الإمساك إلى أن يجيء يوم القيامة، فلا يمكن فيه بيع ولا شراء، ولا استدراك نفقة، حيث لا صداقة ولا شفاعة إلا بإذنه سبحانه" (٣٩٤) ، وهذا الوصف لواقع يوم القيامة ، يمنح الآيات بعداً آخر؛ بأنها دعوة للادخار لهذا اليوم العصيب ، حيث " تنقطع الأسباب كلها، إلا الأسباب المتعلقة بطاعة الله والإيمان به ، لأن هذه النفقات مدخرة عند الله " (٣٩٥) فقد أخبر سبحانه : (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا) (المزمل: ٢٠). ومن الجدير بالذكر أن الآيات رسمت - إلى جانب الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق - منهجية متكاملة في الحث على الإنفاق ، وهذه بعض خطوطها (٣٩٦) :

- أ- الدعوة إلى الإنفاق بصفات تحرك النفس وتحيي الضمائر ، فكانت الدعوة بالصفة الحبيبة إلى نفوس المؤمنين، والتي تربطهم بمن يدعوهم؛ والذي هم به مؤمنون فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا).
- ب- التذكير بفضل الله السابق ، وبأن الرزق المطالبين بالإنفاق منه ، قد تفضل الله به وأنعم ، فصرحت الآية بالدعوة إلى الإنفاق من رزقه؛ الذي أعطاهم إياه، فهو الذي أعطى، وهو الذي يدعو إلى الإنفاق مما أعطى بقوله: (أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ).
- ج- التأكيد على أن التخلي عن الإنفاق يؤدي إلى انتشار الظلم في الأرض ، والذي لن يسلم منه أحد بما في ذلك الممتنع عن الإنفاق ، وذلك عندما يزداد سلطان الكافرين - مصدر الظلم على الأرض - بسبب تقاعس الصالحين عن الإنفاق وتأجيلهم له ، وفي هذا بيان واضح لعاقبة البخل والشح ، بيان يدفع كل صاحب تفكير سوي إلى عدم التردد أو التسويف في الإنفاق ، وهذا المعنى يحمله التعقيب الإلهي في نهاية الآية: (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، ويشير إليه ورودها بعد آية تتحدث عن المدافعة : (وَكَوَلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٥١) ، وآية تتحدث عن الاختلاف

(393) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب رقم ١١ ، أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح ، حديث رقم ١٤١٩ ، ص ٢٧٦ .

(394) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦١٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

(395) انظر : التيسير للسعدي ، ص ١٠١ .

(396) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

والاقتتال: (وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اٰقْتَتَلُوْا) (البقرة: ٢٥٣).

ومن الملاحظ أن آية سورة المنافقون بينت :

أولاً : أن الندم وطلب تأخير الأجل والإلحاح فيه ؛ حادث واقع من المقصر لامحالة، فعبرت بـ لولا، " ولولا حرف تحضيض، والتحضيض: الطلب الحثيث المضطر إليه ... وحق الفعل بعدها أن يكون مضارعاً، وإنما جاء ماضياً هنا لتأكيد إيقاعه في دعاء الداعي حتى كأنه قد تحقق " (٣٩٧).

ثانياً: وفي المقابل؛ فإن الاستجابة لهذا الإلحاح ، وتأخير الأجل المقرر من المحال، والآية تصرح بذلك، فبرغم أن الطلب و الرجاء هو في تأخير محدود - عبارة عن أجل قريب - من باب التمهيد، " لتحصيل الاستجابة بناء على متعارف الناس؛ أن الأمر اليسير أرجى لأن يستجيبه المسؤول، فيغلب ذلك على شعورهم حين يسألون الله، تتساق بذلك نفوسهم إلى ما عرفوا " (٣٩٨) ، ولكن برغم ذلك فهو مرفوض بأمر حازم قاطع بقوله تعالى: (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللّٰهُ نَفْسًا اِذَا جَاءَ اٰجَلُهَا وَاللّٰهُ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ) (المنافقون: ١١) ، "وهذا إرشاد من الله للمؤمنين ليكونوا على استعداد للموت في كل وقت، فلا يؤخروا ما يهمهم عمله ... فما من أحد يؤخر العمل الذي يسره أن يعمله وينال ثوابه؛ إلا وهو معرض لأن يأتيه الموت عن قريب أو يفاجئه، فعليه بالتحرز الشديد من هذا التفريط في كل وقت وحال، فربما تعذر عليه التدارك بفجأة الفوات، أو وهن المقدره، فإنه إن كان لم تطاوعه نفسه على العمل الصالح قبل الفوات، فكيف يتمنى تأخير الأجل المحتوم؟" (٣٩٩).

(397) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ١٣ ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٣ .

(398) المرجع السابق ، المجلد ١٣ ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٣ .

(399) المرجع السابق ، المجلد ١٣ ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٦ .

المبحث الرابع عدم وجود المانع من الإنفاق

الخيارات واسعة أمام من يرغب في الإنفاق ، والمجالات مفتوحة ومتعددة ، ولا حجة لمن يدعي أن هناك معوقات تحول بينه وبين الإنفاق ، فليس للإنفاق طقوس خاصة يجب أن يؤدي بها، وإن كان له ضوابط شرعية يجب أخذها بعين الاعتبار ، وليست له أزمان محددة لايجوز في غيرها، وإن كانت له أوقات أرجى من أخرى ، ولا يقتصر على صنف معين ينفق منه بل يتسع ليشمل أشياء عدة، منها المادي ومنها المعنوي ، ولا ينفق في جهة محددة لايصح في غيرها ، وإن كانت جهة أولى من أخرى ، والآيات القرآنية بينت المرونة في الإنفاق بما يجعل المجال متسعاً أمام الراغبين فيه .

أولاً : يقول سبحانه: (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ عَنِيَّ حَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٣) ، وتلمس في هذه الآية المعاني الآتية :

١- الصدقة التي يتبعها الأذى أدنى المراتب، بل إن الأذى المصاحب لها يبطلها، كما حذر سبحانه في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة: ٢٦٤) ، وخيرٌ منها القول المعروف ، وهذا يعني أن الصدقة المصحوبة بطيب الكلام خيرٌ منهما ، فهذه مراتب ثلاث، أضاف السعدي إليها - في تفسيره - مرتبة أخرى جعلها الثالثة من حيث الخيرية، فقال في تفسير هذه الآية: " ذكر الله أربع مراتب للإحسان: المرتبة العليا: النفقة الصادرة عن نية صالحة ، ولم يتبعها المنفق مئاً ولا أذى ، ثم يليها، قول المعروف وهو: الإحسان القولي بجميع وجوهه، الذي فيه سرور المسلم، والاعتذار من السائل إذا لم يوافق عنده شيئاً، وغير ذلك من أقوال المعروف . والثالثة: الإحسان بالعفو والمغفرة، عمن أساء إليك، بقول أو فعل ، وهذان أفضل من الرابعة ... التي يتبعها المتصدق الأذى للمعطي، لأنه كدر إحسانه وفعل خيراً وشرأ ، فالخير المحض - وإن كان مفضولاً - خير من الخير الذي يخالطه شر، وإن كان فاضلاً " (٤٠٠).

٢- الهدف من الصدقة تهذيب النفوس، فهي " تهذيب لنفس المعطي بما تحرك في نفسه من معاني خيرة مطردة نحو: الارتباط الأخوي والإنساني بالفقير ، والتذكير بنعمة الله ، والعهد مع الله في هذه النعمة بالإنفاق منها ، وهي كذلك تهذيب لنفس الآخذ، وتوثيقاً لصلته بأخيه في الله وفي الإنسانية، في حين أن المن يقضي على هذه المعاني السامية جميعاً، ويحيل الصدقة أذى للواهب وللآخذ معاً ، أذىً للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبة في رؤية أخيه ذليلاً له كسيراً لديه، وبما يملأ قلبه بالنفاق والرياء والبعد من الله ، وأذىً للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهازم، ومن رد فعل بالحقد والانتقام " (٤٠١) .

(400) التيسير للسعدي ، ص ١٠٥ .

(401) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

٣- " الصدقة ليست تفضلاً من المانح على الآخذ، إنما هي قرض لله؛ ولهذا عقب سبحانه في نهاية الآية بقوله: (وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) ، غني عن الصدقة المؤذية ، بل إن قرضاً بهذه المواصفات مردود ، وجاءت الآية التالية مباشرة تقرر ذلك وتعتبر المن والأذى مبطلاً للصدقة فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (البقرة: ٢٦٤).

٤- الدعوة إلى التعلم من حلمه سبحانه، فلا يعجلوا بالأذى والغضب على من يعطونهم جزءاً مما أعطاهم الله لهم؛ حين لا يروقه منهم أمر أولاً ينالهم منهم شكر ، فهو سبحانه حلیم يعطي عباده الرزق فلا يشكرون؛ فلا يعجلهم بالعقاب ولا يبادرهم بالإيذاء ، وهو معطيهم كل شيء، ومعطيهم وجودهم ذاته قبل أن يعطيهم أي شيء، فليتعلم عباده من حلمه سبحانه وليتأدبوا بهذا الأدب " (٤٠٢).

وبعد هذه اللمسات يؤكد الباحث على اتساع المجال أمام الراغب في الإنفاق، فمن لم يستطع أن يقدم شيئاً مادياً فأمامه الكلمة الطيبة، " فيلتقي السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب، ليكون مشكوراً إن أعطى ومعذوراً إن منع" (٤٠٣) ، فقد روى مسلم في صحيحه عن سعيد بن أبي بردة (٤٠٤) عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: (على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت إن لم يجد؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق ، قال : قيل : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف أو الخير ، قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة) (٤٠٥) ، فما المانع من الإنفاق إذن ؟ .

ثانياً : قال تعالى: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ٣٧-٤٠) .

(402) انظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

(403) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(404) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها ، كان راوية فصيحاً أديباً

ولاه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ ، فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ فعزله وحبسه

فمات سجيناً سنة ١٢٦ هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(405) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب رقم ٥٥ ، بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ،

حديث رقم ١٠٠٨ ، ص ٣٩٠ .

إذا كان الحديث في آية سورة البقرة دار حول تعدد مجالات الإنفاق ، فإننا نجد في هذه الآية حديثاً عن أصناف سلبية التعاطي مع الإنفاق ، قرنهم سبحانه بالشیطان ، فتجد البخيل الذي لا ينفق ، " فلا تظهر نعمة الله عليه ولا تبين ؛ لا في مأكله ولا في ملبسه ولا في إعطائه وبذله " (٤٠٦) ، وتجد من هو أسوء منه؛ البخيل الذي يأمر الناس بالبخل ، فهم "ضموا إلى ما وقعوا فيه من البخل - الذي هو أشر خصال الشر- ما هو أقبح منه وأدل على سقوط نفس فاعله، وبلوغه في الرذالة إلى غايتها، وهو أنهم مع بخلهم بأموالهم وكنتمهم لما أنعم الله به عليهم من فضله يأمرون الناس بالبخل؛ كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بماله حرجاً ومضاضة(٤٠٧) ... هذه أموالكم قد بخلتم بها لكونكم تظنون انتقاصها بإخراج بعضها في مواضعه، فما بالكم بخلتم بأموال غيركم؟! مع أنه لا يلحقكم في ذلك ضرر ، وهل هذا إلا غاية اللؤم ونهاية الحمق ... وقبح الطباع وسوء الاختيار " (٤٠٨) . فتأمل مدى الظلم للنفس وللآخرين، فلم يكتف بحرمان نفسه من الخير بل يسعى ليحرم الآخرين منه، وكأنه لا يريد أن يتفرد بفعله السيئ حتى لا يستوحش (٤٠٩) . وصنف ثالث هو أسوء من سابقه بل أحمق منهما ، فلعل الأولين احتفظا بمالهما للفناء الدنيوي ، أما هو فأنفقه رياء الناس، فخرس الدنيا والآخرة ، منتهى الجهل وغاية الحمق ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه (.... ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار ...) (٤١٠) ، وكذلك العالم والغازي فكلاهما منفق ؛ إما علماً أو نفساً، فهما مع صاحبهما.

(406) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٩٢٢ .

(407) المَضُّ : الحَرْقَةُ ، مَضَّنِي الهمُّ والحَزْنُ ، انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة مَضُّ ج ٧ ص ٢٦٢ .

(408) فتح القدير للشوكاني ، ص ٣٨٠ .

(409) الوَحْشَةُ : الفَرْقُ من الخَلْوَةِ يقال : أَخَذْتَهُ وَحْشَةً ، وَأَرْضٌ مَوْحُوشَةٌ كثيرة الوحشِ ، واستَوْحَشَ منه لم يَأْسُ به فكان كالوَحْشِيٍّ ، انظر لسان العرب لابن منظور ، مادة وحش ج ٦ ص ٤٤٢ .

(410) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب رقم ٤٣ ، من قاتل للرياء والسمة استحق النار ، حديث

ومن ثم لاحظ التعبير القرآني: (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) ، فهو عمل دؤوب وجهد متواصل ، وليس مجرد دعوة باردة بل هو الحرص متمثلاً في الأمر بالبخل ، وتأمل في المقابل تخلي الصالحين عن واجبهم في الأمر بالإنفاق والحث عليه ، والحرص على تقديم القدوات المشرفة فيه .
ومن جانب آخر قررت الآيات حقائق مطردة ، يمكن تسجيلها عبر النقاط الآتية :

أ- الرزق المأمور بالإنفاق منه هو رزق الله ، وهذا بين من قوله: (.. وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ..) ، وقوله: (وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) ، سواءً المال أو العلم ، " والظاهر أن السياق في البخل بالمال ، وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك " (٤١١)

ب- الله سبحانه عليم بأحوال الخلق جميعاً ، عليم بما أنفقوا ، عليم بحقيقة نياتهم ، عليم بمن ينفق رياء الناس ، ومن ينفق ابتغاء وجه الله ، ولهذا عقب سبحانه بقوله: (وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا) .

ج- العدل الإلهي المطلق الذي لا يظلم مثقال ذرة ، ولا تضيع لديه الحقوق ، ألم يقل سبحانه مقررًا ذلك: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) .

د- مضاعفة الحسنات بدليل قوله: (وَأِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمُضِعْهَا) .
هـ- الأجور العظيمة من الله زيادة على الحسنات المضاعفة ، (وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا) .

وبعد هذا العرض يتضح لنا أمران :

الأول : حمق وجهالة كل من البخيل الممسك الأمر بالبخل ، والمرائي ببذله .
الثاني : " الله عليم بحقيقة إيمان المنفق وحسن نيته فلا خوف عليه من ظلم يضيع أجره ، بل ينتظره مضاعفة لحسناته وأجرٌ عظيم " (٤١٢) .

وباتضح هذين الأمرين ، ندرك ما يرمي إليه الباحث من هذا الاستطراد ، إذ يتقرر لنا انتفاء موانع الإنفاق ، وأنه لا سبب للإحجام عنه ، فلا يشرف عاقلاً الانتساب إلى زمرة الشيطان بإحجامه ، كما أنه لا خوفٌ عليه من فوات حقه حال إقدامه ، وهذا بصريح الآية: (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) ، " أجل وما الذي عليهم ، وأي تبعة تحقيق بهم بسبب الإيمان والإنفاق في سبيل الله ، وفي هذا توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة ، والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه ، وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة ، والعوائد الجميلة ، وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا

(411) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٩٢٣ .

(412) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٢ ، ص ٩٢٢ .

ضرر فيه، ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً ، فكيف إذا تضمن المنافع؟! " (٤١٣) ، أجل ما الذي يعوقهم ؟ وما الذي يحول بينهم وبين الإنفاق ؟ والحال كما وصف .

ثالثاً : يقول سبحانه: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (التوبة: ٧٩) ، وهذه الآية نزلت بصدد حادثة معينة تصف موقف المنافقين من المطوعين بالصدقات- كثيرة كانت أو قليلة- كما روى البخاري في صحيحه عن أبي مسعود رضي الله عنه (٤١٤) قال: (لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأئي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) (٤١٥) ، ومع ذلك فهي تبين من جانب آخر عدم وجود ما يحول بين المرء والإنفاق ، بل إنها تعالج أي عائق قد يبرزه الضعف البشري أمام المنفق ، وذلك من خلال :

- ١- بذل الإمكانيات المتوفرة ، فكلمة جُهدهم - بضم الجيم - تعني طاقتهم ، أي ما يقع في وسعهم ، فهذا الصنف الثاني من المطوعين المذكور في الآية ، " لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم " (٤١٦) ، وإمكاناتهم القليلة المتوفرة لديهم ، فبذلوا طيبة بها نفوسهم .
- ٢- العمل على إيجاد بدائل ، فإذا لم يتوفر المال العيني ، أو ما يقوم مقامه من متاع يحقق الغرض من الإنفاق ، لا بد لنعذر أمام الله من استخدام البدائل المتاحة، ومنها القوة البدنية ، فكلمة جَهدهم - بفتح الجيم - تعني المشقة ، والحديث السابق يوضح كيف أن الصحابة لجأوا إلى العمل لتوفير ما يصلح للصدقة، فكان الواحد منهم يقضي ليلته يحامل على ظهره لاستخراج الماء مقابل صاع أو صاعين ، يبقى النصف لأهله ويتصدق بالباقي .

(413) انظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(414) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البديري ، أبو مسعود من الخزرج : صحابي شهد العقبة وأحد وما بعدها ، ونزل الكوفة وكان من أصحاب علي فاستخلفه عليها لما سار إلى صفين وتوفي فيها سنة ٤٠هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٤ ، ص ٢٤٠-٢٤١ .

(415) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب رقم ١٠ ، اتقوا النار ولو بشق تمره والقليل من الصدقة ، حديث رقم ١٣٤٩ ، ص ٢٧٦ .

(416) جامع البيان للطبري ، المجلد ٦ ، ج ١٠ ، ص ٢٢٥ .

٣- ضرورة توفر الحرص على الإنفاق ، فهذا الصنف من المطوعين ؛ رغم أنهم لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم ، فإن شدة الرغبة في الإنفاق ، وتوفر الحرص عليه ، دفعهم إلى بذل هذا الجهد المتوفر .

٤- عدم التخرج من قلة الصدقة ، أو التخوف من سخرية الساخرين ، ولعل النقاط الآتية تبين كيف عالجت الآية هذا التخوف وذلك التخرج :

أ- بيان علو مكانة المطوعين بالقليل ، فعند الحديث عنهم ، عطفت الآية " (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) عَلَى (الْمُطَوِّعِينَ) وهم منهم، اهتماماً بشأنهم " (٤١٧) .

ب- بيان تكفل الله بالدفاع عن هؤلاء المطوعين ، فلقد توعدت الآية من يسخر من المنفقين لقلة نفقتهم ، بعذاب أليم ، مقروناً بسخرية الله منهم، وذلك مقابل صنيعهم وسخريتهم فقال سبحانه : (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

ج- بيان خطأ وخطيئة من يعيب على المنفقين ويثبطهم ، والتشديد على عقوبته ، وهذا يتضمن " أن من أطاع الله ، وتطوع بخصلة من خصال الخير ، فإن الذي ينبغي ، هو إعانتة ، وتنشيطه على عمله " (٤١٨) ، وعليه فإن المتصدق سيجد عوناً له على صدقته ، لا مثبطين أو على الأقل إن وجد المثبطين ، فبأمر الله سيجد المنشطين ، هذا إن لم يجدهم ابتداءً .

رابعاً : يقول سبحانه: (لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّأُوا لِيَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة: ٩٢، ٩١) ، والآيات تتعرض لأصناف المعذورين ، ويقدمها الباحث هنا في محاولة لإزالة ما قد يطرأ من لبس لدى البعض، فيتصور أنه في حل من الإنفاق ، لعذر أو هم نفسه به ، وهي - أي الآيات- وإن كانت تتحدث عن المعذورين في التخلف عن الجهاد ، إلا أن الاستدلال بها هنا على ضربين ، أولهما: أن المباحث السابقة بينت أن الجهاد والإنفاق صنوان متلازمان ، والثاني: أن في الآيات نص صريح على حالة من حالات عدم القدرة على الإنفاق وكيفية التعامل إزاءها ، وبالنظر في السياق الذي وردت فيه الآيات، نجد أنه يتحدث عن المعتذرين عن الجهاد وهم " على قسمين: قسم معذور في الشرع ، وقسم غير معذور " (٤١٩) ، وفي الآيات هنا بين سبحانه " الأعدار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه ، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجهاد في الجهاد ، ومنه العمى والعرج ونحوهما، ولهذا بدأ به، ومنها ما هو عارض " (٤٢٠) ، والأخير على نوعين: عذر راجع إلى البدن " بسبب مرض عن له في بدنه، شغله عن الخروج في سبيل الله " (٤٢١) ، وعذر

(417) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ٦ ، ج ١٠ ، ص ٢٧٥ .

(418) التيسير للسعدي ، ص ٣٢٥ .

(419) التيسير للسعدي ، ص ٣٢٦ .

(420) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٤ ، ص ١٦٩٦ .

(421) المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٩٦ .

راجع إلى المال "؛ فليست لهم أموال ينفقونها فيما يحتاجون إليه من التجهز للجهاد " (٤٢٢) ، وبهذا " حصرت الآيات المعذورين في التخلف عن الجهاد، في الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج ، والذين سألوا المعونة فلم يجدوها" (٤٢٣). والملاحظ أن هذه الأعذار مقيدة بقوله: (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) ، ويسجل الباحث هنا أن بدائل الإنفاق متعددة؛ من عجز عن شكل منها بإمكانه - بل يجب عليه - البحث عن شكل آخر ، ولهذا فلا يصح التمسك بأول عذر يلوح في الأفق دون بذل الجهد في تقصي سائر البدائل ، علماً بأن منها ما هو في متناول الجميع، إذا توفر الحرص وتواجدت الرغبة ، فتأمل :

١. نفت الآيات الحرج عن أصحاب الأعذار سابقة الذكر، إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل قدمت الآيات بدائل واعتبرتها شرطاً لرفع الحرج عنهم ، وعلي رأس هذه البدائل النصيحة لله ولرسوله ، فأى عذر مما سبق يمنع صاحبه من تقديمها؟! علماً بأنها -أي النصيحة- تعني الكثير، " فالنصح لله: الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما يخالفها كائناً ما كان، ويدخل تحته دخولاً أولياً نصح عباده، ومحبة المجاهدين في سبيله، وبذل النصيحة لهم في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم بوجه من الوجوه. ونصيحة الرسول ﷺ: التصديق بنبوته، وبما جاء به، وطاعته في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، ومحبته وتعظيم سنته، وإحيائها بعد موته بما تبلغ إليه القدرة " (٤٢٤) ، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة) قلنا : لمن؟ قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٤٢٥) ، وفي البند التالي مزيد إيضاح .

٢. التعقيب بقوله تعالى: (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ) ، وفيه أن الله أطلق على أصحاب الأعذار - ممن أخذوا بشروطها- لفظ المحسنين، فاعتبرهم منهم تشريفاً لهم لحرصهم وحسن نيتهم، والتي باتت واضحة لنا نحن البشر من سلوكهم كما سنرى . ومن وجه آخر أن أصحاب الأعذار يرتفع عنهم الحرج إذا ثبت منهم الإحسان، فلا يكفي مجرد تلبسهم بالعذر ، إذ لا بد من وقوع الإحسان، إذ حينها لا سبيل إلى معاقبتهم ، " والإحسان حال قعودهم يقتضي تقديم النصيحة ، وعدم الإرجاف ، ويقتضي أيضاً تشجيع المؤمنين لا تثبيطهم " (٤٢٦) .

(422) فتح القدير للشوكاني ، ص ٧٢٥ .

(423) انظر : الكشاف للزمخشري ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

(424) فتح القدير للشوكاني ، ص ٧٢٥ .

(425) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب رقم ٢٣ ، بيان أن الدين النصيحة ، حديث رقم ٥٥ ، ص ٥٤ .

(426) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٤ ، ص ١٦٩٦ .

٣. بينت الآيات مدى الحرص على المشاركة لدى المعذورين، من خلال الوصف الدقيق لحالهم وسلوكهم ، فمجموعة منهم حاولت توفير وسيلة للمشاركة عن طريق المال فلم تجد ، وأخرى سألت المعونة فلما لم تتوفر لهم ؛ بدا التأثير واضحاً في محياهم ، متمثلاً في هذا الفيض من الدموع الصادقة، ودل على صدقها التعبير القرآني الفريد: (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) ، " فنسب الفيض إلى العين، وذلك أبلغ مما لو نسب الفيض إلى الدمع؛ لأن العين جعلت كأنها كلها دمع فائض " (٤٢٧) ، وتمثل هذا التأثير أيضاً في الحزن الذي اعتراهم؛ " لأنهم لا يجدون ما ينفقون لا عند أنفسهم ولا عند النبي ﷺ " (٤٢٨) ، ويكفي أن هذه المجموعة حملت في التاريخ اسم " البكائين؛ لأنهم بكوا لما لم يجدوا عند رسول الله ﷺ الحملان، حزناً على حرمانهم من الجهاد " (٤٢٩) .

ومن الجدير بالذكر والتسجيل هنا أن أصحاب الأعدار هؤلاء شاركوا المجاهدين الأجر، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة ، فقال (إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض) (٤٣٠) .

خامساً : يقول سبحانه : (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٢١، ١٢٠) ، " فلم يكن لأهل المدينة - مدينة رسول الله ﷺ ، ومن حولهم من الأعراب "سكان البوادي" الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك

(427) انظر : الكشاف للزمخشري، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ، وانظر : تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ٦ ، ج ١٠ ، ص ٢٩٦ .

(428) انظر : فتح القدير للشوكاني ، ص ٧٢٦ .

(429) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ٦ ، ج ١٠ ، ص ٢٩٦ .

(430) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب رقم ٤٨ ، ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ، حديث رقم ١٩١١ ، ص ٧٩٣ .

؛ وهم من أهل الإيمان به - أن يتخلفوا في أهاليهم ولا دارهم ، ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ؛ في صحبته في سفره والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانیه في غزوه ، و ذلك بسبب أنهم لا يصيبهم في سفرهم - إذا كانوا معه - ظمأ " وهو العطش" ولا نصب - أي تعب - ولا مجاعة في إقامة دين الله ونصرته، وهدم منار الكفر ، ولا يطنون أرضاً يغيظ الكفار وطوهم إياها" (٤٣١) ؛ "بأقدامهم أو بحوافر خيولهم أو بأخفاف راحلهم" (٤٣٢) ، " ولا يصيبون من عدو الله و عدوهم شيئاً في أموالهم وأنفسهم وأولادهم ؛ إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه" (٤٣٣) ، ولا ينفقون نفقة صغيرة في سبيل الله ، ولا يقطعون مع رسول الله في غزوه وادياً إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك ، جزاءً لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم ؛ التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم" (٤٣٤) ، ولقد ساق الباحث هذه الآيات هنا - مذيلة بهذا الإيضاح لمعناها- ليؤكد مرة أخرى على تعدد الخيارات أمام الراغبين في البذل ، حتى غدا الظمأ والنصب الذي يصيب الإنسان في سبيل الله ، بل مجرد السلوك الذي يغيظ الكفار ، عملٌ يؤجر عليه صاحبه أفضل ما يكون الأجر ، وأضحت النفقة - صغيرة كانت أم كبيرة ، بل الوادي الذي يجتازه الإنسان في مسعاه نحو مرضاة الله واستجابة لأمر مولاه - عملاً له قيمته وله اعتباره ، وأي اعتبار إنه الفيض الإلهي (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)، وإنه الجزاء الأوفي (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). وإنك تلاحظ أن الله جعل " كل عمل من تلك الأعمال عملاً صالحاً، وإن لم يقصد به عاملوه تقرباً إلى الله، فإن تلك الأعمال تصدر عن أصحابها وهم ذاهلون في غالب الأزمان أو جميعها عن الغاية منها، فليست لهم نيات بالتقرب بها إلى الله ، ولكن الله تعالى بفضله جعلها لهم قربات باعتبار شرف الغاية منها ، وذلك بأن جعل لهم عليها ثواباً كما جعل للأعمال المقصود بها القربة" (٤٣٥) ، فإذا كان هذا في حق الأعمال التي تحدث عادة دون سابق ترتيب ، وتقع أثناء

(431) انظر : جامع البيان للطبري ، المجلد ٧ ، ج ١١ ، ص ٧٨ .

(432) فتح القدير للشوكاني ، ص ٧٤٣ .

(433) جامع البيان للطبري ، المجلد ٧ ، ج ١١ ، ص ٧٨ .

(434) المرجع السابق ، المجلد ٧ ، ج ١١ ، ص ٨٠ .

(435) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ٦ ، ج ١١ ، ص ٥٧ .

السعي إلى الغاية الكبرى ، فكيف هو الأمر في حال الأعمال التي لا تتم إلا بترتيب مسبق؟! " فالنفقة في سبيل الله لا تكون إلا عن قصد يتذكر به المنفق أنه يسعى إلى ما هو وسيلة لنصر الدين ، والنفقة الكبيرة أدخل في القصد ، فلذلك نبه سبحانه عليهما وعلى النفقة الصغيرة ليعلم بذكر الكبيرة حكم النفقة الصغيرة ؛ لأن العلة في الكبيرة أظهر " (٤٣٦) .

وخلاصة القول أنك ترى أن النفقة القليلة أكدت عليها الآيات كما أكدت على الكبيرة ، بل أكدت على الأعمال العادية الحدوث ، واعتبرتها في ميزان فاعليها ، فما المانع إذن من الإنفاق؟! ثم إذا أحاطت كل هذه الظروف الإيجابية بالإنفاق والتي تعتبر عاملاً مرغوباً فيه ، ومحفزاً لأدائه ، فما الداعي للتردد إذن؟!

الفصل الثاني فضائل الإنفاق

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول : الإنفاق يبارك في الأصل
- المبحث الثاني : الإنفاق يعود بالخير على الإنسان
- المبحث الثالث : عدم ضياع ثواب الإنفاق
- المبحث الرابع : الإنفاق مظهر مميز للمسلمين

الفصل الثاني فضائل الإنفاق

توطئة :

من الأساليب التي اعتمدها القرآن في الحث على الإنفاق ، أسلوب بيان فضائله وما يعود من ثمار خير على فاعله، إذ إن إدراك فضائل الإنفاق ، يستتفر هممة المتقاعس ، ويحسم أمر المتردد ، ويضاعف عزيمة المعطي .
والآيات التي تناولت هذا الجانب كثيرة متعددة ، تغطي جوانب عدة من هذا الأسلوب ، فأيات بينت أن الإنفاق يبارك في الأصل الذي يقع منه الإنفاق ، وأيات تقرر حقيقة أن الإنفاق يعود بالخير على المنفق ، ومجموعة ثالثة من الآيات بشرت بأن أجر الإنفاق لا يضيع عند الله بل يتضاعف ، وأيات دللت على أن الإنفاق ظاهرة مميزة للمؤمنين عن غيرهم ، مما يجعل الإنفاق علامة دالة على صدق الإيمان، وفي مباحث هذا الفصل الأربعة ؛ حاول الباحث معالجة هذه القضايا من خلال الآيات التي تناولتها .

المبحث الأول الإنفاق يبارك في الأصل

لعل من أهم الأسباب التي تعوق الكثيرين عن البذل والإنفاق ، الخوف من نقص ماله وذهاب الأصل الذي ينفق منه ، فإذا أدرك أن هذا الأصل لن يتأثر سلباً- بل على النقيض؛ سيتضاعف ويعم التوفيق والبركة سائر أمور المنفق - فإن عائقاً من أعتى العوائق يزوب من أمام الراغبين في البذل والعطاء ، ومن هنا اعتمد القرآن هذه المنهجية ، وركز عليها ، والآيات الآتية نماذج على ذلك .
أولاً : يقول سبحانه في سورة البقرة : (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة: ٢٤٥) ، والآية تبين أمور عدة منها :

١. الإنفاق قرض لله سبحانه وتعالى؛ الغني عن سائر خلقه ، والمنفق يتعامل مع إله كريم لا تضيع عنده الحقوق ، "وفي هذا حث لطيف على الإنفاق يستثير النفوس، ويرغبها ببيان أن المنفق قد أقرض الله الغني الكريم " (٤٣٧).
٢. إقرار حقيقة المضاعفة الكثيرة لما يقدمه الإنسان من أفعال الخير ، "فيضاعفه في الدنيا مالاً وبركة وسعادة وراحة، ويضاعفه في الآخرة نعيماً ومتاعاً ورضى وقربى من الله" (٤٣٨).
٣. اشترطت الآية لتحقيق المضاعفة أن يكون القرض حسناً، "وهو ما جمع أوصاف الحسن ، من النية الصالحة ، وسماحة النفس بالنفقة ، ووقوعها في محلها، وأن لا يتبعها المنفق مناً ولا أذى ؛ ولا مبطلاً ولا منقصاً" (٤٣٩).
٤. إقرار حقيقة أن الغنى والفقر مرده إليه سبحانه ، وذلك أنه "لما كان المانع الأكبر من الإنفاق خوف الإملاق ، أخبر تعالى أن الغنى والفقر بيد الله، وأنه يقبض الرزق على من يشاء، ويبسطه على من يشاء، فلا يتأخر من يريد الإنفاق خوف الفقر، ولا يظن أنه ضائع؛ بل مرجع العباد كلهم إلى الله، فيجد المنفقون والعاملون أجرهم عنده مدخراً، أحوج ما يكونون إليه ، ويكون له من الوقع العظيم، ما لا يمكن التعبير عنه" (٤٤٠).

إضافة إلى ما سبق فإن مجيء الآية محاطة بآيات القتال ، يعطي دلالات خاصة ، حيث يقول سبحانه: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ* وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ

(437) انظر التيسير للسعدي ، ص ٩٩ .

(438) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(439) التيسير للسعدي ، ص ٩٩ .

(440) التيسير للسعدي ، ص ٩٩ .

تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (البقرة: ٢٤٣-٢٤٦) ، ومن هذه الدلالات (٤٤١).

١. التأكيد على ارتباط بذل المال والإنفاق في سبيل الله بالجهاد والقتال، وبخاصة في تلك الفترة حيث كان الجهاد تطوعاً، والمجاهد ينفق على نفسه، وقد يقعد به المال حين لا يقعد به الجهد، فلم يكن بد من الحث المستمر على الإنفاق لتيسير الطريق للمجاهدين في سبيل الله.

٢. عدم ذهاب المال بالإنفاق ، فإذا كان الموت والحياة بيد الله، والحياة لا تذهب بالقتال إذا قدر الله لها البقاء ، فكذلك المال لا يذهب بالإنفاق ، فليجاهد المؤمنون في سبيل الله وليقدموا الأرواح والأموال ، وليستيقنوا أن أنفاسهم معدودة، وأن أرزاقهم مقدره، وأنه من الخير لهم أن يعيشوا الحياة قوية طليقة شجاعة كريمة، ومردهم بعد ذلك إلى الله .

٣. إبراز القدرة الإلهية المتحكمة في الأمور؛ مما يشيع في النفس كل الرغبة في اللجوء إلى كنف عزيز قدير، والاستسلام لمشيئة حكيم عادل ، وذلك من خلال عرض مشاهد الإماتة والإحياء، وما فيها من قبض للأرواح وإطلاقها، وربطها بمشاهد قبض الأرزاق وبسطها، فيبدو التناسق العجيب في تصوير المشاهد إلى جوار التناسق العجيب في إحياء المعاني وجمال الأداء.

ومن الجدير بالذكر أن مسألة القرض الحسن ومضاعفته؛ جاءت في آيات أخرى وهي قوله سبحانه في سورة الحديد : (إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) (الحديد: ١٨) ، وقوله سبحانه في سورة التغابن: (إِنْ تُقْرَضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن: ١٧) ، وقوله سبحانه في سورة المزمل : (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا) (المزمل: ٢٠).

ثانياً : يقول سبحانه في سورة البقرة : (يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة: ٢٧٦)، وقد جاءت هذه الآية تعقيباً على الحديث عن الربا، "فالمرابي إنما يطلب في الربا زيادة في المال، ومانع الصدقة إنما يمنعها لطلب زيادة

المال، فبين سبحانه أن الربا سبب النقصان دون النماء، وأن الصدقة سبب النماء دون النقصان" (٤٤٢)، فمن أراد زيادة ماله فلا يتوهم أن الربا هو طريقها، وليعلم أن الله سبحانه يحق الربا؛ "فيذهب ببركته، ويهلك المال الذي يدخل فيه" (٤٤٣)، "إما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعدمه به في الدنيا، ويعاقبه عليه يوم القيامة" (٤٤٤)، ولهذا فليدرك الراغبون في زيادة أموالهم أن الصدقات طريقهم إلى تحقيق هذه الرغبة، فالله سبحانه الذي يحق الربا يربي الصدقات، "فينميها في الدنيا بالبركة، ويكثر ثوابها بالتضعيف في الآخرة" (٤٤٥). فهذان شكلان للربا: حقيقي: "وهو أنه يزيدها وينميها في الدنيا بالبركة، وكثرة الأرباح في المال الذي خرجت منه الصدقة، ومعنوي: وهو تضاعف الحسنات والأجور الحاصلة بالصدقة" (٤٤٦)، ومثال الأول في السنة: ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) (٤٤٧)، ومثال الثاني: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب- ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله) (٤٤٨) (٤٤٩).

(442) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧هـ، مكتبة دار التراث - ٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة، ج ٣ ص ٥٢.

(443) الكشاف للزمخشري، ج ١، ص ٤٠١.

(444) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٦٥٤.

(445) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الأول، ج ٢، ص ٣١٠.

(446) انظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(447) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب رقم ٢٧، قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ... ﴾، حديث رقم ١٤٤٢، ص ٢٨٠.

(448) الفلّو: المهر الصغير، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه، انظر لسان العرب لابن منظور، مادة فلا ج ١٥ ص ١٨٦، ومادة فصل ج ١١ ص ٦٢٢، ٦٢٣.

وخلاصة القول أن الله سبحانه "يمحق مكاسب المرابين، ويربي صدقات المنفقين، عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق؛ أن الإنفاق ينقص المال وأن الربا يزيده، فإن مادة الرزق وحصول ثمراته، من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وامتنال أمره" (٤٥٠).

ثالثاً: تعرضت المباحث السابقة إلى بعض الآيات التي تؤكد ذات المعاني، فمر معنا (٤٥١) قوله سبحانه في سورة النساء: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ٤٠)، وفيها تأكيد على مضاعفة الحسنات، والأجور العظيمة المدخرة عند الله للمنفقين، وكذلك (٤٥٢) قوله سبحانه في سورة سبأ: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ: ٣٩)، وفيها وعد من الله بأنه "مهما أنفقتم من شيء - فيما أمركم به وأباحه لكم- فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب" (٤٥٣)، "وأكد ذلك الوعد بصيغة الشرط، وبجعل جملة الجواب اسمية، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: (فَهُوَ يُخْلِفُهُ)، ففي هذا الوعد ثلاثة مؤكدات دالة على مزيد العناية بتحقيقه" (٤٥٤).

(449) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب رقم ١٩، قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم ١٠١٤، ص ١٠١٤.

(450) التيسير للسعدي، ص ١٠٨.

(451) انظر مبحث عدم وجود المانع من الإنفاق، ص ١٥٥.

(452) انظر مبحث الإنفاق المطلق، ص ٦٥.

(453) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٦، ص ٢٨٩٦.

(454) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، المجلد ١١، ج ٢٢، ص ٢٢٠.

المبحث الثاني الإنفاق يعود بالخير على الإنسان

تناول المبحث السابق بيان أن الإنفاق يبارك في الأصل الذي ينفق منه ، وفي هذا المبحث بيان أن الإنفاق يعود بالخير على صاحبه ، والآيات تنص صراحة على أن المنفق إنما ينفق لنفسه، وأن ما يقدمه من خير فإنما يقدمه لنفسه ، وهذه بعض الآيات التي تصرح بذلك :

أولاً : يقول سبحانه في سورة البقرة : (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٢) ، وهذه الآية جاءت في وسط آيات الإنفاق، والشاهد على المعنى المراد هو قوله سبحانه: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ) ، أي "إنما يعود نفع ذلك على نفسه" (٤٥٥) ، ويؤكد ذلك قوله سبحانه: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأنفسيهِ) (فصلت: ٤٦) .

ثانياً : يقول سبحانه في سورة البقرة : (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢٨٠) ، وفيها "يدعو سبحانه صاحب الدين إلى أن يتصدق بدينه مقررأ أن الخير في هذا التطوع ، الخير له وللمدين وللجماعة كلها ولحياتها المتكافلة" (٤٥٦) ، ولقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : (كان رجل يداين الناس ، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه) (٤٥٧) .

ثالثاً : يقول سبحانه في سورة التغابن: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (التغابن: ١٦) ، والشاهد فيها قوله تعالى: (وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لأنفُسِكُمْ) " ، أي: وابدلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم؛ يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة " (٤٥٨) ، " وكل ما يفعله الرجل من خير فإنما هو لنفسه " (٤٥٩) ، وهو بهذا يجعل ما ينفقونه كأنه نفقة مباشرة لذواتهم ، ويعدها الخير لهم حين يفعلون " (٤٦٠) .

والشاهد الثاني التعقيب بقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ بعد الأمر بالإنفاق فيه مزيد ترغيب وتحبيب في الإنفاق ، "فيريهم شح النفس بلاء ملازماً ، السعيد السعيد من يخلص منه ويوقاه، والوقاية منه فضل من

(455) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٧ ، ص ٢٨٩٦ .

(456) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(457) صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب رقم ٦ ، فضل إنظار المعسر ، حديث رقم ١٥٦٢ ، ص ٦٣٩ .

(458) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٧ ، ص ٣٥٤٣ .

(459) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٩ ، ج ١٧ ، ص ٣٨١ .

(460) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٩١ .

الله" (٤٦١) ، "فمن سلم من البخل ومنع الفضل من المال؛ فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب" (٤٦٢).

ومن الآيات التي تعاضد ما ذهب إليه الباحث من إثبات أن الإنفاق يعود بالخير على فاعله، قوله سبحانه: (وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) (فاطر: ١٨) ، "أي: ومن عمل صالحاً فإنما يعود نفعه على نفسه" (٤٦٣) ، وهي تتحدث عن سائر أشكال التطهر ، وقوله سبحانه: (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) (الإسراء: ٧).

المبحث الثالث

عدم ضياع ثواب الإنفاق

إن إدراك حقيقة عدم ضياع ثواب الإنفاق حافز كبير؛ يدفع الكثيرين إلى البذل والعطاء دون خوفٍ من فقدان الأجر، أو ندمٍ على بذلٍ ضائع، ولهذا نجد القرآن اعتمد في الحث على الإنفاق على إثبات هذه الحقيقة، لما لها من الأثر السابق الذكر، وذلك من خلال تسجيل الحقائق الآتية:

أولاً: إقرار تمام الوفاء بالإنفاق:

يقول سبحانه في سورة البقرة: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٢) ، ويقول سبحانه في سورة الأنفال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: ٦٠) ، والشاهد في الآيتين قوله سبحانه: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) في الأولى، وقوله سبحانه: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) في الثانية، وفي هذا دلالة واضحة على "أن ثواب الإنفاق يوفى إلى المنفقين ولا يخسون منه شيئاً" (٤٦٤) ، بل "مهما أنفقوا فإنه يوفى إليهم على التمام والكمال" (٤٦٥) ، وجاء التعقيب في الآيتين بقوله سبحانه: (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) ، ليؤكد المعنى ذاته؛ إذ إنهم "لا ينقصون من أجر الصدقة وثوابها شيئاً" (٤٦٦) .

(461) المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٣٥٩١ .

(462) انظر فتح القدير للشوكاني ، ص ١٧٨٨ .

(463) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٦ ، ص ٢٩١١ .

(464) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني ، ج ٣ ، ص ٢٥٧ .

(465) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٤ ، ص ١٦٠ .

(466) انظر التيسير للسعدي ، ص ٣٠٤ .

ثانياً: ثبوت أجر الإنفاق عند الله :

يقول سبحانه في سورة البقرة : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ١١٠)، أي:
"مهما تعملوا من عمل صالح في أيام حياتكم؛ فتقدموه قبل وفاتكم ذخراً لأنفسكم
في معادكم؛ تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به" (٤٦٧) ، وقد يتوهم
بعض الناس أن عمله الخير لا ثمرة له ، لأنه حسب ظنه الخاطيء لا يطلع عليه أحد،
فيمنعه هذا الفهم القاصر من عمل الصالح، فكان التعقيب في نهاية الآية بقوله تعالى:
(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ، لتصحيح الأفهام الخاطئة والتصورات القاصرة (٤٦٨)
، من خلال بيان "أنه تعالى لا يغفل عن عمل عامل ولا يضيع لديه، سواء كان خيراً
أو شراً فإنه سيجازي كل عامل بعمله" (٤٦٩) ، وفي هذا تأكيد على أن العمل الصالح -
والإنفاق جزء منه - لا يضيع عند الله، والمعنى نفسه نجده في قوله سبحانه في سورة
المزمل: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المزمل: ٢٠) ، إلا أنك تجد في هذه الآية، بيان أن ما يقدمه الإنسان،
هو خير مما يحتفظ به ، وإنه واجدٌ عند ربه ما هو خير منه، وأعظم في الأجر.

ثالثاً: توفر الاطمئنان على مصير النفقة:

لقد جاء التعبير القرآني يقرر انتفاء الخوف والحزن عن أصناف معينة في
مواضع كثيرة ، يجمعها قاسم العمل الصالح ، وتوقف الباحث عند الآيات التي
تحدث عن المنفقين كصنف من هذه الأصناف، فيقول سبحانه في سورة البقرة: (
الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٦٢) ، ويقول سبحانه في
موضع آخر في نفس السورة : (الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٤) ، ويقول
تعالى في موضع ثالث من نفس السورة كذلك: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)
(البقرة: ٢٧٧) ، ومن الآيات الثلاث تدرك أنه "لا خوف عليهم فيما بين أيديهم من
الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا" (٤٧٠) ، فلا يضيع الإنفاق عند الله،
فالأجر محفوظ عنده سبحانه، فلا خوفٌ على المستقبل؛ خوفٌ يحول دون الإنفاق،
ولا حزنٌ على الماضي، حزنٌ يدفع للندم على ما قدم ، وذلك "أن المكروه إن كان قد
مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظراً، أحدث الخوف ، فنفاهما عن اتباع الهدى،
وإذا انتفيا ثبت ضدتهما، وهو الأمن والسعادة" (٤٧١) .

(467) جامع البيان للطبري ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٦٢٧ .

(468) انظر مبحث عدم وجود المانع من الإنفاق ، ص ١٥٣ .

(469) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .

(470) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(471) التيسير للسعدي ، ص ٤٢ .

رابعاً : بيان التجارة الربحية:

على نفس النسق الذي يبين أن الإنفاق لا يضيع عند الله؛ يأتي قوله تعالى في سورة يوسف: (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِيضَاعًا مُزْجَاةً فَاؤْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) (يوسف: ٨٨) ، ليقرر حقيقة أن الله يجزي المتصدقين "بما يجعله لهم من الثواب الأخروي، أو التوسيع عليهم في الدنيا" (٤٧٤) ، فلا قلق على نفقتك أن تضيع، ولا خوف عليها ألا تسجل في سجل الشرف عند عليم خبير، ويؤكد عدم ضياع النفقة، وأنها تجارة رابحة مع الله قوله سبحانه في سورة فاطر: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) (فاطر: ٢٩) ، فهم يرجون " بكل هذا تجارة لن تبور، فهم يعرفون أن ما عند الله خير مما ينفقون، ويتاجرون تجارة كاسية مضمونة الربح، يعاملون فيها الله وحده؛ وهي أربح معاملة، ويتاجرون بها في الآخرة، وهي أربح تجارة، تجارة مؤدية إلى توفيتهم أجورهم، وزيادتهم من فضل الله" (٤٧٣) ، وهذا يؤكد أن الإنفاق لا يضيع عنده سبحانه، فهو "تجارة ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشترى باق بفان" (٤٧٤) .

ويتبين مما سبق جانب من منهج القرآن في الحث على الإنفاق، من خلال إثبات مجموعة من الحقائق، تؤكد أن الإنفاق لا يضيع عند الله، فإن إدراك النفس البشرية لحقيقة كونها بالإنفاق إنما تمارس تجارة رابحة، مضمونة النتائج، وأنها ستنال مقابل ما بذلت، أجرها كاملاً، وتستوفي حقها غير منقوص، تجده عند إله عليم بالنوايا، بصير بما قدمت، لا تضيع لديه الحقوق، ولا تظلم عنده الخلائق، إضافة إلى أنها ستتعلم، دنيا وآخرة، بهدوء نفسي، وراحة بال، لا ينعصها قلقٌ على مستقبل، ولا ندماً على ماضٍ، إن إدراك واحدة من هذه الحقائق، كفيلٌ بإثارة كوامن الخير في كل نفس حية الضمير، كافٍ لكبح دوافع الشح والبخل، فما ظنك بإدراك هذه الحقائق مجتمعة .

(472) فتح القدير للشوكاني ، ص ٨٦٦ .

(473) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٥ ، ص ٢٩٤٣ .

(474) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ .

المبحث الرابع الإنفاق مظهر مميز للمسلمين

أدرك أعداء الإسلام من وقت مبكر دور الإنفاق الكبير في خدمة دعوة الله ونشر الإسلام؛ فلجأوا - منذ البداية- إلى محاربة المسلمين في هذا المجال، فكان حصار قريش الجائر لرسول الله ﷺ وصحابته، في شعب أبي طالب، ولأن الهدف تضيق الخناق على المسلمين في أرزاقهم، امتد الحصار ليشمل كل من يتوقع منه مساندة المسلمين من الكفار أنفسهم، واستمر هذا الأسلوب الخسيس يُستخدم على مدى الأيام ، في محاولة لتجويح المسلمين ؛ ليسهل من ثم تركيعهم ، وفي المقابل أدرك المسلمون ما يحدثه الإنفاق من نشر لدعوة الله ، ومحافظة على الوجود الإسلامي، سواءً بتوفير مصالح الناس، أو بالذود عنها ، فسارع المسلمون في سباق لا يتوقف إلى البذل والعطاء ، حتى التمعت نجومٌ في سماء التاريخ الإسلامي، كعثمان بن عفان و عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وغدا الإنفاق والبذل سمت يميز المسلمين، وحينها طور الأعداء أسلوبهم، فأخذ يوصي بعضهم بعضاً بتجفيف المنابع، ناسين - لجهلهم- أن أصل الأرزاق جميعها ومنبعها من عند الله، الذي لا تنفد خزائنه، فهو القائل: **(وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)** (المنافقون: ٧) ، وعندما يبين القرآن ذلك، فهو يرسم لنا معالم أسلوب آخر في الحث على الإنفاق، ببيان أنه مظهر مميز للمسلمين، وصفة دفعت الآخرين الحاقدين إلى التواصي بعدم الإنفاق على المسلمين؛ حتى ينفضوا عن هذه الدعوة المباركة، وإدراك هذا الأسلوب يجعل الإنسان أمام فهمين كليهما يأخذانه إلى ميادين الإنفاق:

أولهما: أن من لوازم صفات المؤمنين البذل والإنفاق، ولهذا كانت الزكاة واحدة من الدعائم الخمس التي بُنيَ عليها الإسلام، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)** (٤٧٥) ، وفي هذا دافع قوي للحريص على أن يتصف بصفات المؤمنين؛ أن يتخلق بالإنفاق حتى يصبح له سجية.

وثانيهما: أن من صفات المنافقين عدم الإنفاق، والدعوة إلى عدم الإنفاق، بل والتواصي بالتوقف عنه، كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم بقوله: **(هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ)** (المنافقون: ٧) ، "فكانوا يقولون لأهل المدينة: لا تنفقوا على أصحاب رسول الله ﷺ من فقراء المسلمين، ومن كانوا في رعايته مثل أهل

الصفة، ومن كانوا يلحقون بالمدينة من الأعراب" (٤٧٦)، حتى يتفرقوا عنه "وحسبوا أنهم إذا قطعوا الإنفاق على من عند رسول الله ﷺ لا يجد الرسول ﷺ ما ينفق منه عليهم" (٤٧٧)، وقد روى البخاري ذلك في صحيحه "عن زيد بن أرقم ؓ قال: كنت مع عمي، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول (٤٧٩) يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال أيضاً: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله عز وجل: (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ..)، إلى قوله: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ..) ، إلى قوله: .. لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ..) ، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها عليّ ، ثم قال : (إِنْ اللَّهُ قَدْ صَدَقَ) " (٤٨٠) .

إن إدراك هذا الفهم الأخير لصفات المنافقين؛ يجنب الإنسان سليم الفطرة، التمثل بهذه الصفات، ويوجهه لكي يتحلى بنقيضها، فتجده منفقاً أولاً، وداعياً للإنفاق ثانياً.

ولم يتوقف أعداء الإسلام عند هذا الحد من التواصي بعدم الإنفاق، فعندما وجدوا المسلمين يتدافعون نحو البذل والعطاء -الغني منهم والفقير، المقل منهم والمكثر- عمدوا إلى اللزم في الصدقات، فاتهموا المكثرياء، وقللوا من شأن صدقة المقل (٤٨١) ، وقد سجل الله لهم هذا الموقف المشين، في قوله سبحانه: (الَّذِينَ

(476) انظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ١٣ ، ج ٢٨ ، ص ٢٤٦ .

(477) المرجع السابق ، المجلد ١٣ ، ج ٢٨ ، ص ٢٤٨ .

(478) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأنصاري الخزرجي ، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع علي ، وكان من خواص أصحابه ، ومات بالكوفة أيام المختار سنة ٦٦ هـ ، انظر: تهذيب الكمال للمزي ، ج ١٠ ص ٩ .

(479) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب المشهور بابن سلول وسلول جدته لأبيه من خزاعة ، رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة كان سيد الخزرج في جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيّة توفي سنة ٩ هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٤ ، ص ٦٥ .

(480) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة المجادلة ، باب رقم ٢ ، "اتخذوا إيمانهم جنة" يجتئون بها ، حديث رقم ٤٩٠١ ، ص ٩٦٤ .

(481) انظر مبحث عدم وجود المانع من الإنفاق ، ص ١٥٣ .

يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (التوبة: ٧٩)، وكل هذا في محاولة يائسة منهم لتغيير هذا المظهر المميز للطائفة المسلمة، ليتحقق مرادهم من الانفضاض عند دعوة الله، ولكن خاب ظنهم، فالله "يثبت المؤمنين ويقوي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة والوسيلة الخسيسة؛ التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم، ويطمئنهم إلى أن خزائن الله في السماوات والأرض هي خزائن الأرزاق للجميع، والذي يعطي أعداءه لا ينسى أوليائه، فقد شاءت رحمته ألا يأخذ حتى أعداءه من عباده- بالتجويع وقطع الأرزاق، وقد علم أنهم لا يرتزقون أنفسهم كثيراً ولا قليلاً لو قطع عنهم الأرزاق، وهو أكرم أن يكل عباده ولو كانوا أعداءه إلى ما يعجزون عنه البتة، فالتجويع خطة لا يفكر فيها إلا أخس الإخساء وألم اللؤماء ... فما أغباهم وأقل فقههم وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين، والتحكم في أرزاق المؤمنين، وهم لا يخلقون رزق أنفسهم من ناحية، ومن أخرى يرتزقون من خزائن الله رب هذه الدعوة التي يحاربون" (٤٨٢).

الفصل الثالث

الربط بين الإنفاق وقضايا الإيمان والعبادات

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : ارتباط الإنفاق بالإيمان

المبحث الثاني : ارتباط الإنفاق بالعبادات عموماً

المبحث الثالث : ارتباط الإنفاق بالصلاة خصوصاً

الفصل الثالث الربط بين الإنفاق وقضايا الإيمان والعبادات

من الأساليب التي اعتمدها القرآن ضمن منهجه في الحث على الإنفاق؛ الربط بينه وبين قضايا الإيمان، وقضايا العبادات، وذلك للترغيب فيه، وبيان قدره وقيمته، ولقد عالج الباحث هذه القضايا عبر مباحث ثلاث:

المبحث الأول ارتباط الإنفاق بالإيمان

جاء ذكر الإنفاق عبر الآيات التي تتحدث عن الإيمان وصفات المؤمنين، في مواضع كثيرة، وذلك في إشارة واضحة إلى مكانته في الإسلام، فأيات قرنت بينه وبين الإيمان بمفهومه العام دون تفصيل، كما في قوله تعالى (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥) ، وآيات قرنت بينه وبين الإيمان مع تفصيل لأركان هذا الأخير، كما في قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧) وآيات قرنت بينه وبين ركن أو أكثر من أركان الإيمان، فمرة جاء ذكره مقروناً مع الإيمان بالله سبحانه، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة: ١٨) ، وأخرى مع الإيمان بالرسول، في مثل قوله سبحانه: (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) (المائدة: ١٢) ، وثالثة مع الإيمان بالكتب، كما قال سبحانه: (لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١٦٢) ، ورابعة مع الإيمان باليوم الآخر، كما في الآيات سابقة الذكر.

وبالإمكان معالجة هذه العلاقة بين الإيمان والإنفاق من خلال ما يلي:

أولاً : بيان أوجه العلاقة بين الإيمان والإنفاق :

١ . كثيراً ما ربطت الآيات بين قضايا الإيمان وقضايا العبادات - والإنفاق واحدة منها- وذلك لتغطي متطلبات النفس البشرية، "فتعالج حظ القلب من خلال مسائل الإيمان، وتعالج حظ البدن عبر إقام الصلاة، وتعالج حظ المال بالدعوة إلى

الإِنْفَاق" (٤٨٣) ، كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (البقرة: ٢-٥) ، "فتضمنت الاعتقاد القلبي وهو: الإيمان بالغيب، والفعل البدني وهو: الصلاة، وإخراج المال. وهذه الثلاثة هي عمد أفعال المتقي" (٤٨٤) .

٢. الإيمان الحقيقي لا بد أن يتبعه عمل يصدقه، "لأن الإيمان لما كان مقره القلب، ومترجمه اللسان، كان محتاجاً إلى دلائل صدق صاحبه، وهي عظام الأعمال ... ومن ذلك ملازمة فعل الصلوات؛ لأنها دليل على تذكر المؤمن من آمن به، ومن ذلك السخاء؛ ببذل المال للفقراء، امثالاً لأمر الله بذلك" (٤٨٥) ، "فحقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح" (٤٨٦) ، ولهذا قرنت الآيات السابقة بين أركان الإيمان من اعتقاد بالغيب كله، وإيمان بكل ما أنزل، وبقين بالآخرة، وبين الصلاة والإِنْفَاق من رزق الله، كعبادات دالة على انقياد الجوارح.

٣. العلاقة التي تربط بين مسائل مذكورة معاً؛ من خلال القضية الأم، التي جاءت هذه المسائل في ثناياها، أو تفصيلاً لها، فعندما تذكر الآيات الإيمان والإِنْفَاق، أو غيرهما من قضايا، في معرض الحديث عن قضية معينة، فإن عاملاً أو أكثر يؤلف بينها، ويربطها إلى بعضها البعض، فمثلاً في الآيات سابقة الذكر من أول سورة البقرة، جاء الكلام عن قضايا الإيمان مقروناً بقضايا العبادات - متمثلة في الصلاة والإِنْفَاق- عند الحديث عن صفات المتقين؛ الذين تحصل لهم الهداية بالقرآن، وهذا يعني وجود عامل ينظم هذه الدرر، وبالتأمل تجد أن "السمة الأولى للمتقين هي الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة، الوحدة التي تجمع في نفوسهم بين الإيمان بالغيب، والقيام بالفرائض، والإيمان بالرسول كافة، واليقين بعد ذلك بالآخرة" (٤٨٧) ، إذ إن "التقوى تتضمن أعمال القلب وأعمال الجوارح، ولهذا جمع وصفهم بين العقائد والأعمال الباطنة - متمثلة في قضايا الإيمان- وبين الأعمال الظاهرة، متمثلة في الصلاة والإِنْفَاق" (٤٨٨) .

ومن ناحية أخرى فإن "التقوى شعور في الضمير، وحالة في الوجدان تنبثق منها اتجاهات وأعمال، وتتوحد بها المشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة، فيثمر ذلك إيماناً بالغيب، تصاحبه عبادة الله على الصورة التي اختارها؛ وجعلها صلة بين

(483) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(484) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(485) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(486) التيسير للسعدي ، ص ٣٤ .

(487) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(488) انظر : التيسير للسعدي ، ص ٢٤ .

العبد وربّه، ثم سخاءً بجزءٍ من الرزق وشعوراً بالإخاء يتسع لكل مؤمن، ولكل نبي ولكل رسالة، ثم اليقين بالآخرة بلا تردد، وكل صفة من هذه الصفات ذات قيمة في الحياة الإنسانية؛ مكنت لأصحابها طريق الفلاح في الماضي، وبأذن الله الهدى والفلاح لمن يتمثل بها اليوم" (٤٨٩). وبنظرة ثالثة فإن الترتيب في صفات المتقين جاء حسب الإلزام، "فالإيمان بالغيب لازم للمكلف دائماً، والصلاة لازمة في أكثر الأوقات، والنفقة لازمة في بعض الأوقات، وهذا من باب تقديم الأهم فالأهم" (٤٩٠).

وكمثال آخر للقضية الأم التي تولف منظومة محكمة من قضايا متعددة؛ مسألة البر التي يبين الله حقيقتها، حتى لا يختلط مفهومها عند المسلمين؛ كما اختلط عند من سبقهم من الأمم، فقال سبحانه: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧)، فتجد أن الآية "وضعت قواعد التصور الإيماني الصحيح، وقواعد السلوك الإيماني الصحيح، وحددت صفة الصادقين المتقين ... فجمعت في آية واحدة، بين أصول الاعتقاد، وتكاليف النفس والمال، وجعلتها كلاً لا يتجزأ، ووحدة لا تنقسم، ووضعت على هذا كله عنواناً واحداً؛ هو البر، أو هو جماع الخير، في خلاصة كاملة للتصور الإسلامي، ولمبادئ المنهج الإسلامي المتكامل؛ لا يستقيم بدونها إسلام، ومن ثم تعقب الآية على من هذه صفاتهم بأنهم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)، أولئك الذين صدقوا ربهم في إسلامهم، صدقوا في إيمانهم واعتقادهم، وصدقوا في ترجمة هذا الإيمان والاعتقاد إلى مدلولاته الواقعة في الحياة، وأولئك هم المتقون الذين يخشون ربهم، ويتصلون به ويؤدون واجبهم له في حساسية وفي إشفاق" (٤٩١).

"والآية كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية ... في خلال ثلاث: صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة مع العباد، وتهذيب النفس، وقد أشير إلى الأولى بالإيمان

(489) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ١، ص ٤١.

(490) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ١، ص ١٦٥.

(491) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ١، ص ١٥٨، ١٦١، ١٦٢.

بما فصل ، وإلى الثانية بإيتاء المال ، وإلى الثالثة بإقامة الصلاة ، ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظراً إلى إيمانهم واعتقادهم ، وبالتقوى اعتباراً بمعاشرتهم مع الخلق ، ومعاملتهم مع الحق" (٤٩٢) .

٤. "الإيمان الكامل وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أقدم المشروعات ، فهي أول ما شرع من الإسلام وكانت شعار المسلمين" (٤٩٣) .

٥. يجمع بين الإيمان والإنفاق عامل الإخلاص المتوفر في كل منهما ، إذ إنها صفات دالة على الإخلاص ، "فالإيمان بما لا يصل إليه الحس ؛ أدل دليل على قوة اليقين ، حتى أنه يتلقى من الشارع ما لا قبل للرأي فيه ، وشأن النفوس أن تنبوا عن الإيمان به ؛ لأنها تميل إلى المحسوس ، فالإيمان به على علاته، دليل قوة اليمين بالمخبر، وهو الرسول ﷺ... ولأن الزكاة أداء المال ؛ وقد علم شح النفوس، قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) (المعارج: ٢١) " (٤٩٤) .

ثانياً : بيان ثمرة العلاقة بين الإيمان والإنفاق :

بالتأمل في الآيات السابقة؛ وغيرها من الآيات التي ربطت بين الإيمان والإنفاق، وملاحظة المعاني التي تم تناولها في الفقرات السابقة، يمكن بيان بعض ثمار العلاقة بين الإيمان والإنفاق، من خلال النقاط الآتية:

١. جاء ذكر الإنفاق ضمن صفات المتقين، وليس هذا فحسب؛ إنما ذكر كركيزة من ثلاث ركائز – مع الإيمان والصلاة - تمثل متطلبات النفس البشرية، وفي هذا بيان لقيمتها، إذ إن تخصيص "الخصال الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات" (٤٩٥) .

٢. جاء ذكر الإنفاق في معرض المدح، مقترناً بالإيمان والصلاة، "فهو خصلة من خصال الإيمان الكامل" (٤٩٦) .

٣. في قوله تعالى: (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، "كرر الله - عز وجل- التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، وهي ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف (المُفْلِحُونَ)، وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين (أُولَئِكَ)، ليبصر كمراتبهم، ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدموا" (٤٩٧) ، والإنفاق واحدٌ مما قدموا، فأبصر المرتبة، وارغب في الطلب، وانشط في التقديم .

٤. في قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ

(492) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(493) انظر : تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

(494) المرجع السابق ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(495) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(496) انظر : تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد الأول ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(497) الكشاف للزمخشري ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (البقرة: ١٧٧)
، جاء ذكر الإنفاق متميزاً من حيث:

أ- وروده مرتين، الأولى: في مجال التطوع بالصدقات، وهي قوله تعالى: (وَأَتَى
الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ...)، والثانية: في مجال الفريضة، وهي قوله تعالى: (وَأَتَى
الزَّكَاةَ...)، وذلك عند من اعتبر الإنفاق في المرتين مختلفاً، أما "عند من يرى أن
المرتين بمعنى الفريضة، فقد جعل الأولى لبيان المصارف، والثانية لبيان وجوب
الأداء" (٤٩٨).

ب- التفصيل لمصارف الإنفاق المتعددة في قوله: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ) .

ج- جاء ذكر الإنفاق بعد ذكر الإيمان مباشرة، كما أن تفصيله جاء بعد تفصيل
الإيمان أيضاً، فإذا كان للإنفاق هذا التميز، فإنه دليل واضح على قيمته، ودوره
في القضية التي فصلها الآية، وأنعم بها من قضية، هي "جماع الفضائل الفردية
والاجتماعية، الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع؛ من أصول العقيدة وصالحات
الأعمال" (٤٩٩) ، ثم جاء التعقيب بعدها بقوله سبحانه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) ، ليدل على عظم شأنها، وسيزداد يقينك بعظمتها إذا تأملت
كلمة (أُولَئِكَ) ، وما "فيها من معنى البعد الدال على علو طبقتهم وسمو شأنهم،
وتكرارها لزيادة التنويه بشأنهم، وتوسيط الضمير في قوله: (وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ) ، للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم" (٥٠٠) ، ثم الوصف ذاته بالصدق
والتقوى يبرز قدر المتصفين بتلك النعوت الواردة في الآية ، والتي تميز فيها
الإنفاق بما ذكرنا .

٥. وأخيراً فإن هذه العلاقة بين الإيمان والإنفاق تُثمر دافعية لدى كل سامع حيِّ
الضمير ؛ لينفق دون تردد أو قلق .

وبعد هذا الإيضاح بات بديناً كيف غدا الربط بين الإنفاق والإيمان حلقة في
منهج متكامل للحث على الإنفاق .

(498) انظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(499) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد الثاني ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(500) انظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

المبحث الثاني

ارتباط الإنفاق بالعبادات عموماً

جاء ذكر الإنفاق مقروناً بغيره من العبادات في مواضع كثيرة مختلفة الحثيات؛ من تصريح بلفظ العبادة، أو من غير تصريح؛ اكتفاءً بذكر أنماط متعددة من العبادات، تقل أحياناً، أو تكثر حتى تصبح حشداً من الأعمال الخيرة، وفي كل الأحوال يكثر ذكر الصلاة والزكاة معاً، في إشارة واضحة إلى قيمتهما كعبادتين متميزتين، ولكثرة ورودهما معاً خصص الباحث لبيان هذه العلاقة مبحثاً منفرداً، في حين قصر هذا المبحث على بيان المواضع التي اقترن فيها ذكر الإنفاق، وسائر العبادات الأخرى، من خلال الحثيات المشار إليها سابقاً.

أولاً : التصريح بلفظ العبادة :

جاء لفظ العبادة مصرحاً به في سياق واحد مع الصلاة والزكاة دون ذكر لسواهما من العبادات، كما في قوله تعالى في سورة البينة: (وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) (البينة: ٥) ، والاقتصار على الصلاة والزكاة يشير -أولاً- إلى قيمتهما، كما أن تقديم المسألة بهذه الصورة ودون تفصيل ، "يبين يسر وسهولة هذه العقيدة وبساطتها" (٥٠١)

كما جاء لفظ العبادة مصرحاً به متبوعاً ببيان محدود لبعض العبادات، والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة؛ مع الصلاة والزكاة، ومثال ذلك قوله سبحانه في سورة البقرة : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) (البقرة: ٨٣) ، والمتأمل في الآية يجد أنها بدأت "بأعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله تبارك وتعالى؛ أن يعبدوه وحده لا شريك له، ثم بعده حق المخلوقين وأكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين" (٥٠٢) ، "وناسب أن يأمرهم بأن يقولوا للناس حسناً؛ بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي، ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة" (٥٠٣) ، فمثلت الأولى عبادة الله، ومثلت الثانية الإحسان إلى الخلق. والآية وإن كانت تتحدث عن شريعة سابقة، إلا أنها تبين الترابط بين العبادة والصلاة والزكاة والإحسان إلى الناس قولاً وفعلاً، ثم إنها بيان لموقف بني إسرائيل من شريعتهم؛ لنحذر الوقوع في مثل ما وقعوا فيه، إضافة إلى ذلك فإن الله أمرنا بمثل هذه الشريعة، فقال سبحانه في سورة النساء: (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء: ٣٦).

(501) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٩٥٢ .

(502) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(503) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١١ .

وكمثال آخر على التصريح بالعبادة بعد ذكر الأعمال الصالحة؛ والتي منها الإنفاق، قوله تعالى في سورة الأنبياء: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء: ٧٣)، فبعد أن أوجزت الآية جوهر الرسالة التي يمارسها الأنبياء؛ "الشامل للخيرات كلها من حقوق الله وحقوق العباد، تبت بذكر الصلاة والزكاة، من باب عطف الخاص على العام، لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ولأن منكملهما كما أمر؛ كان قائماً بدينه، ومن ضيعهما كان لما سواهما أضيع" (٥٠٤)، ثم عقت بقوله: (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)، لتبين أنهم "استحقوا أن تكون العبادة وصفهم" (٥٠٥).

ثانياً: التصريح بأنماط متعددة من العبادات، والأعمال الصالحة:

وذلك على ضربين:

أ- أولهما: ذكر حشد من العبادات والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ومن بينها الإنفاق، ومن الأمثلة على ذلك:

١. قوله تعالى: (قُلْ أُوْنِبْنُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) (آل عمران: ١٥-١٧)، حيث يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل، ويأتي الإنفاق ضمن هذه الصفات؛ في إشارة واضحة إلى قيمته بين مختلف العبادات؛ من "إعلان الإيمان بالله والكتب والرسول، وطلب المغفرة والوقاية من النار، والصبر على القيام بالطاعات وترك المحرمات" (٥٠٦)، "والصدق بالأقوال والأحوال" (٥٠٧)، ودوام الطاعة مع مصاحبة الخشوع والخضوع، والاستغفار وقت الأسحار" (٥٠٨).

٢. وقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاولئك هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أولئك هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون: ١-١١)، وفيها "يقرر سبحانه الفوز والفلاح للمؤمنين، ثم يبين صفات المؤمنين الذين كتب لهم الفلاح" (٥٠٩)، ولعلك لاحظت ورود أداء الزكاة ضمن هذه الصفات، مما يؤكد الرابطة بين الإنفاق وغيره من العبادات،

(504) انظر: التيسير للسعدي، ص ٥٠٢.

(505) المرجع السابق، ص ٥٠٤.

(506) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٦٩٢.

(507) انظر: التيسير للسعدي، ص ١١٤.

(508) انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، المجلد الثالث، ج ٣، ص ١٨٥.

(509) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ٤، ص ٢٤٥٢.

وبالتالي يحفز كل نفس سوية نحو البذل والعطاء، خصوصاً مع التعقيب الواعد بأعلى الجنان، (أَوْلَيْكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).
 ٣. وقوله سبحانه: (إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٣٥) ، والمتأمل يجد فيه حشد من العبادات والأعمال الصالحة، الصادرة عن الرجال والنساء على حد سواء، ومن ضمنها التصدق الذي أخذ قيمته ومكانته في وسط هذا الحشد من الفضائل، التي أعد الله لأصحابها المغفرة والأجر العظيم .

٤. وكذلك قوله سبحانه: (فَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (الشورى: ٣٦-٣٩) ، وفي هذه الآيات عرض للصفات الأساسية للجماعة المسلمة، وإن ذكر الإنفاق كواحد من هذه الصفات؛ يعطي دلالة واضحة على دوره وقيمه وذلك من جانبيين، أولهما: أن "الآيات تعرض للصفات الأساسية الثابتة المميزة لطابع الجماعة المسلمة المختارة لقيادة البشرية، حتى أن صفة كالانتصار من البغي يرد ذكرها؛ مع أن الآيات مكية؛ والأمر الذي كان صادراً للمسلمين في مكة؛ هو أن يصبروا وألا يردوا العدوان بالعدوان، وذكر هذه الصفة هنا في آيات مكية بصدد تصوير طابع الجماعة المسلمة، يوحي بأن صفة الانتصار من البغي صفة أساسية ثابتة ؛ وأن الأمر الأول بالكف والصبر كان أمراً استثنائياً لظروف معينة، وأنه لما كان المقام هنا مقام عرض الصفات الأساسية للجماعة المسلمة، ذكر منها هذه الصفة الأساسية الثابتة، هذا جانب. والجانب الآخر، أن ذكر هذه الصفات في سورة مكية - وقبل أن تكون القيادة العملية في يدها- دليل على أنها الصفات التي يجب أن تقوم أولاً ، وأن تتحقق في الجماعة لكي تصبح بها صالحة للقيادة العملية" (٥١٠)، وهذا يؤكد على المكانة التي أولاها الإسلام لدور الإنفاق .

ب- والثاني: أن تكتفي الآية بذكر بعض هذه الأعمال الخيرة، كما في قوله سبحانه: (لَأَ خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: ١١٤) ، وقوله تعالى: (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(الحج: ٣٥) ، فالآية الأولى اكتفت بذكر الأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس، وربطت بينهما وبين الأمر بالصدقة، واعتبرت أن النجوى التي تخلو من هذه الثلاث لا خير فيها، "ولعل السر في إفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر؛ أن عمل الخير المتعدي إلى الناس إما لإيصال

المنفعة أو لدفع المضرة، والمنفعة إما جسمانية كإعطاء المال، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ) ، وإما روحانية، وإليه الإشارة بالأمر بالمعروف، وأما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله تعالى: (أَوْ إِصْلَاحَ بَيْنِ النَّاسِ) " (٥١١) .

والآية الثانية جاءت بين آيات تتحدث عن شعائر الحج، وسبقت مباشرة بقوله سبحانه: (... فَأَلْهَمَكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) (الحج: ٣٤) ، وهذا السياق يربطها برابطتين ؛ للإنفاق نصيب في كليهما، الأول : أنها "أتبعت صفة المخبتين - والتي من معانيها التواضع" (٥١٢) - بأربع صفات وهي: وجل القلوب عند ذكر الله، والصبر على الأذى في سبيله، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وكل هذه الصفات الأربع مظاهر للتواضع" (٥١٣) ، فالإنفاق مثلاً يجب أن يتحلى صاحبه بالتواضع، ويفتقد الضعفاء والمحتاجين، حاملاً الرأفة والحنان لهم قبل الطعام أو الكساء، وهذا لا يجيده إلا متواضع، ولا يُمنح التحلي به إلا لمخبت. والرابط الثاني: أن "أفعال الحج من نزع الثياب، والتجرد من المخيط، وكشف الرأس، والتردد في تلك المواضع الغيرة المحجرة، والتلبس بأفعال شاقة لا يعلم معناها إلا الله تعالى، مؤذناً بالاستسلام المحض والتواضع المفرط؛ حيث يخرج الإنسان عن مألوفه إلى أفعال غريبة، ولذلك وصفهم بالإخبات، والوجل إذا ذكر الله تعالى، والصبر على ما أصابهم من المشاق، وإقامة الصلوات في مواضع لا يقيمها إلا المؤمنون المصطفون، والإنفاق مما رزقهم" (٥١٤) .

ثالثاً : ارتباط الإنفاق بأعمال صالحة محددة:

ومن الملاحظ أن هناك أعمال معينة تكرر اقترانها بالإنفاق في أكثر من موضع منها:

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما جاء في آية سورة النساء التي سبقت قريباً، (...إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ...) وكما في قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٧١) ، وقوله سبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: ٤١) .

٢. ومن المعاني التي تكرر الربط بينها وبين الإنفاق، خلق الصبر، كما جاء في الآيات السابقة قريباً من سور آل عمران، والحج، والأحزاب، ففي الأولى: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ ...) ، وفي الثانية: (... وَالصَّابِرِينَ

(511) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(512) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٥ ، ص ٢٣٨٨ ، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المجلد ٦ ، ج ١٢ ، ص ٤٥ .

(513) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ٨ ، ج ١٧ ، ص ٢٦١ .

(514) انظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٦ ، ص ٣٤٢ .

عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)، وفي الثالثة: (...وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ...)، وإضافة إليها قوله سبحانه في سورة البقرة: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧) ، وقوله سبحانه في سورة الرعد: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) (الرعد: ٢٢).

٣. وكذلك اقترن ذكر الإنفاق بالأمر بطاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم، كما مر في الآيات السابقة من سورتي التوبة: (... وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...)، والشورى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)، وكما في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (النور: ٥٦)، وكذلك في قوله سبحانه: (وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب: ٣٣) ، وقوله سبحانه: (أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المجادلة: ١٣).

٤. ومن الأعمال الصالحة - أيضاً- التي جاء الحديث عنها مع الحديث عن الإنفاق؛ ذكر الله والدعاء، وتعتبر آية سورة الأحزاب وآية سورة آل عمران - اللتان تعرض لهما هذا المبحث - شواهد على هذا الاقتران، ففي آية سورة الأحزاب: يعرض سبحانه لصفة المتصدقين والمتصدقات ، كما يعرض لصفة الذاكرين الله والذاكرات ، وذلك في سياق واحد جمع كثيراً من صفات الخير كما مر قريباً ، فيقول سبحانه: (...وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)، وفي آية سورة آل عمران: يأتي الإنفاق مسبوقاً بالدعاء بالمغفرة، والوقاية من النار من ناحية، ومن ناحية أخرى متبوعاً بالاستغفار في السحر،

فيقول سبحانه: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) ، والاستغفار والدعاء من أبواب الذكر. وكشواهد أخرى على مجيء الإنفاق وذكر الله في سياق واحد، قوله تعالى في سورة النور: (رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور: ٣٧) ، وقوله تعالى في سورة السجدة: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦) ، وقوله سبحانه في سورة المزمّل: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المزمّل: ٢٠) وكذلك قوله تعالى في سورة غافر: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) (فاطر: ٢٩) ، وفي الآيتين الأخيرتين جاء الحث على تلاوة القرآن - وهي باب آخر من أبواب الذكر - مصحوباً بالأمر بالصلاة والإنفاق في سياق واحد .

رابعاً : الصدقة تجبر العبادة :

جاءت الصدقة لتجبر العبادة، وتعالج ما قد يعترئها من نقص، أو خلل في الأداء، وتتشابه في ذلك مع الصوم والنسك وعتق الرقاب، فقد قال سبحانه في سورة البقرة: (وَلَا تَحْلِفُوا رُؤُوسِكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَدَىٰ مِّن رَّأْسِهِ ففِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) (البقرة: ١٩٦) ، وقال سبحانه في سورة المجادلة: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ نُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ

شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (المجادلة: ٤، ٣).

خامساً : التعبير عن الإنفاق:

جاء التعبير عن الإنفاق في الآيات السابقة - والتي تعالج العلاقة بينه وبين العبادات- بلفظ الزكاة غالباً، كما في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٧) ، وأحياناً بألفاظ الإنفاق كما في قوله سبحانه: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦) ، وأحياناً أخرى بألفاظ مختلفة مثل: الصدقة والإيتاء للمال والقرض، ومثال الأول قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ) (النساء: ١١٤) ، ومثال الثاني قوله تعالى: (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ) (البقرة: ١٧٧) ، ومثال الثالث قوله تعالى: (فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) (المزمل: ٢٠) ، وكذلك جاء التعبير بلفظ الزكاة مع لفظ آخر من ألفاظ الإنفاق في سياق واحد، كما في المثالين الأخيرين.

المبحث الثالث

ارتباط الإنفاق بالصلاة خصوصاً

من أبرز العبادات التي اقترنت بالإنفاق الصلاة، خصوصاً مع الزكاة؛ باعتبارها الواجب من الإنفاق، وهذا المبحث محاولة لعرض هذه العلاقة، تأكيداً علي واحد من أساليب القرآن في الحث علي الإنفاق، وهو ربطه بغيره من القضايا الأساسية في شرعنا وديننا، كالإيمان والصلاة؛ مشعراً بمكانته بينها، بشارة للسباقين، وحثاً للراغبين، ودفعاً للمتردددين، واستيفاءً للهدف سيتم عرضها من خلال:

أولاً : بيان مواضع الاقتران بين الصلاة والإنفاق في القرآن :

وردت الصلاة بلفظ "الصلاة" في القرآن سبعاً وستين مرة، منها: ست وعشرون مرة جاءت مصحوبة بذكر الزكاة، ومنها ثماني مرات جاءت مصحوبة بأحد مشتقات الإنفاق، فأما ما جاء مصحوباً بلفظ الزكاة، فقد تم عرضها جميعاً في

مبحث سابق (٥١٥) ، ومن باب التمثيل على ذلك قوله تعالى في سورة النمل: (طس) تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (النمل: ١-٣) ، وقوله تعالى في سورة لقمان: (الم) * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (لقمان: ١-٤) ، وقوله تعالى في سورة الحج: (الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: ٤١) ، وقوله تعالى في سورة البقرة: (إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٧) ، وقوله تعالى في سورة المائدة: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: ٥٥) .
وأما ما جاء مصحوباً بأحد مشتقات الإنفاق، فهذا بيانه:

جاء لفظ الصلاة مصحوباً بلفظ "ينفقون" ، في خمسة مواضع، وهي قوله تعالى في سورة البقرة: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة: ٣) ، وقوله تعالى في سورة الأنفال: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الأنفال: ٣) ، وقوله تعالى في سورة التوبة: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) (التوبة: ٥٤) ، وقوله تعالى في سورة الحج: (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الحج: ٣٥) ، وقوله تعالى في سورة الشورى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الشورى: ٣٨) .

وجاء لفظ الصلاة مصحوباً بلفظ "أنفقوا" مرتين، الأولى في قوله تعالى من سورة الرعد: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (الرعد: ٢٢) ، والثانية في قوله تعالى من سورة فاطر: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) (فاطر: ٢٩) .

وجاء لفظ الصلاة مصحوباً بلفظ "ينفقوا" مرة واحدة في قوله تعالى من سورة إبراهيم: (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ) (إبراهيم: ٣١) .

وفي المقابل فقد وردت الزكاة في القرآن اثنتان وثلاثون مرة، كما سبق أن بين الباحث (٥١٦) ، وذكر في حينها أن منها موضعين ليسا بمعنى الزكاة المعروفة شرعاً؛ بل المقصود بهما الطهارة والأفضلية، وهذان الموضعان لم يرد معهما لفظ الصلاة، وعلى هذا يبقى ثلاثون موضعاً جاء فيها لفظ الزكاة بمعناها الشرعي، والذي يلفت الانتباه - ويؤكد ما نحن بصدد - أن ستة وعشرين موضعاً من هذه الثلاثين

(515) انظر : مبحث إنفاق المال من الباب الثاني ، ص ٧٤ .

(516) انظر : مبحث نظائر الإنفاق المعنى والاشتقاق من الباب الأول ، ص ٢١ ، ومبحث إنفاق المال من

جاءت مصحوبة بلفظ الصلاة، وهي المشار إليها سابقاً في أول الحديث، وموضعاً من المواضع الأربعة الباقية؛ جاء مصحوباً بلفظ "صلاتهم" و"صلواتهم" في سياق واحد، وهو قوله تعالى في سورة المؤمنون: (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) (المؤمنون: ٤)؛ المسبوق بقوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون: ٢)؛ والمتبوع بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المؤمنون: ٩)، وهذا يعني أن الغالبية العظمى من ألفاظ الزكاة جاءت مصحوبة بلفظ الصلاة.

وبالإمكان الوصول إلى نتيجة مقاربة إذا تتبعنا ألفاظ الصلاة التي جاءت بصيغ أخرى، فنجد أنه وردت الصلاة بصيغة المفرد مضافة إلى ضمير المخاطب بلفظ "صلاتك" ثلاث مرات، ومضافة إلى ضمير المفرد الغائب بلفظ "صلاته" مرة، وإلى ضمير الجمع الغائب بلفظ "صلاتهم" ست مرات، وإلى ضمير المتكلم بلفظ "صلاتي" مرة. ووردت بصيغة الجمع أي: "صلوات" أربع مرات، وبصيغة الجمع للغائب أي: "صلواتهم" مرة، وبصيغة الجمع لاسم الفاعل أي: "المصلين" ثلاث مرات، وبصيغة اسم المفعول أي: "مصلين" مرة، فهذه في مجموعها عشرون مرة بمختلف الصيغ، منها ستة مواضع ليست بمعنى الصلاة المعروفة شرعاً، فيتبقى أربعة عشر موضعاً، جاء منها موضعان مصحوبان بلفظ الزكاة، وهما ما سبق ذكرهما في سورة "المؤمنون"، وتسعة مواضع مصحوبة بما يفيد معنى الإنفاق، وفيما يلي بيانها:

١. قوله تعالى في سورة المدثر: (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ) (المدثر: ٤٤، ٤٣)، فكان من أسباب دخولهم النار، عدم الصلاة وعدم إطعام المسكين.

٢. قوله تعالى في سورة الأنفال: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٣٦، ٣٥)، فعاب الله عليهم صلاتهم الفاسدة، وإنفاقهم الفاسد.

٣. قوله تعالى في سورة التوبة: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (التوبة: ١٠٣).

٤. قوله تعالى في سورة هود: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود: ٨٧).

٥. أما الموضع الخامس والسادس فجاء في سياق واحد في سورة الماعون في قوله تعالى: (فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) (الماعون: ٢-٥).

٦. أما الموضع الثلاثة الباقية فقد جاءت في سياق واحد في سورة المعارج في قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (المعارج: ١٩-٢٥)، ثم أكمل صفات المميزين

من بني الإنسان، فذكر منها المحافظة على الصلاة؛ في قوله من نفس السورة وذات السياق: (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (المعارج: ٣٤).

وهذا يعني أن الغالبية العظمى من مشتقات الصلاة جاءت مصحوبة بما يفيد معنى الإنفاق.

ثانياً: بيان أوجه العلاقة بين الصلاة والإنفاق في القرآن :

واضح من العرض السابق كثرة المواضع التي ارتبطت فيها الزكاة والإنفاق بالصلاة ، وفي هذا دلالة لا تخفي على مدى العلاقة بينهما ؛ والتي يمكن بيانها في النقاط التالية^(٥١٧):

١ . تأثير الطهارة النابع من كليهما، فالصلاة طهارة للبدن ، والزكاة طهارة للمال والبدن.

٢ . معنى الشكر الموجود فيهما، فالصلاة شكر لنعمة البدن، والزكاة شكر لنعمة المال.

٣ . حق الله المتمثل فيهما، فإن أعظم ما لله على الأبدان من الحقوق الصلاة، وفي الأموال الزكاة.

٤ . علاقة إحداهما بالمعبود والأخرى بالعبيد، "فإن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان إلى العبيد"^(٥١٨) ، ولهذا عندما يصف سبحانه المؤمنين من عباده بيبين أنهم: "أحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة"^(٥١٩) . "وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال، فإن الصلاة حق الله وعبادته والإنفاق هو من الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم"^(٥٢٠) ، ولهذا عندما تكلم عيسى - عليه السلام- في المهدي، ألهمه الله أن يخبر بأبرز وصايا ربه؛ والتي على رأسها الصلاة والزكاة، إذ فيهما يتمثل حق الله وحق عبده، وبهما كانت الوصية، فقال سبحانه ذاكراً ما تحدث به عيسى عليه السلام في المهدي: (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

(517) انظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(518) التيسير للسعدي ، ص ٣٥ .

(519) المرجع السابق ، ص ٥٢٤ .

(520) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

وَالزَّكَاةَ مَا دُمْتُ حَيًّا) (مريم: ٣١) ، " فأوصاه بالقيام بحقوقه ، التي من أعظمها الصلاة ، وحقوق عباده التي أجلها الزكاة مدة حياته " (٥٢١) .

٥. شرف وفضل كليهما على سائر العبادات، فغالباً ما يخص "إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر من جملة العبادات؛ لكونهما الركنتين العظيمين فيما يتعلق بالأبدان والأموال " (٥٢٢) ، " فمن كملهما كما أمر؛ كان قائماً بدينه، ومن ضيعهما؛ كان لما سواهما أضيع " (٥٢٣) ، وهما " قرينتا الإيمان ، وقطرا العبادات البدنية والمالية ، مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة " (٥٢٤) .

٦. ثمرة الصلاح الناتجة منهما، فكلاهما تثمر صلاحاً؛ إن كان على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، "فبالصلاة صلاح النفس؛ إذ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبالزكاة صلاح المجتمع لكفاية عوز المعوزين" (٥٢٥) .

ثالثاً: بيان ثمرة العلاقة بين الصلاة والإنفاق في القرآن :

إن المتدبر في أوجه العلاقة بين الصلاة والزكاة - بشكل خاص- وبين الصلاة والإنفاق - بشكل عام- يتبين له مدى الترابط بين هاتين العبادتين، مما يجعل إبراز هذه العلاقة، والتأكيد عليها، واحداً من أساليب القرآن في الحث على الإنفاق، والترغيب فيه، وإمعاناً في هذا الأسلوب تجد أنه في معرض الحديث عن الصفات المحمودة والمرغب فيها، تأتي الصلاة وقرينتها الزكاة على رأس هذه الصفات. وكذلك الحال عند الحديث عن الصفات السلبية والمواقف المرفوضة، تجد أن عدم إقامة الصلاة أو التكاثر فيها، وعدم الإنفاق ومنع الزكاة أو التردد في إخراجها -حتى يكره الواحد منهم عليها- صفات متلازمة لأصحاب تلك المواقف المنبوذة، وهي من ضمن الصفات المنهي عنها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمثال الأول من مجيء كليهما ضمن صفات المدح المرغب فيها، قوله تعالى معدداً ومحددات لصفات المتقين المهتدين بالقرآن: **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)** (البقرة: ٢ ، ٣) ، وقد مر في المبحث الأول من هذا الفصل الحديث عن هذه الآية (٥٢٦) ، وقوله سبحانه موجهاً بني إسرائيل لما

(521) التيسير للسعدي ، ص ٤٦٩ .

(522) فتح القدير للشوكاني ، ص ٧١٨ .

(523) التيسير للسعدي ، ص ٥٠٣ .

(524) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ٥ ، ص ٦٨ .

(525) تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ، المجلد ٨ ، ج ١٧ ، ص ١١١ .

(526) انظر : مبحث ارتباط الإنفاق بالإيمان من هذا الباب ، ص ١٨٣ .

فيه صلاح أمرهم: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون * وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون * وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ) (البقرة: ٤٠-٤٣) فجاء الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ضمن هذه التوجيهات، وكرر ذلك عندما بين العهد والميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل، والذي أثبت فيه مسألة الصلاة والزكاة المتلازمتين فقال سبحانه: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (البقرة: ٨٣) ، وعندما بدأ يعدد خصال البر التي يجب الأخذ بها - لا غيرها- كان الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ضمن هذه الخصال، ثم ختم كل هذا ببيان الأجر والثمرة، فوصف من تخلق بها بالصدق والتقوى فقال سبحانه: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٧) ، و عندما قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٧) مقررأ أن طائفة من عباده تحقق لهم الأمن، إذ "لهم أجرهم الموعود، دون خوفٍ من مكروه آتٍ ، ولا حزنٍ على محبوبٍ فات" (٥٢٧) ، تجد أن الصلاة و الزكاة اقترنتا معاً؛ لتشكلا جزءاً من صفات هذه الطائفة، بل تشكلا جزءاً هاماً وأساسياً، فعندما ذكر عمل الصالحات، خص الصلاة والزكاة "بالذكر مع اندراجهما في الصالحات؛ لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة" (٥٢٨) ، وعندما قصر مسمى المؤمنين على من تحلى بصفات معينة ، كانت إقامة الصلاة والإنفاق من رزق الله من هذه الصفات، فأكرم به من وصف،

(527) انظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

(528) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

وأنعم به من ارتباط ، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٢-٤) ، وكذلك قوله تعالى في مطلع سورة النمل: (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) (النمل: ١-٣) ، وقوله تعالى في مطلع سورة لقمان: (الم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (لقمان: ١-٥) ، والشواهد في القرآن كثيرة، وقد تم استعراض أغلبها في مبحث سابق، وخصوصاً ما جاء منها مصرحاً بلفظ الزكاة (٥٢٩).

ومثال الثاني من اتصاف كل صاحب خلق مذموم وموقف مشين بالتخلي عن الصلاة والزكاة ، قوله تعالى في سورة الأنفال: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٣٦، ٣٥) ، فبين سبحانه أن صلاتهم لم تكن صلاة حقيقية ، ولا يعتد بها ، وأن إنفاقهم للأموال ليس في وجهه الصحيح ، بل على النقيض تماماً ، إذ إنه في الصد عن سبيل الله ، وهذا يدل على أمرين أولهما: أن الأعمال التي يعتد بها – بعد الإيمان- ولها اعتبار، وتحسب لصالح صاحبها ، وبها يُقِيمُ الناس ، هي الصلاة والإنفاق ، ولهذا ناقشت الآية هاتين المسألتين ، الصلاة والإنفاق ، لبيان الاعتبار التي بناءً عليها ؛ يتحدد الموقف من الآخرين ؛ والذين تمثلوا حينها في مشرقي قريش ، فقد سُبقت هاتان الآيتان بقوله تعالى: (وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الأنفال: ٣٤).

والأمر الثاني: أن فساد هاتين المسألتين -أو أحدهما- عند شخص ما؛ يسقطه من حسابات الخير، وتأمل التعقيب الإلهي على قضية الصلاة، وهو قوله سبحانه: **(فُدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)**، وتأمل التعقيب الإلهي على قضية الإنفاق، وهو قوله سبحانه: **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ)**.

وعند الانتقال إلى السورة التالية بعد الأنفال -وهي سورة التوبة- تجد الموقف من المشركين قاطبة قد اتضحت صورته، كما سبق أن بين الباحث^(٥٣٠)، والذي يستدعي الانتباه والتدبر أن الصلاة والزكاة -مع التوبة عن سابق فعلهم- كانتا بشكل واضح هما الفيصل في تحديد المواقف، فقال سبحانه: **(فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ)** (التوبة: ٥)، وبعدها آيات خمس، أكد المعنى ذاته فقال سبحانه: **(فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)** (التوبة: ١١)، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى ما سبق بيانه من موقف الصديق رضي الله عنه بخصوص مانعي الزكاة^(٥٣١).

ومما يؤكد ما يرمى إليه الباحث - من أنه كما يوصف كل صاحب خلق جميل، بإقامة الصلاة، وأداء النفقات، يوصف كل صاحب خلق فاسد؛ بالتهاون في الصلاة والإنفاق- قوله تعالى: **(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِن كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارَهُونَ)** (التوبة: ٥٤، ٥٣)، فمن أسباب عدم قبول أعمالهم؛ التكاثر في أداء الصلاة، والامتناع عن الإنفاق؛ بل عدم توفر الرغبة فيه؛ إلا تحت الإكراه، وتدبر قوله سبحانه قبل أن يبين هاتين الصفتين من التكاثر في الصلاة والامتناع من الإنفاق: **(إِن كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ)**، فتأمل هذا الاقتران الوثيق بين الصلاة والإنفاق.

وعندما يبين سبحانه سبب وجود المجرمين في سقر، وينقل جوابهم، نجد أن الآيات تذكر على رأس الأسباب عدم اندراجهم في سلك المصلين، وعدم إطعامهم للمسكين، فسلكوا في سقر؛ وقوداً وطعاماً لها، كما قال سبحانه: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ)** (المدثر: ٤٢-٤٤)، " فلا إخلاص للمعبود ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين"^(٥٣٢). وكذلك عندما بين سبحانه وتعالى صفات المكذب بالبعث والجزاء، عد منها عدم الحث على إطعام المسكين، فمن " لا يحض غيره على إطعام المسكين، فكيف له أن يطعمه بنفسه؟ . وعد منها التهاون في الصلاة، فهم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها"^(٥٣٣)، فقال سبحانه: **(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)** (الماعون: ١-٥).

(530) انظر : مبحث إنفاق المال من الباب الثاني ، ص ٨٨ .

(531) انظر : مبحث إنفاق المال من الباب الثاني ، ص ٨٨ .

(532) التيسير للسعدي ، ص ٨٥٢ ، ٨٥٣ .

(533) انظر : المرجع السابق ، ص ٨٨٧ .

وخلص القول في هذه المسألة: إن هذا الارتباط الذي أكدته الآيات السابقة ،
وبين العرض المتقدم وجوهه، وثمرته، واحد من أساليب الحث على الإنفاق؛ التي
ترسمها لنا منهجية القرآن العظيم في ترغيب النفوس نحو الإنفاق، فما دامت الصلاة
- تلك العبادة التي فرضت في السماء ، دون غيرها من العبادات؛ لشأنها العظيم-
ارتبطت بها الزكاة والإنفاق ؛ فهذا دليلٌ بينٌ واضحٌ على قيمة الأخيرين ، وعلو
شأنهما ؛ سواءً الزكاة كفرض واجب ، أو الإنفاق كعبادةٍ مندوبة .

الفصل الرابع

الحث على الإنفاق بضرب الأمثال وذكر القصص

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الحث على الإنفاق بضرب الأمثال
المبحث الثاني : الحث على الإنفاق بذكر القصص

الفصل الرابع

الحث على الإنفاق بضرب الأمثال وذكر القصص

توطئة :

من أساليب القرآن الكريم ضرب الأمثال، وإيراد القصص، لما لكليهما من تأثير في النفوس، وتقريب للفكرة، وتوضيح للمعنى المراد، فالتمثيل "يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، بتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وقياس النظير على النظير" (٥٣٤) ، "وإنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب" (٥٣٥) ، وبين سبحانه ذلك في كتابه العزيز، فقال تعالى: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) (الحشر: ٢١) ، وقال سبحانه: (**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (الزمر: ٢٧) فإله عز وجل يضرب الأمثال للناس؛ لتكون مجالاً للتدبر والتفكير، وبين كذلك أنها تحتاج إلى من يعقلها، فلا "يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتزلعون منه" (٥٣٦) ، فقال سبحانه: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**) (العنكبوت: ٤٣) . والقصص القرآني له تأثيره البارز، "فمما لاشك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف: وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر" (٥٣٧) ، وتأمل التعبير القرآني تعقياً على قصة يوسف عليه السلام، وهو يؤكد دور العبرة الكامن في القصص: (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ**) (يوسف: ١١١) ، وقال سبحانه: (**فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) (الأعراف: ١٧٦) ، ومما يتميز به القصص القرآني أنه حوادث حقيقية؛ فالآية السابقة من سورة يوسف يقول فيها المولى عز وجل: (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) (يوسف: ١١١) ، ويؤكد ذلك قوله سبحانه في سورة آل عمران: (**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**) (آل عمران: ٦٢) ، وقال سبحانه في سورة الكهف؛ مؤكداً حقيقة القصص القرآني: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**) (الكهف: ١٣) .

(534) مباحث في علوم القرآن ، لمناع خليل القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٩ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص

(535) الكشف للزمخشري ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(536) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٦ ، ص ٢٦٩٧ .

(537) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص ٣١٠ .

وكذلك فإن ضرب الأمثال وذكر القصص من أساليب السنة النبوية، ومن الأمثلة على ذلك في مجال ضرب الأمثال، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه (٥٣٨) قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٥٣٩). وفي مجال القصص ما رواه الإمام البخاري في صحيحه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فاتحدت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ... الحديث) (٥٤٠).

والإنفاق كقضية أساسية؛ نجد أن القرآن اعتمد في الحث عليها - إضافة إلى ما سبق من أساليب - على ضرب الأمثال وذكر القصص، لما سبق بيانه من أهميتها ودورها المؤثر، "فكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالاً ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له واقتناع العقل به" (٥٤١) ، وقل مثل ذلك بخصوص القصص ، وفي المبحثين التاليين ، محاولة لبيان هذا الأسلوب القرآني في الحث على الإنفاق.

(538) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله : أمير ، خطيب ، شاعر من أجلاء

الصحابية من أهل المدينة توفي سنة ٦٥هـ ، انظر : الأعلام للزركلي ، ج ٨ ، ص ٣٦.

(539) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلوة والآداب ، باب رقم ١٧ ، تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم ٢٥٨٦ ، ص ١٠٤١ .

(540) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة ، باب رقم ١٢ ، من استأجر أجيراً فترك أجره ... ، حديث رقم ٢٢٧٢ ، ص ٤٢٣ .

(541) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص ٢٨١ .

المبحث الأول الحث على الإنفاق بضرب الأمثال

من أبرز الآيات التي عالجت مسألة الإنفاق من خلال أسلوب ضرب الأمثال؛ مجموعة من الآيات جاءت في أواخر سورة البقرة وهي:

أولاً : قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١) ، والمثل المضروب في هذه الآية يعالج مسألة مضاعفة الأجور، ويصورها بصورة حسية مشاهدة، تعرض "الأضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر" (٥٤٢) ، وذلك عندما "صور الذين ينفقون أموالهم كممثل زارع زرع في الأرض حبة، فأنبتت الحبة سبع سنابل، كل سنبله تحمل مائة حبة، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة" (٥٤٣) ، وهذا "أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة" (٥٤٤) ، ثم كان التعقيب بقوله تعالى: (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ)، فيعطي المضاعفة مدى غير محدود، ليجتهد المنفقون في تحصيل أجور أكثر، فيتقننوا في ذلك تفنن الزراع في تحسين ثمار زرعهم، "فمثل المتصدق مثل الزارع، إن كان حاذقاً في عمله، وكان البذر جيداً، وكانت الأرض عامرة، كان الزرع أكثر، فكذلك المتصدق، إذا كان صالحاً، والمال طيباً، ويضعه موضعه، فيصير الثواب أكثر" (٥٤٥) ، ثم إن للمضاعفة غير المحدودة بعداً آخر، إذ "أن بعض طرق الخيرات يترتب على الإنفاق فيها منافع متسلسلة، ومصالح متنوعة، فكان الجزاء من جنس العمل" (٥٤٦) ، فتأمل ما يمنحك إياه هذا المثل من معاني مؤثرة في مسألة واحدة، لتعلم أن فيه "حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله" (٥٤٧) .

(542) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(543) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(544) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٣٥ .

(545) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ .

(546) التيسير للسعدي ، ص ١٠٥ .

(547) انظر : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

ومع أنه "مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف" (٥٤٨) ، إلا أنه - كأسلوب القرآن في معالجة أكثر من قضية من خلال المسألة الواحدة- يعالج قضايا أخرى، فبمجرد الاستماع لهذا المثل القرآني، يتبادر إلى ذهنك ومخيلتك معاني الجمال والجلال، الجمال بما ترسمه الآية من منظر الخضرة اليانعة، والزرور المثقلة بسنابل الخير، مما يبعث في النفس راحة وطمأنينة، ارتبطت دوماً بمشاهد الطبيعة الصافية. والحقيقة التي تبرز من خلال هذا الفهم، عظم شأن الإنفاق عند الله، حتى تعرضه الآيات بهذه الصورة الجميلة الزاهية؛ التي تنبعث منها الحياة، وذلك أنه إذا "كان المتمثل له عظيماً؛ كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً؛ كان المتمثل به كذلك ... ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج؛ كيف تمثل له بالضياء والنور؟! وإلى الباطل لما كان بصد صفته كيف تمثل له بالظلمة؟! " (٥٤٩) فقال سبحانه: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) (البقرة: ١٧، ١٦) ، وقال أيضاً: (أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ١٢٢) ، وقال سبحانه: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ..) (النور: ٣٥) ، وقال أيضاً: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (النور: ٤٠، ٣٩). وفي المقابل "لما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى؛ لا حال أحقر منها وأقل ... جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن" (٥٥٠) ، فقال سبحانه: (مِثْلُ

(548) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٣٥ .

(549) الكشاف للزمخشري ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(550) الكشاف للزمخشري ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (العنكبوت: ٤١) .

ومن العرض السابق نفهم أنه لما كان للإنفاق قيمة عظيمة، ومكانة مميزة، نال هذا المثل المؤثر الجميل.

أما الجلال فتلمسه في حركة الحياة التي يصورها لك المثل المضروب؛ من خلال الإنبات والنمو والازدياد المطرد، فالمثل يقدم لك مظهراً من مظاهر قدرة الله على الإحياء والبعث، إذ أن الإنبات دليلٌ ساقه القرآن دوماً للدلالة على قدرة الله وعظمته جل شأنه، وعرضه كدلالة واضحة على البعث، ألم ترَ إلى قوله سبحانه: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الحج: ٥٦)، ولما تعجب الكفار من إمكانية البعث بعد الموت والبلوى، واعتبروا ذلك بعيد الحدوث، أثبت لهم القرآن ذلك من خلال مشاهد الكون التي إحداها مشاهد الإنبات، فقال سبحانه: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ) (ق: ٦-١١) ، "واستدعاء النفقة في سبيل الله مذكر بالبعث، وحاض على اعتقاده، لأنه لو لم يعتقد وجوده لما كان ينفق في سبيل الله، وفي تمثيل النفقة بالحببة المذكورة إشارة أيضاً إلى البعث، وعظيم القدرة، إذ حبة واحدة يخرج الله منها سبعمائة حبة، فمن كان قادراً على مثل هذا الأمر العجيب، فهو قادر على إحياء الموات" (٥٥١) ، والذي يؤكد هذا المنحى في التفكير؛ ورود مثل الإنفاق مباشرة بعد سؤال سيدنا إبراهيم -عليه السلام- حول قضية البعث في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: ٢٦٠) ، إضافة إلى ذلك "فإن التعقيب بالإنفاق بعد الحديث عن البعث؛ ليؤكد دور الأول في تحقيق النفع والنجاة يوم البعث" (٥٥٢) ، (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا) (آل عمران: ٣٠) ، ولك أن تتأمل قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة: ٢٥٤) .

ثانياً : قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٦٤) ، والمثل المضروب في هذه الآية يصور تأثير المن والأذى

(551) البحر المحیط لأبي حیان الأندلسي ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

(552) انظر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

المالحق للصدقة السابقة له، ويكتفي الباحث في هذا المثل والأمثال اللاحقة ببيان دورها في عرض قضية المن والأذى، وتصويرها بما يحقق الغاية والمراد، تاركاً عرض و تحليل مسألة المن والأذى لمبحثها الخاص^(٥٥٣)، والملاحظ في هذا المثل أنه شبه المانّ المؤذي بصدقته كالمرائي في بطلان صدقاتهما، "فالأول: تبطل صدقته بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى، والثاني: بطلت صدقته منذ البداية لأنه رأى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة؛ ليشكر بين الناس، أو يقال إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية؛ مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه"^(٥٥٤)، بدليل وصف الله له في قوله سبحانه: (وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، فاعتبر "الذي يمن ويؤذي بصدقته كالذي ينفق ماله رياء الناس لا لوجه الله تعالى، ثم مثل لكليهما بصفوان -أي: حجر كبير أملس- عليه تراب، فيظنه الظان أرضاً منبثة طيبة، فإذا أصابه وابل^(٥٥٥) من المطر أذهب عنه التراب وبقي صلداً، فكذلك هذا المرائي. فالمن والأذى والرياء تكشف عن النية في الآخرة، فتبطل الصدقة كما يكشف الوابل عن الصفوان"^(٥٥٦)، وبهذا تلاحظ أن الآية "شبهت المانّ المؤذي بشيئين أحدهما: بالذي ينفق ماله رياء الناس، والثاني: بصفوان عليه تراب"^(٥٥٧)، فإذا سألت عن العلة في هذا التشبيه الثنائي، تدرك من الجواب قيمة المثل في إبراز المعنى وتحقيق المراد، ذلك أنه عندما يقرن الله بينهما؛ يدرك المنفق بدهاءه مصير صدقته المتبوعة بالمن والأذى، لما لا يخفي عليه من مصير صدقة المرائي، إذ "أن إبطال نفقة هذا المرائي الكافر أظهر من بطلان أجر صدقة من يتبعها بالمن والأذى"^(٥٥٨)، فشبهها بأمر واضح جلي ليتضح لصاحبها ما قد يكون خفي عليه فيحذر، وعندما يشبه كليهما بالصفوان الذي عليه تراب؛ تتضح حقيقة كل واحد منهما على حدة، وتساهم في زيادة صورة الآخر وضوحاً، فالمن والأذى يزيلان الصدقة، فلا يبقى لها أثر، كما أزال المطر التراب من فوق الحجر الأملس، وصدقة المرائي يظنها الناس شيئاً ويخدعون بها، ويرون "أن له أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة اضمحلت وبطلت، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب"^(٥٥٩)، هذا بيان حقيقتهما كل على حدة. أما مساهمتها في زيادة الصورة إيضاحاً من خلال اقترانها؛ فذلك "أن التراب إذ وقع على الصفوان لم يكن ملتصقاً به، ولا غائضاً فيه، فهو في مرأى العين متصل، وفي الحقيقة

(553) انظر : الباب الرابع مبحث أشكال من الإنفاق المردود ، ص ٢٣١ .

(554) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٣٨ .

(555) الوابل : المطر الشديد الضخم القطر ، انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ، مادة وبل ج ١١ ص ٨٦٠ .

(556) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(557) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

(558) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

(559) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج ٢ ، ص ٣٢١ .

منفصل، فكذا الإنفاق المقرون بالمن والأذى، يرى في الظاهر أنه عمل بر، وفي الحقيقة ليس كذلك، تماماً كنية المرابي الفاسدة المفترنة بصدقته؛ حالت دون ترتب الأجر عليها" (٥٦٠).

ثالثاً: قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكْثَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٦٥)، وفي هذا المثل أيضاً يعالج تأثير المن والأذى والرياء على الصدقة؛ من طريق أن خلوها من هذه العلة كفيل بقبولها وتعاطمها، "فشبه النفقة - الصادرة عن إيمان وإخلاص تام، والمبتغى بها وجه الله وتحقيق الثواب - مثل جنة بمكان مرتفع ظاهر للشمس والرياح المحملة بالأمطار، فإن أصابها من ذلك مطر غزير أنتجت إنتاجاً مضاعفاً، وإن لم يصبها المطر الغزير أصابها حتماً منه رذاذ؛ يكفي لأن تثمر ثمراً مقبولاً لطيب منبتها، وحسن أرضها، وحصول جميع الأسباب الموفرة لنموها وازدهارها وإثمارها" (٥٦١). ويبرز دور المثل في دقة التصوير لحالة هذا النوع من المنفقين المتميزين بإرادة وجه الله بإنفاقهم، فميزهم سبحانه بالنتائج المتنوعة، وذلك أن "عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره وينميه، كل عامل بحسبه، فصوره القرآن كمثل جنة بهذه الربوة، لا تحمل أبداً؛ لأنها إن لم يصبها وابل أصابها طل" (٥٦٢)؛ وأياً ما كان فهو كفايتها" (٥٦٣)، الطلّ: المطر الضعيف أو أخف المطر وأضعفه أو الندى أو فوقه ودون المطر "إن أصابها الطل حسنت، وإن أصابها الواابل أضعفت، وكذلك نفقة المؤمن المخلص" (٥٦٤) وهذا "التفاوت في النتائج والثمر ما بين القلة والكثرة - باعتبار ما أصابها من المطر القليل والكثير - إنما هو تصوير دقيق لحال الإنفاق المتراوح ما بين النفقة القليلة والكثيرة" (٥٦٥)، المتوج بالنية الصالحة، ثم إن إيراد المثل بهذا التصوير، فيه حث وترغيب على الإنفاق الخالي من أي شبهة رياء، إذ أن "الجنة التي على هذا الوصف، هي أعلى ما يطلبه الناس، فهذا العمل الفاضل بأعلى المنازل" (٥٦٦)، ويحتاج إلى تشمير وأي تشمير.

رابعاً: قوله تعالى: (أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة: ٢٦٦)، وفي هذا المثل أيضاً يتعرض لقضية المن والأذى ببيان تأثيرها الماحق للصدقة، وسوء

(560) انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٢.

(561) انظر: التيسير للسعدي، ص ١٠٥.

(562) الطلّ: المطر الضعيف، أو أخف المطر وأضعفه، أو الندى أو فوقه ودون المطر، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة طلّ، ج ١١ ص ٤٨٤.

(563) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٦٣٩.

(564) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٣٢٢.

(565) انظر: فتح القدير للشوكاني، ص ٢٤٥.

(566) التيسير للسعدي، ص ١٠٥.

خاتمتها وخاتمة صاحبها، فشبّه ضياع أجرها في الآخرة كضياع مجهودات "رجل غرس بستاناً، فأكثر فيه من الثمر، فلما كبر -وذريته ضعفاء- اعتمد في معيشتهم ومعيشة ذريته على ذلك البستان، فأرسل الله على بستانه ريحاً فيها نار فأحرقته، ولم يكن عنده قوة فيغرسه ثانية، ولم يكن عند بنيه خير فيعودون على أبيهم" (٥٦٧) ، والمثل يساعد في توضيح عمق الهوة التي يتردى فيها من يتبع إنفاقه أمراً مبطلاً من مَنْ أو أذى، فيصور الفاجعة التي تلم بمن هذه صفته أفضع تصوير، وذلك "أن تلفها دفعة واحدة بعد زهاء أشجارها، وإيناع ثمارها، مصيبة كبرى، ثم حصول هذه الفاجعة - وصاحبها كبير قد ضعف عن العمل، وله ذرية ضعفاء، لا مساعدة منهم له، ومؤنتهم عليه - فاجعة أخرى" (٥٦٨) ، فتخيل هذه الصورة للإعصار المدمر بعد جنة النخيل والأعناب والأنهار، ولا تنسى إطارها العام من كبر السن وضعف الذرية، ولك أن تتخيل تأثير هذه الصورة على أحاسيس نفس حساسة، التأثير "الذي لا يدع مجالاً للتردد في الاختيار قبل أن تذهب فرصة الاختيار، وقبل أن يصيب الجنة الوارفة الظليلة المثمرة إعصار فيه نار" (٥٦٩) ، حينها يزداد وضوحاً مدى فعالية أسلوب ضرب الأمثال في معالجة كثير من النفسيات وتهذيبها.

وتعقيباً على ما مر من أمثال عرضتها آيات سورة البقرة ، تجد أنه في الآيات الثلاث الأخيرة ضرب الله ثلاثة أمثلة: "للمنفق ابتغاء وجهه ولم يتبع نفقته مناً ولا أذى، ولمن أتبعها منا وأذى، وللمرائي" (٥٧٠) ، وذلك من خلال مشاهد تبين تأثير المن والأذى على الصدقة، ليحذره العاملون فلا تضيع صدقاتهم في وقت هم أحوج ما يكونون إلى أجرها، **فالأول**: يحذر بتشبيهه عاقبة المن والأذى على الصدقة كعاقبة نفقة المرائي، **والثاني**: يبشر ببيان ثمرة النفقة الخالصة لوجه الله، **والثالث**: يحذر ببيان سوء الخاتمة، ثم "إن التناسق الدقيق الجميل الملحوظ في تركيب كل مشهد على حدة، وفي طريقة عرضه وتنسيقه هذا التناسق، لا يقف عند المشاهد فرادى، بل إنه ليمد رواقه فيشمل المشاهد متجمعة من بدئها إلى منتهاها، إنها جميعاً تعرض في محيط متجانس، محيط زراعي (حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ) ، (صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) ، (جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ) ، (فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ) ، (جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) ، حتى الواابل والطل والإعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير" (٥٧١) ، "وهذه الأمثال الثلاثة، تنطبق على جميع العاملين ، فليزن العبد نفسه وغيره بهذه الموازين العادلة ، والأمثال المطابقة " (٥٧٢) ، (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت: ٤٣) .

(567) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .

(568) التيسير للسعدي ، ص ١٠٦ .

(569) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(570) التيسير للسعدي ، ص ١٠٥ .

(571) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(572) التيسير للسعدي ، ص ١٠٦ .

خامساً : قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: ١١٧، ١١٦) ، وترى في هذه الآيات وصفاً لمال نفقات الكفار في الصد عن سبيل الله، وصفاً شاخصاً عاصفاً، يصور "نفقة الكافرين في بطلانها وذهابها وعدم منفعتها؛ كمثل زرع أصابه ريح باردة، أو نار فأحرقته وأهلكته، فلم ينتفع أصحابه بشيء بعدما كانوا يرجون فائدته ونفعه" (٥٧٣) ، وفي هذا بيان "أن الأموال التي تنفق لغير وجه الله لن تغني أصحابها، ولن تجلب لهم نفعاً؛ بل على العكس تماماً تجلب غضب الله وسخطه، والعقوبة عن سخط أشد وأفظع" (٥٧٤) .

وخلاصة القول في هذه المسألة: إن ضرب الأمثال واحد من أساليب الحث على الإنفاق، تناولته آيات القرآن الكريم لبيان جوانب متعلقة بالإنفاق، وذلك من خلال الصور التي يعرضها المثل، فدعت إلى الإنفاق ورغبت فيه بصور مبهجة تثير الدافعية نحو البذل والعطاء ، كما في المثلين المضروبين في قوله سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ... (البقرة: ٢٦١) ، وقوله سبحانه: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ...) (البقرة: ٢٦٥) ونفرت من الإنفاق الذي يخالطه الرياء، وذلك الذي يتبعه صاحبه بمنجل المن والأذى، فيحصد ما زرع ، فعرض المثل لكليهما صورة قاتمة منفرة ، تفر منها النفوس السليمة ، كما في الأمثال الثلاثة الباقية.

المبحث الثاني

الحث على الإنفاق بذكر القصص

يعرض الباحث هنا نموذجاً على القصص القرآني كأسلوب من أساليب الحث على الإنفاق، ويتمثل هذا النموذج في قصة أصحاب الجنة التي تحدثت عنها آيات سورة القلم .

أولاً: الآيات :

(إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنُّونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اعْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَاثْلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَاعْدُوا عَلَيَّ حَرِدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ أَنَا سَبْحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ

(573) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني، ج ٤، ص ١٣٧ .

(574) انظر : إرشاد العقل السليم لأبي السعود ، ج ٢، ص ٢٢ .

* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ
* كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (القلم: ١٧-٣٣).
ثانياً: عرض القصة:

تحدثت القصة عن قوم كانت لأبيهم جنة، وكان يأخذ منها قوته ويتصدق بالباقي على الفقراء، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال، فحلفوا ليقطعن ثمرها في الصباح الباكر قبل انتشار الفقراء، ولم يستثنوا في يمينهم، فأحرق الله جنتهم وهم نائمون، فصارت كالليل المظلم سواداً، أو كالصبح أَرْضاً بيضاء بلا شجر، وهلك ثمرها، أما أصحابها فنادى بعضهم بعضاً عند الصباح، أن بكروا على بستانكم إن كنتم لازتم على تصميمكم وعزمكم المبيت ليلاً، فانطلقوا وهم يتسارون فيما بينهم لئلا يشعر المساكين بخروجهم فيراقونهم كعادتهم كل عام، أو أنهم تهامسوا فيما بينهم متأمرين على ألا يمكنوا أحداً من المساكين من الدخول عليهم اليوم، وبعد هذه المهامسة والمساررة، انطلقوا بكل عزم ورغبة وتصميم؛ على حرمان الفقراء من نصيب تعودوا عليه في كل موسم، يحدوهم شعور هيمن عليهم بقدرتهم على تنفيذ رغبتهم الجامحة؛ المتمثلة في جني البستان من جهة، ومنع الفقراء من أن ينالهم شيء منه من جهة أخرى، فلما وصلوا ورأوا جنتهم محترقة، ظنوا في بداية الأمر أنهم قد ضلوا الطريق بسبب خروجهم قبل طلوع الشمس ووضوح الرؤية، فقالوا في بديهة وصولهم: لقد ضللنا عن جنتنا وما هي بها؛ ذلك لما رأوا من هلاكها، فلما تأملوا وعرفوا أنها هي، قالوا: بل حقيقة الحال أننا حرمانا خيرها لجنايتنا على أنفسنا، ويبدو أن أحدهم كان ينهاهم عن أفكارهم السيئة، ويقول لهم حين عزموا على ذلك: انكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة، فعصوه، فلما حدث ما حدث من دمار للجنة ذكرهم وأنبهم قائلاً: ألم أقل لكم لولا تسبحون؟! فهلا تسبحون الآن وتنزهوا الله سبحانه وتووبون إليه من خبث نيتكم؛ عله يتقبل توبتكم، فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولاً، وأقروا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف، وترك الاستثناء، ونزهوه عن أن يكون ظالماً، وأقبل يلوم بعضهم بعضاً على ما فعلوا من الهرب من المساكين، ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر، ثم اعترفوا جميعاً بأنهم تجاوزوا الحد بمنع حق الفقراء، وترك الاستثناء، وتوجهوا إلى الله أن يقبل توبتهم، وأن يبدلهم خيراً من جنتهم، إنهم راغبون في خيره وعفوه (٥٧٥).

ثالثاً : العبرة العامة:

هذه القصة وإن عالجت مسائل متعلقة بالإنفاق؛ إلا أنها "مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش؛ فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة، ولهذا قال تعالى : (إِنَّا

(575) انظر : تفسير النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تأليف الإمام عبد الله بن أحمد النسفي ، المتوفى سنة ٧١٠هـ ، تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، ج٤ ، ص ٤١١ ، وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٨ ، ص ٣٥٩٤ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٩ ، ج ١٨ ، ص ١٧ ، ١٨٠ .

بَلَوْنَاهُمْ (أي: اختبرناهم (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) " (٥٧٦) ، وفي هذا تهديد لقريش أن تكف عن بطرها وجحودها لنعمة ربها، "ويضرب لهم أصحاب الجنة - جنة الدنيا - مثلاً على عاقبة البطر، تهديداً لكبراء قريش المعتززين بأموالهم وأولادهم ممن لهم مال وبنون ؛ الكائدون للدعوة بسبب مالهم من مال وبنين" (٥٧٧) ، ولقد تمثلت صورة من صور البطر ووجدان نعمة الله وتصريفها في غير وجهها السليم؛ في شخصية (٥٧٨) من شخصيات مكة تحدثت عنها آيات سورة القلم في قوله سبحانه: (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتُلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ دَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ) (القلم: ٨-١٦) ، وذلك قبل أن تسرد الآيات قصة أصحاب الجنة؛ الذين حاولوا صرف نعمة الله عن وجهها السليم، وتجد في هذه الشخصية الجاحدة المشبعة بالكبر والبطر صفات جمعتها مع أصحاب الجنة، فمن منع للخير - أي شكل من أشكال الخير- إلى التباهي بالأموال وبالأولاد، واستناداً إلى ما سبق إيراده من أن قصة أصحاب الجنة ابتلاء واختبار، فهي إذن موعظة لأمثال هذه الشخصيات؛ التي تتباهى على الناس بأموالها وما رزقها الله من البنين، فتمنع الخير وترتكب الآثام وتتجاوز الحدود، فلتخش مصيراً كمصير أصحاب الجنة .

رابعاً : دور القصة في إبراز المعنى:

من المسائل الرئيسية التي تعالجها الآيات؛ مسألة البخل وبيان عاقبته، وتستطيع أن تتبين من خلالها تأثير القصص في إيصال المعنى، فهذه "القصة من ناحية الأداء تمثل إحدى طرق الأداء الفني في القرآن، وفيه مفاجآت مشوقة، كما أن فيه سخرية بالكيد البشري العاجز أمام تدبير الله وكيده، وفيه حيوية في العرض؛ حتى لكان السامع أو القارئ يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه" (٥٧٩) . والسرد القصصي فيها يصور لك المشاهد بكل التفاصيل اللازمة لتحقيق المراد، وتحذير النفوس السادرة في غيرها، بل يهزها ويضعها أمام حقائق واضحة، حقائق ترسمها الآيات لكل ذي عينين، فيرى أمامه مشهد الدمار الذي لحق بالجنة المميزة، فأصبحت أثراً بعد عين؛ في حين كان أصحابها في غاية الحرص عليها، حتى أنهم رغبوا بها عن الفقراء، بل رغبوا عنهم في مجرد دخولها، إلا أن هذا السبيل الخاطئ للحرص جاء بنتيجة عكسية؛ ليتعظ كل صاحب قلب حي، وليعلم وليوقن وليدرك أن الحفاظ على الأموال لا يتأتى بحرمان الفقراء والمساكين، ولا يتم بالتخلي عن سنن الخير السابقة، بل إن الأموال والخيرات والبساتين وغيرها من رزق الله؛ كلها تحفظ

(576) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٨ ، ص ٣٥٩٤ .

(577) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٦٥٣ .

(578) أورد القرطبي في تفسيره أسماء لهذه الشخصية تراوحت ما بين الأخنس بن شريق والأسود بن عبد

يغوث وعبد الرحمن بن الأسود والوليد بن المغيرة ، انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد ٩،

ج ١٨ ، ص ١٧٣ .

(579) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٦٦٤ .

بإعطاء الفقراء والمساكين نصيبهم؛ الذي سماه الله حقاً، فهو حق لهم، ويكون حفظها أيضاً بالسير فيها بسير الصالحين - كما كان والد تلك المجموعة من الرجال- ممن خطوا معالم درب سليم قائم على العدل والإنصاف، لا على الجور والإجحاف .
خامساً : عبر وعظات أخرى:

بالتدبير في موقف أفضلهم، وهو الذي نعتة القرآن بوصف أوسطهم، تجد أن مستوى الحساسية لديه -النابعة من الضمير الحي- مرتفع، فكان أول من استفاق وحدد العلة والسبب في ضياع الثمار، وهي ذاتها أسباب ضياع أي ثمار، ويبدو أن قدرته لم تسمح له بمواجهة تيار البخل الجارف فاستسلم إلى حين، فلما حانت الفرصة، وهزتهم الحادثة، وواتت المناسبة، وعظهم وذكرهم وانطلق يصدق بالحق كأعلى ما يكون؛ خصوصاً ومشهد الدمار الشاخص أمام عينيه يذكيه لينطق بالحق دون وجل، والسرد القصصي لهذه الحثيثة يؤكد على ميزة واضحة في القصص القرآني، وهي سوق الحادثة في موقع التأثير؛ لأن الغاية أخذ العبرة بأسلوب منزه عن أساليب القصص من السرد التفصيلي والمتتابع، "ولهذا حكيت مقالته: (ألم أقل لكم لولا تسبحون) في موقع تذكيره أصحابه بها؛ لأن ذلك مغزى حكايتها، ولم تحك أثناء قوله: (إذ أقسموا ليصر منها مصبحين)، أو أثناء قوله: (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين)" (٥٨٠).

هذا نموذج للقصص القرآني يبين تأثير القصة في الحث على الإنفاق، ساقه الباحث كمثل على أسلوب القرآن في الحث على الإنفاق بذكر القصص، وسبقته أمثلة توضح دور أسلوب ضرب الأمثال في تحقيق الغاية نفسها .

وخلاصة القول في الفصول السابقة: إن قضية الإنفاق حظيت في القرآن بمساحة واسعة، وعالجتها الآيات وحثت عليها من خلال منهج متكامل، تمثل في عدة أساليب، تناول الباحث منها في الصفحات السابقة أساليب أربعة:

١. أسلوب الأمر بالإنفاق .
٢. أسلوب بيان فضائله .
٣. أسلوب الربط بينه وبين كبرى القضايا .
٤. أسلوب ضرب الأمثال وذكر القصص .

الباب الرابع
الإِنفاق في ميزان الله
وأثر ذلك على السلوك الإنساني

- الفصل الأول : الإِنفاق بين القبول والرد.
الفصل الثاني : الإِنفاق بين الرغبة والإكراه.
الفصل الثالث : أثر الإِنفاق على الإنسان والمجتمع.

الفصل الأول الإنفاق بين القبول والرد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : شروط قبول الإنفاق
المبحث الثاني : أشكال من الإنفاق المردود

الفصل الأول

الإنفاق بين القبول والرد

يتناول هذا الفصل الإنفاق من حيث شروط قبوله، وعدم قبوله عند الله، ويعالج هذه المسألة في مبحثين، تناول الأول منهما شروط قبول الإنفاق، فيما تعرض الثاني لأشكال من الإنفاق المردود.

المبحث الأول

شروط قبول الإنفاق

لا يخفي على أحد أن العمل - أي عمل- حتى يقبل عند الله لا بد أن يتوفر فيه شرطان أساسيان وهما :

١. أن يكون خالصاً لوجه الله .

٢. أن يكون وفق شريعة الله.

وما يقال على أي عمل ينسحب بدهاة على الإنفاق ، الذي يجمع مع هذين الشرطين شروطاً أخرى ، تولدت - أصلاً - عن هذين الشرطين، ومن هذه الشروط:

أولاً: ابتغاء وجه الله :

ولقد أكد سبحانه على هذا الشرط في أكثر من مناسبة ، وإليك أمثلة على

ذلك :

١. عند الحديث عن مضاعفة الأجور في قوله: (**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) (البقرة: ٢٦١)، ختم الآية بقوله سبحانه: (**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**) ، أي: عليم بالنوايا الحقيقية خلف عملية الإنفاق، وهذا يؤكد على أن النية هي معيار القبول والرد، ثم عقب بقوله: (**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) (البقرة: ٢٦٢) ، مبيناً صفات أولئك الذين تضاعف لهم الأجور؛ والتي على رأسها إرادة وجه الله، "فإنما على المرء أن يريد وجه الله تعالى وثوابه؛ بإنفاقه على المنفق عليه، ولا يرجو منه شيئاً، ولا ينظر من أحواله في حال ؛ سوى أن يراعي استحقاقه ... ومتى أنفق ليريد من المنفق عليه جزاء بوجه من الوجوه، فهذا لم يرد وجه الله" (٥٨١) ، وإذا ربطت هذا بقوله سبحانه في سورة الإنسان: (**إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَّا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**) (الإنسان: ٩) ؛ أدركت - فعلاً- أن الإنفاق المعتد به هو ما كان خالصاً لوجه الله ، خالياً من أي شبهة للرغبة في الجزاء أو الشكر من قبل المنفق عليه .

٢. وكذلك عند الحديث عن الإنفاق المردود في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدْيِ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**) (البقرة: ٢٦٤) ، ربط بين الإنفاق المردود وبين الإنفاق لغير وجه الله ، ثم عقب سبحانه مبيناً شرط قبول الإنفاق فقال عز وجل: (**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**) (البقرة: ٢٦٥) ، "فهكذا

المؤمن ينفق متأملاً رضى الله عنه، موقناً أن الله سيجزيه أوفر الجزاء" (٥٨٢) .
وعليه: "فالنفقة المعتد بها: ما كان إنفاقها لابتغاء وجه الله، فإذا عريت من هذا القصد فلا يعتد بها" (٥٨٣) .

٣. يقول سبحانه مؤكداً عدم ضياع النفقة: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٧٢) ، وتلاحظ أن الآية صرحت مرتين على أن خير الإنفاق عائد لصاحبه، ولكن بين هذين التصريحين جاء قوله سبحانه: (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ)، ويرى الباحث أن في هذا إشارة إلى أن الإنفاق الذي يقبل؛ ويعود أجره على صاحبه وافية دون أن يظلم فيه- هو ما كان مبتغياً به وجه الله، وإذا تأملت في مطلع الآية؛ أدركت أن شرط قبول النفقة يعتمد على ما توارى خلفها من نية صاحبها؛ حتى وإن وقعت في أي يد، إذ "أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله؛ فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر- لمن أصاب ألبير أو فاجر أو مستحق أو غيره، وهو مثاب على قصده" (٥٨٤) . وتصديق ذلك من السنة ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ، فقال : اللهم لك الحمد ؛ على زانية ؟ لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على غني ، فقال : اللهم لك الحمد ؛ على سارق ، وعلى زانية ، وعلى غني ، فأتى ، فقيل له : أما صدقتك على سارق ؛ فلعله أن يستعف عن سرقة ، وأما الزانية ؛ فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغني ؛ فلعله يعتبر ؛ فينفق مما أعطاه الله) (٥٨٥) . ومما يؤكد هذا المعنى أن الإمام مسلم أورد هذا الحديث في صحيحه في كتاب الزكاة (٥٨٦) ، تحت باب ثبوت أجر المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها.

ثانياً: التواضع :

وهذا الشرط باب لكل خير، وذلك أن المنفق إذا تحلى بالتواضع؛ فإنه لا يتباهي بصدقته، ثم إن تواضعه يحول بينه وبين الرياء، وطلب السمعة والصيت، ويمنعه من أذى الناس والتطاول عليهم . والمتواضع لا يبخس الناس حقوقهم، ويقر بفضلهم عليه؛ فمن المؤكد أنه سينسب الفضل لصاحب الفضل سبحانه. وسترى في

(582) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٣٨ .

(583) انظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

(584) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ .

(585) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب رقم ١٤ ، إذا تصدق على غني وهو لا يعلم ، ص ٢٧٧ ،

حديث رقم ١٤٢١ .

(586) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب رقم ٢٤ ، ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير

أهلها ص ٣٩٤ .

المبحث التالي أن هذه الصفات الأربعة: من التباهي بالصدقة، ومراعاة الناس طلباً للسمعة والصيت ، وأذى الناس بالتطاول عليهم ، ونسيان فضل الله الذي أنعم بالرزق ؛ هي أسباب بطلان الصدقة ، وهذا يعني أن خلق التواضع يحول ويمنع من ظهور العوامل المبطلّة للصدقة.

أما إذا تأملت في النصوص، فتجد ما يؤكد ذلك، ومثاله قوله سبحانه في سورة النساء: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء: ٣٦) ، والشاهد هو التعقيب بقوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)، بعد أن أمر سبحانه بعدة أمور منها: الإحسان إلى مجموعة من الأصناف؛ وذلك لأن "الاختيال: وهو التكبر، والفخر: وهو عد المناقب على سبيل التطاول بها والتعاضم على الناس ، صفتان من اتصف بهما حملتاه على الإخلال بالإحسان المأمور به في الآية ، لأن المختال يأنف من ذوي قرابته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء، ومن الأيتام لاستضعافهم، ومن المساكين لاحتقارهم ، ومن ابن السبيل لبعده عن أهله وماله ، ومن ممالিকে لأسرهم في يده" (٥٨٧) ، ولك أن تلاحظ أن الاختيال والفخر هما ضد التواضع.

هذه بعض الشروط التي تمنح الإنفاق القبول عند الله سبحانه، وفي المبحث القادم حديث عن أضرارها؛ التي تتسبب في بطلان الصدقات، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة أن يكون الإنفاق- الفرض منه والتطوع - وفق شرع الله ليكتب له القبول .

المبحث الثاني

أشكال من الإنفاق المردود

تبيين من خلال المبحث السابق الشروط الواجب اعتمادها؛ ليكتب لإنفاق المرء القبول، وفي هذا المبحث استعراض لبعض أشكال من الإنفاق، خالف المنفق فيها شروط القبول؛ فكتب لها الرد والبطلان، ومن هذه الأشكال:

١. نفقة الرياء التي لا يقصد بها وجه الله :

وقد أكد القرآن بطلان هذا الشكل من الإنفاق في أكثر من موضع، ففي سورة البقرة قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (البقرة: ٢٦٤) ، فحذر المؤمنين من

"أن تبطل صدقاتهم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راعى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله؛ مع أنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر" (٥٨٨)، وفي هذا دليل على بطلان صدقة المرابي، وشيوع ذلك حتى غدا مثلاً يضرب في بطلان الصدقات، ويحذر من التشبه به.

وفي سورة النساء يقول سبحانه: (الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) (النساء: ٣٨، ٣٧)، وهذه سلسلة من الأعمال القبيحة؛ التي لا يحبها الله، فقد سبق هذه الآية قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)، فأنى يكتب القبول لأصحابها؛ وهو يتوعد الطائفة الأولى - البخلاء الأمرين بالبخل - بقوله: (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)، ويتوعد الطائفة الثانية - المنفقين رياء الناس - بأنهم قرناء الشيطان وبئس القرين.

٢. النفقة المتبوعة بالمن والأذى:

وهذا الشكل من الإنفاق أفسده وأبطله أمران أولهما: المن: وهو " ذكر النعمة على معنى التعدد لها والتفريع بها ... والتحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطى فيؤذيه " (٥٨٩)، والثاني: الأذى الذي يلحق بالمنفق عليه من قبل المنفق؛ سواء أذى بالقول أو الفعل، فهو: "السب والتشكي، وهو أعم من المن؛ لأن المن جزء من الأذى، لكنه نص عليه لكثرة وقوعه" (٥٩٠)، كما قال سبحانه في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى)، فبين أن المن والأذى كفيلا يبطال الصدقات، والمن من الكبائر، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، " قال: فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مراراً، قال أبو ذر رضي الله عنه: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: " المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب " (٥٩١)، فليحذر المؤمن.

ولقد بين سبحانه أيضاً فضل النفقة التي لا يتبعها صاحبها مناً ولا أذى، فقرر ألا خوف يصيب صاحبها ولا حزن على مصيرها؛ إذ إن أجرها محفوظ عند الله فقال: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٦٢)، ثم أكد أن عدم التصدق والاكتفاء بالقول الطيب؛ خير من تلك الصدقة المتبوعة بالأذى، بل إنه سبحانه غني عنها، فقال سبحانه: (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٣).

(588) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٦٣٨.

(589) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني، ج ٣، ص ٢٣٣.

(590) المرجع السابق، المجلد الثاني، ج ٣، ص ٢٣٣.

(591) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب رقم ٤٦، بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية ...،

حديث رقم ١٠٦، ص ٦٨، ٦٩.

ولبطان صدقة صاحب المن والأذى عدة وجوه:

● بطلان ثوابها، وضياع أجرها، كما أذهب الوايل التراب عن الحجر الأملس وكشف حقيقته، وظهرت نيته الفاسدة التي لم تنفعه، ولهذا شبه المان المؤذي بصدقته كالمرائي؛ الذي لا يريد وجه الله، وكالكافر الذي لا يؤمن بالله أصلاً، فصدقة ثلاثتهم لا تقبل.

● إبطال الفضل - دون الثواب- لصدقة صاحب المن والأذى القاصد وجه الله؛ فيكتب له الأجر ولا يضاعف له، أما صدقة الكافر والمرائي فلا ثواب عليهما أصلاً، لكفر الأول وعدم إيمانه بالله واليوم الآخر، و لأن الثاني لم يقصد بها وجه الله تعالى فيستحق الثواب.

● بطلان ثواب الصدقة من وقت وقوع المن والأذى، "وما قبل ذلك يكتب له ويضاعف، فإذا من وأذى انقطع التضعيف، لأن الصدقة تربي لصاحبها حتى تكون أعظم من الجبل، فإذا خرجت من يد صاحبها خالصة على الوجه المشروع ضوعفت، فإذا جاء المن بها والأذى وقف به هناك، وانقطع زيادة التضعيف عنها" (٥٩٢).

وقد ذكر القرطبي هذه الوجوه الثلاثة لكيفية بطلان الصدقة في تفسيره لقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٦٤)، وعقب عليها بقوله "والقول الأول أظهر" (٥٩٣)؛ ويرى الباحث أن اختلاف حالات الإنفاق: من صدقة يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي بها، إلى صدقة عن صاحبها بعد حين أن يباهي بها، يجعل الوجوه الثلاثة قائمة حسب حالة كل صدقة والله أعلم.

٣. نفقات الكفار:

وهذا الشكل من النفقات باطل ببطلان عقيدة صاحبها وفسادها، ولقد تحدث سبحانه عن أصحاب العقائد الفاسدة، وبين النتيجة الحتمية لإنفاقهم؛ الذي لا يكتب له القبول، ففي الآية سابقة الذكر بين بطلان صدقة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وشبه تأثير المن والأذى المبطل للصدقة كتأثير الرياء المبطل لها، وتأثير الكفر المبطل لصدقة صاحبه، وحذر المؤمنين من أن يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى مثلهم. وفي مقام آخر قال سبحانه مبيناً عدم قبول نفقة الذين كفروا ولو كثرت: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (آل عمران: ٩١)، "فمن مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبداً؛ ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً؛ فيما يراه قرابة... وكذلك لو افتدى بملء الأرض ذهباً ما قبل منه" (٥٩٤)، وتأكد ذلك من السنة ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (يجاء بالكافر يوم

(592) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثاني، ج ٣، ص ٢٣٧.

(593) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٣٧.

(594) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٧٣١.

القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أكنت تتفدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك^(٥٩٥). وفي آية أخرى يقضي سبحانه بعدم قبول نفقات أصناف معينة في الصف المسلم؛ وهم المنافقون، ويرجع ذلك إلى فسقهم وكفرهم بالله ورسوله، وتكاسلهم في العبادات فقال: (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارَهُونَ) (التوبة: ٥٤، ٥٣)، فالبيان الإلهي واضح في أنهم؛ "ما منعهم من أن تقبل منهم نفقاتهم إلا كفرهم وذلك أنهم يعدونها مغرمًا، ومنعها مغنمًا، وإذا كان الأمر كذلك فهي غير متقبلة ولا مثاب عليها" ^(٥٩٦).

الفصل الثاني الإنفاق بين الرغبة والإكراه

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول : الرغبة في الإنفاق مع عدم القدرة عليه .
- المبحث الثاني : الإكراه على الإنفاق .
- المبحث الثالث : الاعتدال في الإنفاق .

(595) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رقم ٤٩ ، من نوقش الحساب عُدب ، حديث رقم ٦٥٣٨ ،

ص ١٢٥٢ .

(596) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٤ ، ج ٨ ، ص ٧٥ .

الفصل الثاني الإنفاق بين الرغبة والإكراه

يتعرض هذا الفصل من خلال مباحثه الثلاثة؛ لثلاثة أصناف من المنفقين: صنف يرغب في الإنفاق إلا أن فراغ يده يحول دون ذلك، وصنف على النقيض منه تتوفر لديه الإمكانيات إلا أنه لا ينفق إلا مكرهاً، وبين هذين الصنفين صنف ثالث يمثل الوضع الطبيعي، فيجمع بين توفر الإمكانيات والميل للإنفاق؛ إلا أنه بحاجة إلى توجيه لتقنين إنفاقه.

المبحث الأول الرغبة في الإنفاق مع عدم القدرة عليه

أهل الخير كثير، وأصحاب الهمم العالية موجودون بفضل الله في كل عصر، وميدان الإنفاق - كغيره من ميادين الخير- تبرز فيه مثل هذه النوعيات الفاضلة، إلا أنه ليس دائماً تتزامن الرغبة في القيام بأمر ما مع القدرة عليه، ولهذا نجد بعض هؤلاء تعوزه الإمكانيات، وقد فتح الإسلام لأمثال هؤلاء أبواب خير عدة، فاعتبر نيتهم الصالحة كفيلاً بأن تلحقهم مراتب المنفقين؛ "لأن الهم بفعل الحسنة حسنة" (٥٩٧) ، فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل) (٥٩٨) ، وجعل الدال على الخير كفاعله تماماً؛ رغم أنه لم يقدم شيئاً مادياً محسوساً، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أبدو بي (٥٩٩) فاحملني، فقال: (ما عندي)، فقال رجل: يا رسول الله ﷺ: أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: (من دل

(597) التيسير للسعدي ، ص ٤٣٥ .

(598) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب رقم ٢٠ ، اغتباط صاحب القرآن ، حديث رقم ٤٧٨٣ ، ص ٩٩٨ .

(599) إني أبدو بي فاحملني أي هلكت دابتي وهي مركوبي فاحملني على دابتك أو وفر لي دابة تحملني ، انظر : صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، المجلد ٧٥ ج ١٣ ص ٣٤ .

على خير فله مثل أجر فاعله) (٦٠٠). كما أن الإسلام منح من حبسه العذر أجر المجاهدين، وحديث جابر الذي سبق ذكره في مباحث سابقة (٦٠١) يؤكد ذلك، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فقال: (إن بالمدينة لرجالاً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً؛ إلا كانوا معكم، حبسهم المرض) (٦٠٢)، "ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليثاب على ذلك، ولعل الله يبسر له بسبب رجائه" (٦٠٣).

وقد سجل سبحانه في كتابه العزيز هذا الصنف الخيّر، وبين تميزهم عن الذين تخلفوا عن ركب رسول الله ﷺ فقال: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة: ٩٢، ٩١)، فهذه مجموعة من الرجال؛ لا تجد وسيلة تحملهم للمشاركة في النفي، ولا يجد النبي ﷺ ما يحملهم عليه، "فتولوا وهم يبكون، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد؛ ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله ﷺ أنزل عذرهم في كتابه" (٦٠٤)، فإن "من نوى الخير، واقترب بنيته الجازمة سعي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام" (٦٠٥).

والملاحظ أن الرغبة في الإنفاق متوفرة، والدلائل عليها واضحة؛ فقد بدأت بالمحاولات الفعلية لتوفير الإمكانية؛ من محاولة شخصية، إلى الطلب المباشر من القائد ﷺ؛ فلما كانت النتيجة سلبية؛ انفجرت الأعماق تنبئ عن الحرص الدفين، ففاضت العين دمعاً، "وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد، والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه" (٦٠٦)، فتأمل هذا النموذج الراقى، والطرز الفريد من رجال خلد القرآن موقفهم المشرف؛ في سجل محفوظ، وفيما ذكره الباحث في مبحث سابق (٦٠٧)، حول هذه الآية من تحليل لموقف هذا الصنف من المعذورين ما يغني عن الإعادة.

-
- (600) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب رقم ٣٨، فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، حديث رقم ١٨٩٣، ص ٧٨٧.
- (601) انظر: مبحث عدم وجود المانع من الإنفاق من الباب الثالث، ١٦٢.
- (602) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب رقم ٤٨، ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، حديث رقم ١٩١١ ص ٧٩٣.
- (603) التيسير للسعدي، ص ٤٣٥.
- (604) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ص ١٦٩٦.
- (605) التيسير للسعدي، ص ٣٢٧.
- (606) في ظلال القرآن لسيد قطب، ج ٣، ص ١٦٨٥.
- (607) انظر: مبحث عدم وجود المانع من الإنفاق من الباب الثالث، ص ١٦٢.

المبحث الثاني الإكراه على الإنفاق

لم يخلُ الأمر من صورة قاتمة احتلت الطرف الآخر، مناقضة تماماً للصورة المشرقة السابقة، صورة توفرت لها الإمكانيات، وفقدت الحرص على البذل، ففقدت كل خير؛ فالنموذج السابق أخذ يبحث عن وسائل تعينه على المشاركة بأي شكل مرضي، إلا أن هذا النموذج الآخر -على النقيض تماماً- أخذ يبحث عن أضرار يغطي بها تفلته، وكما سجل القرآن للأول تقدمه، فقد سجل للآخر تأخره، فقال سبحانه: (وَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (التوبة: ٨٧، ٨٦) ، فتأمل تلك الطبيعة، طبيعة النفاق والضعف والاستخذاء، ولاحظ ذلك التفكير السقيم والتخطيط العقيم، التفكير في التخلف والتخطيط للالتواء، فتراهم "إذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد؛ جاء أولو الطول الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل، جاءوا لا ليتقدموا الصفوف، كما تقتضيه القدرة التي وهبها الله لهم، وشكر النعمة التي أعطاه الله إياهم، ولكن ليتخاذلوا ويعتذروا ويطلبوا أن يقعدوا مع النساء، لا يزودون عن حرمة، ولا يدفعون عن سكن، دون أن يستشعروا ما في هذه القعدة الذليلة من صغار وهوان؛ ما دام فيها السلامة. وطلاب السلامة لا يحسون العار، فالسلامة هدف الراضين بالدون ... ولو كانوا يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من قوة وكرامة وبقاء كريم، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناء ذميم" (٦٠٨).

ومن المؤكد أن "أولئك المتخلفون ذوو قدرة على الخروج؛ لديهم وسائله، وعندهم عدته" (٦٠٩) ، وقد بين سبحانه ذلك بقوله: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) (التوبة: ٤٦) ، ومن هنا يبرز صنف منهم لجأ إلى مزيد من الالتواء والتحايل، "فعرض ماله، وهو يعتذر عن الجهاد؛ ذلك ليمسك العصا من الوسط على طريقة المنافقين في كل زمان ومكان، فرد الله عليهم مناورتهم، وكلف رسوله أن يعلن أن

(608) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٦٦٥ .

(609) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٦٥ .

إنفاقهم غير مقبول عند الله" (٦١٠) ، فقال سبحانه: (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) (التوبة: ٥٣) ، ويتبين من الآية أن إنفاقهم أخذ شكلين متحدي النتيجة، فبعضهم ينفق عن رضى كمحاولة منهم لخداع المؤمنين، وآخرين ينفقون مكرهين خوفاً من انكشاف أمرهم، والعاقبة واحدة في الحالتين، " فإنفاقهم مردود لا ثواب له، ولا يحسب لهم عند الله؛ لأنهم إنما ينفقون عن رياء وخوف لا عن إيمان وثقة " (٦١١) ، وقد فصل سبحانه موانع قبول نفقاتهم في قوله تعالى : (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارَهُونَ) (التوبة: ٥٤) .

المبحث الثالث الاعتدال في الإنفاق

الإنفاق كسلوك إيجابي يمارسه المسلم؛ يحتاج إلى توجيه وتهذيب، ليكون سلوكه أكثر صواباً، وأقرب إلى طبيعة النفوس السوية، فوجه القرآن المؤمنين إلى أداء بعض الحقوق الواجبة عليهم تجاه الآخرين، بادئاً بالصق دائرة وأوجب حق، وهي دائرة وحق الوالدين، متنقلاً في توسع مطرد "من دائرة ذوي القربى أجمعين؛ إلى دائرة المساكين وابن السبيل، متوسعاً في القرابات حتى تشمل الروابط الإنسانية بمعناها الكبير" (٦١٢) ، ونهى في المقابل عن التبذير فقال سبحانه: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) (الإسراء: ٢٦، ٢٧) ، فوجه بهذا إلى إعطاء " الجميع من المال، على وجه لا يضر المعطي، ولا يكون زائداً على المقدار اللائق ، فإن ذلك تبذير قد نهى الله عنه ، وقرن بين فاعله والشيطان؛ لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل

(610) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٣ ، ص ١٦٦٥ .

(611) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٦٥ .

(612) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٢ .

خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير، والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها، ويمدح عليه" (٦١٣) ، ولهذا لم يكتفِ القرآن بهذه الإشارة الواضحة بل فصل المسألة وبين أبعادها فقال سبحانه: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (الإسراء: ٣٠، ٢٩) ، "فالتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن، والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير، فيرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط، لا تمسك شيئاً، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف؛ قعدة كقعدة الملووم المحسور ... فكذاك البخل يحسره بخله فيقف، وكذاك المسرف ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير ، ملوماً في الحالتين على البخل وعلى السرف، وخير الأمور الوسط" (٦١٤) .

وتعرض القرآن لهذه المسألة في آية أخرى فقال سبحانه في سورة الفرقان؛ وهو يعدد صفات عباد الرحمن : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان: ٦٧) ، وقد حدد الشوكاني - في تفسيره لهذه الآية- المقصود بالنفقة فقال: "إن من أنفق في غير طاعة الله فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام" (٦١٥) . ويميل الباحث إلى ما ذكره القرطبي من أن المقصود بالنفقة في الآية نفقة الطاعات، وعلل القرطبي وجهة نظره بأن "النفقة في معصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره، وكذلك التعدي على مال الغير، وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك، وإنما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات" (٦١٦) ، ثم تابع مبينا هذا الأدب فقال: "أدب الشرع فيها ألا يفرط الإنسان حتى يضيع حقاً آخر أو عيالاً ونحو هذا، وألا يضيق أيضاً ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، أي العدل، والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله، وخفة ظهره وصبره وجلده على الكسب، أو ضد هذه الخصال، وخير الأمور أوسطها؛ ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أن يتصدق بجميع ماله؛ لأن ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين، ومنع غيره من ذلك" (٦١٧) .

والإسلام في منهجه يدعو إلى التوازن في كل شيء، ويسعى إلى تحقيق هذه الصفة في حياة الأمة المسلمة، ففي آية سورة الإسراء دعا إلى التخلق بهذا الخلق، وبين عاقبة عدم امتثاله جلسة حسرة وندم، بل قعدة عجز وملامة، أما في آية سورة الفرقان فيبين أن عباد الله الخالص يتميزون عن غيرهم بهذا الخلق من الاعتدال والتوازن، فجعله صفة فاضلة، ينتشر من يتخلق بها ويتمثل بأصحابها.

(613) انظر التيسير للسعدي ، ص ٤٣٥ .

(614) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٣ .

(615) فتح القدير للشوكاني ، ص ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ .

(616) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، المجلد ٧ ، ج ١٣ ، ص ٥٨ .

(617) المرجع السابق ، المجلد ٧ ، ج ١٣ ، ص ٥٨ .

الفصل الثالث

أثر الإنفاق على الإنسان والمجتمع

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول : أثر الإنفاق على المنفق .
- المبحث الثاني : أثر الإنفاق على المجتمع .

الفصل الثالث أثر الإنفاق على الإنسان والمجتمع

الإنفاق سلوك إيجابي يحرص الإسلام على إيجاده أولاً، واستمراره ودوام أصحابه عليه ثانياً، وتقنينه وتهذيبه ثالثاً، وما ذلك الاهتمام والعناية المتواصلة إلا لأنه خلق كريم وصفة فاضلة؛ لها تأثيرها الإيجابي على الفرد والمجتمع إن وجدت وسادت، ولها تأثيرها السلبي أيضاً إذا زهد فيها الناس، وانصرف عن التحلي بها الأفراد، وفي المبحثين الآتيين بيان ذلك التأثير.

المبحث الأول

أثر الإنفاق على المنفق

قد يتبادر إلى الذهن أن تأثير الإنفاق ينصب على الآخذ له المنتفع به، في حين حقيقة الأمر أن تأثير الإنفاق يشعر به المنفق كما يشعر به الآخذ، ولعل الآيات الآتية تبين تأثير الإنفاق على المعطي وصفله لشخصيته بما يكسبه إياه من أخلاق.

أولاً: يقول سبحانه في سورة التوبة: (وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (التوبة: ١٠٣، ١٠٢)، "فيأمر تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكئهم بها، وهذا عام، وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً" (٦١٨)، والمهم أن التطوع بالصدقة يطهر صاحبها من كل خلق ذميم، ويزكي نفسه ويرتقي بها لتنتمثل بكل خلق كريم، وتأمل قول الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد ﷺ خذ من أموال هؤلاء -الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها- صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتزكئهم بها. يقول: وتنمئهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق -بها- إلى منازل أهل الإخلاص" (٦١٩)، فتدرك أن الصدقة تؤثر في صاحبها فتمحو أخلاقاً وتكسب أخرى؛ تمحو الفاسد من الأخلاق، فتقضي على الشح والبخل وغيرها من سبب الأخلاق، وتكسب الجود والإحسان والشعور بالآخرين. وقد أكد السعدي هذا

(618) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٤، ص ١٧٠٢، ١٧٠٣.

(619) جامع البيان للطبري، المجلد ٧، ج ١١، ص ٢٠.

المعنى في تفسيره لنفس الآية حيث ذكر أن: " (تَطَهَّرْهُمْ وَتَزَكِّيْهِمْ بِهَا) أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة، (وَتَزَكِّيْهِمْ) أي: تنميههم وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم " (٢٢٠).

ثانياً: يقول سبحانه في سورة الحشر: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩) ، وفي هذا تأكيد على أن الصدقة تقضي على فاسد الأخلاق، فقد صرحت الآية هنا بأن عدم الإنفاق يعود إلي الشح، فمن غالب شح نفسه وانتصر عليها أنفق وأثر على غيره، وبصورة أخرى من أنفق فقد تغلب على شح نفسه ووقى منه بفضل الله، وهذه المراغمة المتواصلة بين الإنسان المؤمن ودخيلة نفسه؛ كفيلة بأن تقضي على خلق الشح والبخل، ليتربع مكانه خلق جميل من الإيثار؛ يأخذ بيد صاحبه إلى زمرة المفلحين.

ثالثاً: يقول سبحانه في سورة البقرة: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢١٥) ، وللتعبير الذي بدأت به الإجابة وهو قوله تعالى: (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ)؛ "إيحاءان، الأول: أن الذي يُنْفِقُ خيراً: خير للمعطي، وخير للأخذ، وخير للجماعة، وخير في ذاته؛ فهو عمل طيب، وتقديمه طيبة، وشيء طيب. والإيحاء الثاني: أن يتحرى المنفق أفضل ما عنده فينفق منه؛ وخير ما لديه فيشارك الآخرين فيه، فالإنفاق تطهير للقلب وتزكية للنفس، ثم منفعة للآخرين. وعون وتحري الطيب؛ والنزول عنه للآخرين هو الذي يحقق للقلب الطهارة ، وللنفس التزكية، وللايثار معناه الكريم " (٢٢١).

والإنفاق يبني -مع غيره من العوامل- النفس السوية التي تعطي وتقدم، وتخدم وتطور، فيقضي على الأنانية وتجاهل هموم الآخرين، ويوجد بذلك الفرد القوي بإيجابيته ومبادرته؛ الذي يشكل مع مجموع إخوانه مجتمعاً قوياً قادراً على مواجهة ظروف الحياة، والنهوض ببقية الأفراد كما سنرى في المبحث القادم. وهذه الشخصية الإيجابية هي ما يسعى الإسلام إلى إيجادها؛ لما لها من دور فعال، فمنذ فجر الدعوة تواردت الآيات على إعدادها، وأخذ الإنفاق دوره في هذا الإعداد، ولقد مر معنا (٢٢٢) ما حظي به الإنفاق من توجيه، وما ناله من تركيز، ومن ذلك قوله سبحانه في سورة الشورى: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ) (الشورى: ٣٦-٣٩)، والآيات تعرض للصفات الأساسية للمؤمنين، وتذكر من بينها الإنفاق؛ مما

(620) التيسير للسعدي ، ص ٣٢٩ .

(621) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(622) انظر : مبحث ارتباط الإنفاق بالعبادات عموماً من الباب الثالث ، ص ١٩٢ .

يؤكد دوره كعامل أساسي في بناء النفس السوية، وكذلك قوله سبحانه في سورة الذاريات معدداً لصفات المتقين: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٥-١٩) ، وقوله سبحانه في سورة الليل: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) (الليل: ٥-١١)، وكلها سور مكية جاءت لتربي النفوس، وتعدّها لمرحلة مقبلة تحتاج إلى رجال متميزين ، فالإنفاق إذن عامل مهم في إعداد النفوس، وبناء الأفراد، وتخريج المميزين القادرين على النهوض ؛ لا بأنفسهم فقط ، ولا بغيرهم فحسب ، بل بأمم كاملة ، وأجيال متلاحقة .

المبحث الثاني أثر الإنفاق على المجتمع

يدرك الجميع أن المجتمع في حقيقته إنما هو لبنات صغيرة من الأفراد، تراصت وشكلت مجتمعاً ما، فإذا كانت هذه اللبنة قوية - في ذاتها- وتلاحمها متيناً؛ أنتج ذلك مجتمعاً قوياً متماسكاً قادراً على تحقيق أهدافه، ومواجهة مشكلاته، وقد تبين مما سبق دور الإنفاق في إعداد هؤلاء الأفراد، واللبنة القوية، مما يشي بمجتمع

ناهض؛ إن اعتمد الإنفاق ركيذة من ركائز بنائه. وفي تصور الباحث أن الإنفاق له دور بارز في بناء المجتمع وإنشائه أساساً، ثم له دور بعد ذلك في الرقي به وتطويره، ثم يأتي دور ثالث لا يقل أهمية عن الأدوار السابقة؛ في المحافظة عليه واستمرار بقائه، وهذا ما يعرضه المبحث الذي بين يديك.

أولاً: دور الإنفاق في إنشاء المجتمع المسلم وقيامه أساساً:

بين الباحث في الصفحات السابقة؛ اهتمام الإسلام بموضوع الإنفاق منذ فجر الدعوة الإسلامية، وإعطاءه عناية خاصة، فذكر طرفاً من الآيات المكية التي تعرضت له، وركزت عليه، واعتبرته عامل من عوامل الفوز برضا الله، وهذه النقاط التالية لمزيد إيضاح:

١. عندما عدد سبحانه صفات المتقين الفائزين بالجنات والعيون، ذكر من هذه الصفات الإنفاق على المحتاجين، سواء "السائل منهم الذي يبتدئ بالسؤال، أو المحروم الذي لا كسب له ولا حرفة يتقوت منها" (٦٢٣)، فقال تعالى: (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) (الذاريات: ١٥-١٩) ، وتلاحظ في الآية أن التعبير القرآني اعتبر ما يعطى لهؤلاء المحتاجين إنما هو حق، وحق معلوم محدد باجتهادهم، فهو جزء "مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم" (٦٢٤) "فيجعلون نصيب السائل الذي يسأل فيعطى، ونصيب المحروم الذي يسكت ويستحيي فيحرم، يجعلون نصيب هذا وهذا حقاً مفروضاً في أموالهم، وهم متطوعون بفرض هذا الحق غير المحدود" (٦٢٥) ، والآيات المكية التي أطلقت على نصيب المحتاجين لفظ "حق" كثيرة، مما يؤكد ما ذهب إليه الباحث من العناية بالإنفاق والتركيز عليه وإبرازه كقيمة اجتماعية، ومن هذه الآيات: قوله تعالى في سورة الإسراء: (**وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا**) (الإسراء: ٢٦) ، وقوله تعالى في سورة الروم: (**فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) (الروم: ٣٨) ، وقوله تعالى في سورة المعارج: (**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**) (المعارج: ٢٥، ٢٤) .

والتعبير القرآني - في سورة الذاريات- عندما وصف المتقين؛ قرن بين صفة قيام الليل وصفة الإنفاق على المحتاجين، ومن المعلوم أن قيام الليل نال تركيزاً واضحاً وجلياً، فقد فرض عاماً كاملاً قبل أن ينزل التخفيف، كما سبق وبين الباحث (٦٢٦) ، وذلك لما لقيام الليل من دور في إعداد النفوس، وبناء الطاقات القادرة على القيام بأعباء دعوة الله، وآيات سورة المزمل تصرح بذلك فقد قال سبحانه: (**يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ**

(623) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٧ ، ص ٣٣٠٥ .

(624) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج٧ ، ص ٣٣٠٥ .

(625) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج٦ ، ص ٣٣٧٧ .

(626) انظر : مبحث إنفاق المال من الباب الثاني ، ص ٧٩ .

تَرْتِيًّا * إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (المزمل: ١-٥) ، فالأمانة ثقيلة لا يقوى على القيام بأعبائها؛ إلا من تعود أن يصف قدميه لله عز وجل في محاريب الليل، وعلى هذا: فافتران الإنفاق والقيام يشير -من وجهة نظر الباحث- إلى دور الإنفاق المشابه في إعداد النفوس وتربيتها على تحمل المسؤوليات.

٢. وعندما لم يكن الجهاد مفروضاً؛ كانت الصلاة والزكاة هما البديل، لما لهما من دور في تهيئة النفوس، وتربية الأجيال، وحفز الطاقات للمرحلة التي يفرض فيها الجهاد، فقال سبحانه: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) (النساء: ٧٧) ، فالنفس التي تعودت على البذل والعطاء؛ قادرة على تقديم ذاتها في سبيل الله بلا تردد؛ عندما يدعو داعي الجهاد، وهذا يؤكد أن الصلاة والزكاة كانتا عوامل تأسيس لمجتمع مقبل؛ توشك أن تتمخض عنه الأحداث.

وخلاصة القول: إن هذه الصور من القيام والإطعام، أو الصلاة والزكاة؛ ذات دور في إنشاء المجتمع الإسلامي وإقامته.

ثانياً: دور الإنفاق في تطوير المجتمع المسلم والرقى به:

تمت إقامة المجتمع المسلم بفضل الله أولاً وأخيراً، وتمكنت تلك المعادن من الرجال التي صاغها القرآن وهذبها القيام وزكاها الإطعام من تأسيسه، لتبدأ مرحلة النهوض بهذا الوليد والأخذ بيده وتطويره، ومن البداية الأولى ظهر دور الإنفاق في ترسيخ هذا المجتمع، فكانت مواقف الأنصار التي سجلها لهم القرآن في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩) ، واستمر الإنفاق - إلى جانب العديد من العوامل الأخرى- يعالج الظواهر السلبية، والأمراض الأخلاقية التي تنتشر عادة في المجتمعات، ويشير الباحث إلى واحدة من هذه الأمراض الاجتماعية مبيناً دور الإنفاق في علاجها، وهو مرض الحسد.

فالحسد داء فتاك ، ومرض اجتماعي بغيض، كفيل بتقويض مجتمع بكامله، إذ يتجرأ من ابتلي به على الآخرين من إخوانه، فيتمنى زوال النعمة عنهم، وإذا أصابهم شيء من نوائب الأيام أباح لنفسه الشماتة فيهم، فإن لم يصبهم شيء من هذا؛ تمادى، فأخذ يخطط في الكيد لهم؛ حتى يتطور الأمر فيتورط في نهبهم وسرقتهم، كل هذا محاط - قطعاً- بالسخط على قدره، فانظر كم الأمراض التي تتداعى على الإنسان بسبب هذا الداء، ثم لك أن تتصور مجتمعاً تسوده مثل هذه الأخلاقيات، ولهذا عاب القرآن على اليهود اتصافهم بهذه الصفة فقال سبحانه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) (النساء: ٥٤).

والسؤال: كيف عالج الإسلام هذه الظاهرة المرضية الخطيرة والآفة النفسية

الخبیثة؟ والمتأمل يجد الإسلام عالج نفسية الشخص ذاته، فطالبه بأن يكف بصره عما متع الله به غيره، فقال سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ ومعلماً أتباعه: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَأَبْقَى) (طه: ١٣١) ، ثم قرر الإسلام - كما مر قبل قليل- أن للفقراء والمحتاجين حق في أموال الأغنياء، وأوجب الزكاة لأخذ هذا الحق، وكلف قيادة المجتمع المسلم بجمع هذه الحقوق، وتوصيلها إلى أصحابها، فإذا أثمرت التربية الإيمانية في السمو بالنفوس عن الحسد للآخرين، والكيد لهم لما أعطاهم الله من نعمة، ورافق ذلك شعور من الأغنياء بإخوانهم الفقراء؛ وأن لهم حقوق عليهم، وحدث كل هذا تحت مظلة قيادة حانية؛ تحافظ على حقوق رعيتهما، فأنى حينها للحسد أن يجد له مكاناً، فضلاً عما يتوالد عنه من أمراض؟! إن الفقير الذي يدرك أن له حقاً عند الغني، ويعلم أن أخيه يقر له بهذا الحق، ويحرص على توصيله إليه، ويوقن أن هناك قيادة عليا تتكفل بتنفيذ ذلك؛ بل وتلجأ إلى القوة إذا لزم الأمر، إن فقيراً هذه نفسيته لن يتمنى زوال النعمة عن أحد، ومن المؤكد أنه لن يلجأ إلى محاولات الكيد لهم أو سرقتهم، وبدون الإنفاق وتشريع الزكاة؛ ما كان ليحدث من هذا النقاء شيء.

ومن المؤكد أن للإنفاق دوراً بارزاً في تطوير المجتمع المسلم والارتقاء به، وخير دليل على ذلك أن المنافقين حاولوا تدمير هذا المجتمع، فتنادوا إلى منع الإنفاق على الرسول ﷺ ومن عنده، وذلك لأن ذلك يؤدي إلى انفضاض الناس عن هذا الدين، ويذهب تماسك المجتمع، ونقل القرآن ذلك الموقف منهم فقال سبحانه: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا) (المنافقون: ٧) ، فتأمل: فريق يبذل وينفق؛ بل ويؤثر على نفسه ليبنى مجتمعاً وقيم أمة ، والآخر: يبخل ويأمر بالبخل؛ ليقوض مجتمعاً ويهدم أمة ، ذلك أن كليهما يدرك ما للإنفاق من دور وتأثير في المجتمعات، وفي المباحث السابقة مر تفصيل ذلك (٦٢٧).

ثالثاً: دور الإنفاق في بقاء المجتمع المسلم واستمرار وجوده:

رأيت كيف ساهم الإنفاق في تأسيس المجتمع المسلم، وكيف ارتقى به، وعالج الآفات الداخلية؛ التي عادة ما تآكل المجتمعات من الداخل فتعمل على تآكلها، وإضافة إلى ذلك فإن للإنفاق دوراً ثالثاً في غاية الأهمية؛ تمثل في العمل على استمرار بقاء المجتمع المسلم، والمحافظة عليه من محاولات تقويضه من قبل الأعداء، ومن الأمور التي تبرز ذلك ما يلي:

١. دور الإنفاق في الحرب الإعلامية:

للإعلام دور بارز في حسم كثير من المعارك، وتفويت الفرصة على الأعداء المتربصين شراً بالإسلام، بل إن حسن إدارة المعركة الإعلامية؛ يجنب الأمة المسلمة حروباً طاحنة، ويثني الخصوم عن مخططاتهم، ويزرع الرعب في قلوبهم، تحقيقاً لوعد الله لنبيه ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر ... الحديث)^(٦٢٨) ، ولهذا تقوم الدول اليوم بعمل الاستعراضات العسكرية، والمناورات الحربية، وما ذلك إلا كجزء من الحرب النفسية التي تحقق من وراءها الدول أكثر مما تحققه بالحروب الفعلية، ومن المؤكد أن تلك الحرب الإعلامية - والاستعراضات جزء منها- تحتاج إلى أموال وميزانيات، وبدون الإنفاق وتشريع الزكاة بمصارفه المتعددة - والتي منها مصرف في سبيل الله- لن يتحقق ذلك.

٢. دور الإنفاق في إعداد الجيوش وخوض المعارك:

دعا القرآن إلى بذل المستطاع والأخذ بكل أسباب القوة، وتجهيز الجيوش بحالة تدفع الرهبة في قلوب الأعداء، فقال سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) (الأنفال: ٦٠) ، والآيات القرآنية ترسم للمسلمين منهج التعامل مع الأعداء، من الإعداد إلى النفير، إلى الثبات في المواجهة ثم الإثخان، فقال سبحانه: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة: ٤١) ، فإذا حدثت المواجهة ؛ دعاهم إلى الثبات بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الأنفال: ٤٥) ، وبعد ذلك الإثخان وشد الوثاق كما قال سبحانه: (فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) (محمد: ٤) ، ومن المؤكد أن كل هذه المواقف تحتاج إلى بذل الأموال، ولهذا كان الأمر ببذل الأموال في الجهاد ، فقال سبحانه في أكثر من موضع : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الأنفال: ٧٢) ، وقال سبحانه: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (التوبة: ٢٠) ، وقال سبحانه: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: ١٥) .

٣. دور الإنفاق في إرهاب الأعداء:

عندما حدد الإسلام مصارف الزكاة جعل منها مصرفاً ينفق على المؤلفة قلوبهم، فقال سبحانه: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٦٠) ، والمؤلفة قلوبهم هم: " الذين يراد تأليف قلوبهم بالاستمالة إلى الإسلام ، أو التثبيت عليه ، أو يكف شره عن المسلمين ، أو رجاء نفعهم في الدفاع عنهم ، أو نصرهم على عدو لهم ، أو نحو ذلك " (٦٢٩) . ومن البديهي أن هؤلاء المؤلفة قلوبهم - بشتى نوعياتهم- قد تم تجنيب المجتمع المسلم مواقفهم السلبية، وفي هذا حماية كبيرة للمجتمع المسلم من الخطر الخارجي، ومن ناحية أخرى فإن الأمر يحتاج أحياناً لتفتيت جبهة الأعداء الخارجية؛ في محاولة لإضعاف جبهتهم، والحد من شوكتهم، والتخفيف - بالتالي- من معاناة المؤمنين، ووطأة الأعداء عليهم، وهذا الأمر يتطلب بذل الأموال، وما في حكمها لتخذيّل الأعداء . ومن خلال هذه القضايا الثلاث، وهي: الإعلام والتأثير على معنويات الخصوم، والمواجهة العسكرية المباشرة، وتخذيّل الأعداء وتفتيت جبهتهم، والتي تعتمد - فيما تعتمد- على الإنفاق؛ أمكن حماية المجتمع المسلم والمحافظة على وجوده وبقائه.

وخلاصة الأمر: أن الإنفاق له تأثير بارز ودور هام في المجتمع، تمثل في إقامة المجتمع الإسلامي أساساً، ثم تطويره والرقى به بما يبني من جسور الأخوة، ويقضي على مظاهر التسول والسرقة والتعدي على حقوق الآخرين، وبما ينزع من صدور من أمراض الغل والحسد والبغضاء من جهة؛ والبخل والشح والأنانية من جهة أخرى، ثم المحافظة على استمراره ووجوده حتى لا ينهار تحت معاول الهدم من أعدائه.

الخاتمة

طوال الفترة التي استغرقها إعداد هذا العمل المتواضع ؛ صاحبني شعور غامر بمعية الله سبحانه وتعالى ، وإذ أقف على مشارف إنجازهِ ؛ أجعل وقفتي متوجة بحمد الله ، والثناء عليه ؛ أن وفقني إلى إتمامه ، راجياً منه سبحانه القبول ، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم ، وجهداً مبذولاً لخدمة هذا الدين ، ونقطة مؤثرة في بناء الإسلام العظيم ، ترفع من شأن العطاء ، وتدفع نحو زمرة المنفقين بمزيد من أهل البذل والجود .

ويسجل الباحث في هذه الوقفة أهم النتائج التي خلص إليها ، وأبرز التوصيات التي خرج بها كما يلي :

أولاً : النتائج :

يمكنني أن أخص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، وأبرزتها صفحات الرسالة من خلال الجوانب الآتية :

على صعيد النتائج الرقمية :

١ - جاء ذكر الإنفاق مصرحاً به في القرآن في ثلاثة وسبعين موضعاً - عبر سبع وخمسين آية ، جاءت في خمس وعشرين سورة - منها تسع وستون موضعاً بصيغ الفعل لينتاسب مع حال الإنسان ؛ من حيث حالتي اليسر والعسر ، والتنقل بينهما ، وكذلك أحوال الناس المختلفة ، ومنها واحد وأربعون موضعاً بصيغة المضارع ، لأن الإنفاق متجدد ومستمر ، فكلما توفرت الإمكانيات ، وواتت الظروف ؛ أنفق الإنسان .

٢ - ورد ذكر الإنفاق منسوباً إلى الله سبحانه وتعالى ، بلفظ الإنفاق في آية واحدة ، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة: ٦٤).

٣ - وردت الزكاة في القرآن اثنتان وثلاثون مرة، منها ستة وعشرون موضعاً من هذه الثلاثين جاءت مصحوبة بلفظ الصلاة .

على صعيد التعامل مع الأموال :

٤- الأمر في السراء والضراء يتبع قانوناً ثابتاً ، ويرجع إلى مشيئة الله سبحانه ، فهو الذي ينعم بالرحمة ويبتلي بالشدة ، ويبسط الرزق ويضيقه ؛ وفق سنته وبمقتضى حكمته . والتجويد خطة لا يفكر فيها إلا خسيس ، ولا ينتهجها إلا لئيم ، قد ترفع المولى عز وجل بجلاله وكماله عنها ، فهو يرزق أعدائه كما يرزق أوليائه وفق قدره سبحانه .

٥- الأموال التي تبذل للصد عن دين الله ، ومحاربة دعوته ودعائه ، لن تحقق نتائجها المرجوة منها ، بل ستعطى نتائج عكسية ، تعود بالحسرة والندم على منفيها ، ندماً على صعيدين ، الأول : في الدنيا ؛ لمن كتب له الحياة بعد المواجهة مع المؤمنين ، والثاني في الآخرة ؛ لمن تهاوى تحت أقدام الموحدين ، والأول صائر إلى ذات المصير لكن بعد حين .

٦- الإنفاق في الصد عن سبيل الله يتجاوز حدود الأموال المبذولة ؛ إلى كل جهد يبذل للصد عن دعوة الله: من مؤتمرات تعقد ، ومؤامرات تحاك ، ومكائد تحبك ؛ وذلك لأن كل شكل من أشكال محاربة دعوة الله ؛ يحتاج إلى المال ويقوم عليه . والمهم أن كل هذا المكر إلى زوال ؛ أياً كان ومهما تعاضم ، ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (إبراهيم:٤٦) ، والسنة الإلهية مطردة في إحاقه المكر السيئ بأهله ، ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر:٤٣).

٧- طرق نمو الأموال وزيادتها تتم وفق تعاليم الله عز وجل ، فهو الذي يبسط الرزق ويقبضه ، أما محاولة تنمية المال بعيداً عن منهج الله فهي محاولات بعيدة عن الفلاح ، ومصيرها الخسران .

٨- الله سبحانه يحق مكاسب المرابين ، ويربي صدقات المنفقين ، عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق ؛ أنّ الإنفاق ينقص المال وأنّ الربا يزيده ، فإنّ مادة الرزق وحصول ثمراته ، من الله تعالى ، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، وامتنال أمره .

٩- الأموال والأولاد ليست هي معيار القرب من الله ؛ ما لم تكن عملاً صالحاً ،
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا﴾ (سبأ: ٣٧) .

على صعيد الأولويات والخيارات :

١٠- كل ما يمكن بذله هو مادة للإنفاق، ومن هنا كانت بدائل الإنفاق أمام
الراغبين فيه متعددة متنوعة ، فالإنفاق يمتد ويتسع ليشمل أصنافاً مختلفة ، تتجاوز
الإنفاق المادي إلي إنفاق معنوي ، كإنفاق النفس و إنفاق الوقت و إنفاق الجهد .
١١- لا يتوقف الإنفاق على حال واحدة ؛ فكما أنه يؤدي في السر و العلن ؛
فإنه يؤدي في حالتي السراء والضراء ، فالإنفاق يتجاوب مع كل الإمكانيات ،
مرن يتكيف مع كل الظروف .

١٢- للإنفاق أولويات يجب مراعاتها حال الإنفاق ، سواء من ناحية مادة الإنفاق
نفسه ، أو من ناحية الجهة التي سينفق عليها، والأخيرة تأتي على قمة الأولويات،
لأن الشيء لا يعتد به إلا إذا وضع في موضعه وصادف مصرفه ، واحتياجات
الإنسان نفسه هي أولى الجهات ، وما زاد عنها فهو العفو الذي يبدأ بإنفاقه .

١٣- الخيارات واسعة أمام من يرغب في الإنفاق ، والمجالات مفتوحة
ومتعددة ، ولا حجة لمن يدعي أن هناك معوقات تحول بينه وبين الإنفاق ، فليس
للإنفاق طقوس خاصة يجب أن يؤدي بها، وإن كان له ضوابط شرعية يجب
أخذها بعين الاعتبار ، وليست له أزمان محددة لايجوز في غيرها، وإن كانت له
أوقات أرجى من أخرى ، ولا يقتصر على صنف معين ينفق منه بل يتسع ليشمل
أشياء عدة، منها المادي ومنها المعنوي ، ولا ينفق في جهة محددة لا يصح في
غيرها ، وإن كانت جهة أولى من أخرى ، فالإنفاق يتسم بالمرونة مما يجعل
المجال متسعاً أمام الراغبين فيه .

على صعيد الترغيب في الإنفاق :

١٤- ما من معنى سام، أو هدف إيجابي، أو فكرة نظيفة إلا كانت الزكاة واحدة من دعوماته، وعاملاً أساسياً في الوصول إليه .

١٥- الزكاة صفة مميزة من صفات المؤمنين، تأخذ دورها الواضح - مع غيرها من العوامل - في تحديد العلاقات بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين غيرهم، كما تساهم في إرساء معالم مجتمع متماسك متآخ، في حين تميز المنافقون بعدم الإنفاق، والدعوة إلى عدم الإنفاق، بل والتواصي بالتوقف عنه .

١٦- الإنفاق إحدى الصفات الأساسية الثابتة المميزة لطابع الجماعة المسلمة المختارة لقيادة البشرية، والتي يجب تحقيقها أولاً في الجماعة لكي تصبح بها صالحة للقيادة العملية .

١٧- الإنفاق أمر لا يخص فرداً دون آخر، بل هو باب للتنافس على كل واحد محاولة ولوجه؛ كلما توفرت الإمكانيات .

١٨- ضرورة التدافع للقضاء على الفساد، والمحافظة على كل قيمة نبيلة، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١)، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

١٩- التخلي عن الإنفاق يؤدي إلى انتشار الظلم في الأرض، والذي لن يسلم منه أحد بما في ذلك الممتنع عن الإنفاق، وذلك عندما يزداد سلطان الكافرين - مصدر الظلم على الأرض - بسبب تقاعس الصالحين عن الإنفاق وتأجيلهم له.

٢٠- المنفق يمارس تجارة رابحة مع الله، مضمونة النتائج، وسينال مقابل ما بذل أجره كاملاً، ويستوفي حقه غير منقوص، يجده عند إلهٍ عليمٍ بالنوايا، بصيرٍ بما قدم، لا تضيع لديه الحقوق، ولا تظلم عنده الخلائق، إضافة إلى أنه سينعم، دنياً وآخرة، بهدوءٍ نفسي، وراحةٍ بال، لا ينغصها قلقٌ على مستقبل، ولا ندمٌ على ماضٍ .

٢١- ضرب الأمثال واحد من أساليب الحث على الإنفاق، تناولته آيات القرآن الكريم لبيان جوانب متعلقة بالإنفاق، وذلك من خلال الصور التي يعرضها المثل،

فدعت إلى الإنفاق ورغبت فيه بصور مبهجة تثير الدافعية نحو البذل والعطاء ، ونفرت من الإنفاق الذي يخالطه الرياء، وذلك الذي يتبعه صاحبه بمنجل المن والأذى، فيحصد ما زرع ، فعرض المثل لكليهما صورة قاتمة منفرة، تفر منها النفوس السليمة .

على سعيد القبول عند الله :

٢٢- الإنفاق المعتد به هو ما كان خالصاً لوجه الله ، خالياً من أي شبهة للرغبة في الجزاء أو الشكر من قبل المنفق عليه ، فشرط قبول النفقة يعتمد على ما توارى خلفها من نية صاحبها ؛ حتى وإن وقعت في أي يد .

٢٣- الإنفاق كسلوك إيجابي يمارسه المسلم ؛ يحتاج إلى توجيه وتهذيب ، ليكون سلوكه أكثر صواباً ، وأقرب إلى طبيعة النفوس السوية ، فالتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامي ، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن .

على سعيد بناء الإنسان والمجتمع :

٢٤- الصدقة تؤثر في صاحبها فتمحو أخلاقاً وتكسب أخرى؛ تمحو الفاسد من الأخلاق، فتقضي على الشح والبخل وغيرها من سيئ الأخلاق، وتكسب الجود والإحسان والشعور بالآخرين .

٢٥- الإنفاق عامل مهم في إعداد النفوس، وبناء الأفراد، وتخريج المميزين القادرين على النهوض؛ لا بأنفسهم فقط، ولا بغيرهم فحسب، بل بأمم كاملة، وأجيال متلاحقة.

٢٦- الإنفاق له تأثير بارز ودور هام في المجتمع، تمثل في إقامة المجتمع الإسلامي أساساً، ثم تطويره والرقى به بما يبني من جسور الأخوة، ويقضي على مظاهر التسول والسرقة والتعدي على حقوق الآخرين، وبما ينزع من الصدور من أمراض الغل والحسد والبغضاء من جهة؛ والبخل والشح والأنانية من جهة أخرى، ثم المحافظة على استمراره ووجوده حتى لا ينهار تحت معاول الهدم من أعدائه.

ثانياً : التوصيات :

١- على أصحاب الأعدار ألا يتمسكوا بأول عذر يلوح في الأفق دون بذل الجهد في تقصي سائر بدائل الإنفاق ، علماً بأن منها ما هو في متناول الجميع ، إذا توفر الحرص وتواجدت الرغبة ، وعليهم كذلك حال قعودهم أن يتمثلوا بالإحسان الذي يقتضي منهم تقديم النصيحة ، وعدم الإرجاف ، ويقتضي أيضاً تشجيع المؤمنين لا تثبيطهم .

٢- الدعوة إلى رفض التعامل بأسلوب السلامة الأمنية ، فمحاربة الناس في أرزاقهم عقاباً لهم على قناعاتهم ؛ أسلوب خسيس لا يصدر إلا من لئيم ، وعلى كل مسلم - يتبنى الإسلام - أن يترفع عنه .

٣- ينبغي على المنفق أن يتحلى بالتواضع ، ويتفقد الضعفاء والمحتاجين ، حاملاً الرأفة والحنان لهم قبل الطعام أو الكساء .

٤- ينبغي على المنفق أن يتحرى أفضل ما عنده فينفق منه ؛ وخير ما لديه فيشارك الآخرين فيه .

٥- ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير ، وينوي فعل ما لم يقدر عليه ؛ ليثاب على ذلك ، ولعل الله يبسر له بسبب رجائه.

٦- اعتماد الإنفاق كجزء مهم من منهج تهيئة النفوس ، وتربية الأجيال على تحمل المسؤوليات ، وحفز الطاقات للمرحلة المقبلة خصوصاً عندما تحول الظروف بين المسلمين والممارسة العملية لشعائر الجهاد ، أو تقتضي الحكمة ذلك .

٧- العمل الجاد على توفير مصادر تمويل ذاتية ، وتوجيه الطاقات والكفاءات باتجاه بناء مؤسسة اقتصادية ، تساند الدعوة الإسلامية طوال مسيرتها ، سواءً وهي تعد لبناء مجتمع مسلم ، أو تعمل على تطويره بعد بناءه ، أو وهي تحميه من أعدائه .

٨- على الأخوة المربين القائمين على إصلاح النفوس وحثها على فعل الخير؛ ذكر الحالات الإيجابية، وعدم التوقف فقط عند السلبيات .

٩- المبادرة في الإنفاق وعدم التسويف أو التردد ، لأن الأحوال تتغير ، إما تغير دائم بانتهاء الأجل وانقطاع العمل ، و إما تغير مؤقت بذهاب الإمكانيات التي كانت متوفرة ، وفوات الفرص التي كانت سانحة متاحة ، وانقضاء الوقت الذي كان ملائماً ، وانفراج الموقف الذي كان ملحاً .

١٠- بذل الإمكانيات المتوفرة ، والعمل على إيجاد بدائل ، فإذا لم يتوفر المال العيني ، أو ما يقوم مقامه من متاع يحقق الغرض من الإنفاق ، لابد لنعذر أمام الله من استخدام البدائل المتاحة، ومنها القوة البدنية ، وملاك ذلك كله ، ضرورة توفر الحرص على الإنفاق .

١١- اعتماد المنهجية الآتية في الحث على الإنفاق :

أ- الدعوة إلى الإنفاق بصفات تحرك النفس وتحيي الضمائر .
ب- التذكير بفضل الله السابق ، وبأن الرزق المطالبين بالإنفاق منه ، قد تفضل الله به وأنعم .

ج- التأكيد على أن التخلي عن الإنفاق يؤدي إلى انتشار الظلم في الأرض ، والذي لن يسلم منه أحد بما في ذلك الممتع عن الإنفاق ، وذلك عندما يزداد سلطان الكافرين - مصدر الظلم على الأرض - بسبب تقاعس الصالحين عن الإنفاق وتأجيلهم ، فعلى كل صاحب تفكير سوي ألا يتردد أو يسوف في الإنفاق .

١٢- اعتماد الخطوط العريضة الآتية في معالجة الشح والبخل الفطريين المؤديين إلى التردد في الإنفاق :

- أ- التأكيد على الغنى الإلهي .
- ب- إبراز الضعف والفقر البشري .
- ج- بيان أن الضرر والخسران عائد فقط على البخيل الممتع عن الإنفاق .
- د- التهوين من شأن هذه الحياة الدنيا .
- هـ- الإعلام بوجود حالات البخل ضمن دائرة البذل ، إذ أن وجود القدوات أمام الإنسان يحثه ويشجعه على إتباع المسلك السوي .

وفي الختام :

فإنني أسأل الله العظيم قبول هذا العمل ، خالصاً لوجهه الكريم ،
وأن ينفع به المسلمين ، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

الفهارس

وتشتمل على الفهارس الآتية :

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

ثالثاً :. فهرس الأعلام .

رابعاً :. المصادر والمراجع .

خامساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
سورة البقرة			
١٨٣-٢٠٣	٢	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ.....﴾	١
ح-١٠-٣٩-٦٧- ١٨٣-١٩٩-٢٠٣	٣	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ..﴾	٢
١٨٣	٥ ، ٤	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾</td <td>٣</td>	٣
٢١٢	١٧ ، ١٦	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى..﴾	٤
٢٠٤	٤٠ إلى ٤٢	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾</td <td>٥</td>	٥
٢٠٤-٨٥	٤٣	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.....﴾	٦
١٠٥	٦٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾	٧
٢٠٤-١٨٩-٨٥	٨٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾</td <td>٨</td>	٨
ب-٢٢-٦٢-٨٦- ١٧٥	١١٠	﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ ﴾</td <td>٩</td>	٩
-١٨٥-١٨٢-٨٩ -١٩٧-١٩٥-١٨٧ ٢٠٤	١٧٧	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ.﴾	١٠
١٣٨	١٩٠	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾	١١
١٣٨	١٩٤ ، ١٩٣	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً.....﴾	١٢
١٤٥-٦٩-١٠	١٩٥	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾	١٣
١٩٧	١٩٦	﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ ...﴾	١٤
٢٤٦-١٣١-٧٣	٢١٥	﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ.....﴾	١٥
١٣٢	٢١٩	﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ.....﴾	١٦
١٦٨	٢٤٣، ٢٤٤	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ.....﴾	١٧
١٦٨ ، ١٦٧	٢٤٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾	١٨
١٦٨	٢٤٦	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.....﴾	١٩
٢٥٩-١٥١-٥٧	٢٥١	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ.....﴾	٢٠
١٥١	٢٥٣	﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ.....﴾	٢١
-١٥٠-١٢٧-٦٦ ٢١٤	٢٥٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ...﴾	٢٢

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
٢١٤	٢٦٠	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي.....﴾	٢٣
ب-٤٠-١٢٧-٢١٩- ٢٢٧	٢٦١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ.....﴾	٢٤
٢٣١-٢٣٢-١٧٥-٤٠	٢٦٢	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾	٢٥
٢٣٢-١٥٣	٢٦٣	﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ...﴾	٢٦
١١-١٢٨-١٥٣- ١٥٤-٢١٤-٢٣١- ٢٣٢	٢٦٤	﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ.....﴾	٢٧
-٢١٩-٢١٦-١٢٨ ٢٢٨	٢٦٥	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً.....﴾	٢٨
٢١٧	٢٦٦	﴿أَبَوْدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةً.....﴾	٢٩
١٢٧-٦٩-٣٩	٢٦٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا.....﴾	٣٠
١٢٧	٢٦٨	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ...﴾	٣١
١٢١	٢٧١	﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ.....﴾	٣٢
٢٢٨-١٧٤-١٧٢-٣٩	٢٧٢	﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي.....﴾	٣٣
١٧٦-١٢٨-١١٩-٣٩	٢٧٤	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.....﴾	٣٤
١٦٩	٢٧٦	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ.....﴾	٣٥
-١٩٧-١٧٦-٨٩ ٢٠٤-١٩٩	٢٧٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.....﴾	٣٦
١٧٢	٢٨٠	﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ...﴾	٣٧
سورة آل عمران			
١٩١	١٥ ، ١٦	﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ.....﴾	٣٨
١٩١-٦٩	١٧	﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ...﴾	٣٩
٢١٤	٣٠	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ...﴾	٤٠
٢١٠	٦٢	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ.....﴾	٤١
٢٣٤-١٣٠	٩١	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ.....﴾	٤٢
١٢٩-٦٣	٩٢	﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...﴾	٤٣
٢١٩	١١٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ.....﴾	٤٤
٢١٩-٧٠	١١٧	﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	٤٥
١٢٢	١٣٣	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ.....﴾	٤٦
١٢٣-٧٠-٣٩-١٠	١٣٤	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.....﴾	٤٧
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
١٢٣	١٣٥ ، ١٣٦	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ...﴾	٤٨

سورة النساء			
٩٥	٢	﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ.....﴾	٤٩
٩٦	٤	﴿وَأَتُوا النَّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾	٥٠
٩٦	٦	﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ.....﴾	٥١
٩٧	١٩ إلى ٢١	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا...﴾	٥٢
٩٦	٢٥	﴿فَأَنكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتوهنَّ أَجْرَهُنَّ﴾	٥٣
٩٦-٤٣	٣٤	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.....﴾	٥٤
٢٣٠-١٩٠	٣٦	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.....﴾	٥٥
٢٣١-١٥٥	٣٧ - ٣٨	﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ...﴾	٥٦
١٥٥-٦٧	٣٩	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٥٧
١٧١-١٥٥	٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.....﴾	٥٨
٢٥٢	٥٤	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ...﴾	٥٩
٨٧	٦٦	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ.....﴾	٦٠
٢٥١-٨٦	٧٧	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ...﴾	٦١
٩٩	٩٢	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾	٦٢
٩٨	٩٥، ٩٦	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.....﴾	٦٣
١٩٧-١٩٣	١١٤	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ.....﴾	٦٤
١٤٨	١٣٣	﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ.....﴾	٦٥
١٨٣-٨٦	١٦٢	﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.....﴾	٦٦
سورة المائدة			
١٨٣-٨٥	١٢	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.....﴾	٦٧
١٩٩-١٨٢-٨٩	٥٥	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.....﴾	٦٨
ر-١١-٣١-٣٨-٢٥٦	٦٤	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ.....﴾	٦٩
سورة الأنعام			
٦	٣٥	﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾	٧٠
٢١٢	١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ.....﴾	٧١
مسلسل	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٢	﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾	١٢٤	٥٥
٧٣	﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾	١٣٣	١٤٩

٧٩	١٤١	﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾	٧٤
٤١	١٦٢	﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾	٧٥
سورة الأعراف			
١٠٤	٥٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ... ﴾	٧٦
١٠٧	١٢٩	﴿ ... فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾	٧٧
١٠٥	١٤٥	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٧٨
٧٦	١٥٧، ١٥٦	﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ..... ﴾	٧٩
٢٠٩	١٧٦	﴿ ... فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ..	٨٠
١٠٣	١٨٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾	٨١
سورة الأنفال			
٢٠٥	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ..... ﴾	٨٢
٢٠٥-١٩٩	٣	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾	٨٣
٢٠٥	٤	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا..... ﴾	٨٤
٣٩	٦	﴿ وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾	٨٥
٢٠٦	٣٤	﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ ... ﴾	٨٦
٢٠٥-٢٠١	٣٥	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ ﴾	٨٧
١١-١٤-١٦-٣٩-	٣٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ..... ﴾	٨٨
٢٠٥-٢٠١-٥٤			
٥٦	٣٧	﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾	٨٩
٥٧	٣٨	﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا ﴾	٩٠
٥٧	٣٩	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	٩١
٢٥٤	٤٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا... ﴾	٩٢
٦٥-١٠٦-١٧٤-	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ ﴾	٩٣
٢٥٤			
٢٥٤	٧٢	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا... ﴾	٩٤
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
سورة التوبة			
٨٧-٢٠٦	٥	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ ﴾	٩٥
٨٨-٢٠٦	١١	﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ... ﴾	٩٦
٨٩-١٨٢	١٨	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ..... ﴾	٩٧

٢٥٤	٢٠	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا.....﴾	٩٨
١٤٩	٣٩	﴿إِلَّا تَتَفَرُّوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ...﴾	٩٩
٢٥٤	٤١	﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ...﴾	١٠٠
٢٤٠	٤٦	﴿وَلَوْ أَرَأَوُا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً....﴾	١٠١
-٢٣٤-٢٠٦-٦٤ ٢٤٠	٥٣	﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ.﴾	١٠٢
-٢٠٦-١٩٩-٧٠ ٢٤٠-٢٣٤	٥٤	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ.....﴾	١٠٣
٢٥٤-١٤١-١١٤	٦٠	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ.....﴾	١٠٤
٩١	٦٧	﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ.﴾	١٠٥
١٩٤-٨٩	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ...﴾	١٠٦
١٨٠-١٥٨-١٠٦	٧٩	﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..﴾	١٠٧
٢٣٩	٨٧ ، ٨٦	﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ.....﴾	١٠٨
٢٣٧-١٦٠-٧٠	٩٢ ، ٩١	﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى..﴾	١٠٩
٥٢	٩٧	﴿الْأَعْرَابِ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا.....﴾	١١٠
٧٠-٥٣-٥٢-٥١	٩٨	﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾	١١١
٧٠-٥٣-٥١	٩٩	﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ.....﴾	١١٢
٢٤٥	١٠٢	﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا..﴾	١١٣
٢٤٥-٢٠١-٥٣	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ.....﴾	١١٤
٩٩	١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ.....﴾	١١٥
١٦٣-١٠٧-١٠٠	١٢٠	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ.....﴾	١١٦
١٦٣-١٠٧-١٠٠-ب	١٢١	﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً.....﴾	١١٧
سورة يونس			
١٠٢	٤٥	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً...﴾	١١٨
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
سورة هود			
٤٤	٦٩	﴿... فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.....	١١٩
٢٠١	٨٧	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً...﴾	١٢٠
٣٨	١٠٨	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ.....﴾	١٢١
سورة يوسف			
١٧٦	٨٨	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ.....﴾	١٢٢

٧٠-١٠-٨-٣	١٠٠	﴿إِذَا لَأْمَسْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ.....﴾	١٤٣
سورة الكهف			
٢١٠	١٣	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ.....﴾	١٤٤
٤٦	٢٨	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ.....﴾	١٤٥
٤٥	٣٤	﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ.....﴾	١٤٦
٤٦	٣٥	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ.....﴾	١٤٧
٤٧-٤٦	٣٦	﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً.....﴾	١٤٨
٤٧	٣٨ ، ٣٧	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ.....﴾	١٤٩
٤٨	٤٠ ، ٣٩	﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ..﴾	١٥٠
٧١-٤٥-٣٩-١٠	٤٢	﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا...﴾	١٥١
٨٢	٨١ ، ٨٠	﴿وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ آبَؤُهُ مُؤْمِنِينَ.....﴾	١٥٢
٤٩	٩٥ إلى ٩٣	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ.....﴾	١٥٣
٥٠	٩٨ إلى ٩٦	﴿أَثُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ.....﴾	١٥٤
سورة مريم			
٨٣	١٢ ، ١١	﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ...﴾	١٥٥
٢٠٢-٨٠	٣١	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي...﴾	١٥٦
٨١	٥٥ ، ٥٤	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ.....﴾	١٥٧
سورة طه			
٣٧	٥٠	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ...﴾	١٥٨
١٠٢	١٠٢ إلى ١٠٤	﴿يَوْمَ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ .﴾	١٥٩
٢٥٢	١٣١	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا..﴾	١٦٠
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
سورة الأنبياء			
١٠٣	٤٠	﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَبْطِعُونَ...﴾	١٦١
١٩٠-٧٥	٧٣	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا.....﴾	١٦٢
سورة الحج			
٢١٣	٦ ، ٥	﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا...﴾	١٦٣
١٩٣	٣٤	﴿.....فَالِهَكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا فَلَهُ أَسْلِمُوا.....﴾	١٦٤

١٩٩-١٩٣	٣٥	﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.....﴾	١٦٥
٢٥٩-٥٨	٤٠	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ.....﴾	١٦٦
١٩٨-١٩٤-٨٩	٤١	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ.....﴾	١٦٧
٩٩	٥٥	﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ.....﴾	١٦٨
٩٣	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾	١٦٩
سورة المؤمنون			
١٩١-٨٢	١	﴿فَدَأْفَلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.....	١٧٠
٢٠٠-١٩١-٨٢	٢	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.....	١٧١
١٩١-٨٢	٣	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾....	١٧٢
٢٠٠-١٩١-٨٢	٤	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.....	١٧٣
١٩١	٥ إلى ٨	﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ.....وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	١٧٤
٢٠٠-١٩١	٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	١٧٥
١٩١	١٠ ، ١١	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ﴾.....	١٧٦
١٠٤	٩٩ ، ١٠٠	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ.....﴾	١٧٧
١٠٥	١٠٨	﴿قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تَكْمُنُوا﴾	١٧٨
١٠٢	١١٢ إلى ١١٤	﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ.....لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١٧٩
سورة النور			
٢١٢	٣٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾	١٨٠
١٩٦-٩٠	٣٧	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن.....﴾	١٨١
٢١٣	٣٩ ، ٤٠	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ...﴾	١٨٢
٩٤	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا.....﴾	١٨٣
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
١٩٥-٩٣	٥٦	﴿.... وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ.....﴾	١٨٤
٩٤	٥٧	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا...﴾	١٨٥
سورة الفرقان			
٤١	٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ.....﴾	١٨٦
٢٤٢-٧١	٦٧	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا..﴾	١٨٧
سورة النمل			
٢٠٥-١٩٨-٧٦	٢ ، ١	﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ*...﴾	١٨٨
٢٠٥-١٩٨-٧٦-٦٨	٣	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾	١٨٩
سورة القصص			

٦٨	٥٤	﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾	١٩٠
سورة العنكبوت			
٢١٣	٤١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ..﴾	١٩١
٢١٩	٤٣	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ..﴾	١٩٢
٣٣	٦١	﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ..﴾	١٩٣
٣٣	٦٢	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾	١٩٤
٣٣	٦٣	﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾	١٩٥
سورة الروم			
٣٤	٣٦	﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا.....﴾	١٩٦
٧٢-٣٤	٣٧	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ..﴾	١٩٧
٢٥٠-١٣٣-٧٢	٣٨	﴿فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ ..﴾	١٩٨
٧٧-٧٢	٣٩	﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُّو فِي أَمْوَالِ ..﴾	١٩٩
١٠٣	٥٥	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ..﴾	٢٠٠
سورة لقمان			
٢٠٥-١٩٨	١	﴿الم﴾	٢٠١
٢٠٥-١٩٨-٧٧	٣ ، ٢	﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً...﴾	٢٠٢
٢٠٥-١٩٨-٧٧-٦٨	٤	﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾	٢٠٣
٢٠٥	٥	﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ ...﴾	٢٠٤
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
سورة السجدة			
١٩٧-١٩٦-٦٢	١٦	﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ ...﴾	٢٠٥
سورة الأحزاب			
١٩٥-٩٣	٣٣	﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ..﴾	٢٠٦
١٩٢	٣٥	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ ..﴾	٢٠٧
سورة سبأ			
٦٥-٣٤	٣٥	﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ..﴾	٢٠٨
٣٤	٣٦	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾	٢٠٩
٢٥٨-٦٥-٣٤	٣٧	﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ ...﴾	٢١٠
١٧١-٦٥-١٩	٣٩	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ..﴾	٢١١
سورة فاطر			
٥٥	١٠	﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ ..﴾	٢١٢

١٧٣	١٨	﴿ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ﴾.....	٢١٣
١١٩-١٧٦-١٩٦-١٩٩	٢٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾.....	٢١٤
١١٩	٣٠	﴿ لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ... ﴾	٢١٥
١٠٥	٣٧	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا ﴾.....	٢١٦
٥٥	٤٢	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾.....	٢١٧
٢٥٧-٥٦-٥٥	٤٣	﴿ اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾.....	٢١٨
سورة يس			
٥١	٢٠	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ ﴾.....	٢١٩
٦٦	٤٧	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾.....	٢٢٠
سورة ص			
٣٦	٣٩	﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ﴾.....	٢٢١
٣٦	٤٠	﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾.....	٢٢٢
سورة الزمر			
٢٠٩	٢٧	﴿ وَتَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾.....	٢٢٣
		الآية	مسلسل
رقم الصفحة	رقم الآية		
سورة فصلت			
٧٨	٧ ، ٦	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾.....	٢٢٤
١٧٢	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾.....	٢٢٥
سورة الشورى			
٣٥	٢٧	﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ﴾..	٢٢٦
٢٤٧-١٩٢	٣٧ ، ٣٦	﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾	٢٢٧
٢٤٧-١٩٩-١٩٢	٣٨	﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ .. ﴾	٢٢٨
٢٤٧-١٩٢	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ .. ﴾	٢٢٩

سورة الزخرف			
٢٣٠	﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ... ﴾	٣٢	٤٥
سورة محمد			
٢٣١	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ... ﴾	٤	٢٥٤
٢٣٢	﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ... ﴾	٣٦	١٤٧
٢٣٣	﴿ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٣٨	١٤٨-١٤٥-٧١ ١٤٩-٢٣١
سورة الحجرات			
٢٣٤	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	١٥	٢٥٤-١٠٠
سورة ق			
٢٣٥	﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ... ﴾	٦ إلى ١١	٢١٣
سورة الذاريات			
٢٣٦	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... ﴾	١٥ إلى ١٩	٢٤٩-٢٤٧
٢٣٧	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ... ﴾	٢٤ إلى ٢٧	٤٣
سورة الطور			
٢٣٨	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ... ﴾	٢١	١٢١
سورة الحديد			
٢٣٩	﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا... ﴾	٧	١٤٣-٧٢-٦٩-١٠
٢٤٠	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾	٨	١٤٤
٢٤١	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾	١٠	١٤٤-١٢٣-٧١-١٠
مسلسل	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٢	﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ... ﴾	١٨	١٦٩
سورة المجادلة			
٢٤٣	﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ... ﴾	٣ ، ٤	١٩٧
٢٤٤	﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ... ﴾	١٣	١٩٥-٩٣
سورة الحشر			
٢٤٥	﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾	٩	٢٥١-٢٤٦
٢٤٦	﴿ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَرُونَ ﴾	٢١	٢٠٩
سورة الصف			
٢٤٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ... ﴾	١٠ إلى ١٣	١٠١
سورة المنافقون			

٢٥٣-١٧٩-١٧٨	٧	﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾	٢٤٨
٦٦	٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ.....﴾	٢٤٩
ح-٦٦-١٠١-١٠٤- ١٥٠	١٠	﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ.....﴾	٢٥٠
١٥٢-١٠٤-١٠١	١١	﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا.....﴾	٢٥١
سورة التغابن			
١٤٢	١٥ ، ١٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ.....﴾	٢٥٢
١٧٢-١٤٢	١٦	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا.....﴾	٢٥٣
١٦٩-١٤٣	١٧	﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه...﴾	٢٥٤
سورة الطلاق			
٤٢-١٠	٧ ، ٦	﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ...﴾	٢٥٥
سورة القلم			
٢٢٢	٨ إلى ١٦	﴿فَلَا تَطِعِ الْمُكَذِّبِينَ* وُدُّوا لَوْ نَذَهُنَّ.....﴾	٢٥٦
٢٢٠	١٧ إلى ٣٣	﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ....﴾	٢٥٧
سورة المعارج			
٢٠١	٢٠ ، ١٩	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ..﴾	٢٥٨
٢٠١-١٨٦	٢١	﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.....	٢٥٩
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	مسلسل
٢٠١	٢٣ ، ٢٢	﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ.....﴾	٢٦٠
٢٥٠-٢٠١	٢٥ ، ٢٤	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ*.....﴾	٢٦١
٢٠١	٣٤	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾....	٢٦٢
سورة المزمل			
٢٥٠	١ إلى ٥	﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ* قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا*.....﴾	٢٦٣
١٥١-٧٩-٦٣-٢٢- ١٦٩-١٧٥-١٩٦- ١٩٧	٢٠	﴿وَمَا تَقْدُمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ.....﴾	٢٦٤
سورة المدثر			
٢٠٧	٤٢	﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾.....	٢٦٥
٢٠٧-٢٠٠	٤٤ ، ٤٣	﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نَطْعُمْ..﴾	٢٦٦
سورة الإنسان			

٢٦٧	﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا....﴾	٨	١٢٥
٢٦٨	﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ....﴾	٩	٢٢٧
سورة النبأ			
٢٦٩	﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾.....	٣٦	٣٨
سورة الفجر			
٢٧٠	﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.....	٢ ، ١	١٠١
٢٧١	﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُونَ ..﴾	١٨ ، ١٧	٧٦
سورة الليل			
٢٧٢	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾.....	٢ ، ١	١٠٢
٢٧٣	﴿فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ.....﴾	٥ إلى ١١	٢٤٨
سورة الضحى			
٢٧٤	﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.....	٢ ، ١	١٠٢
٢٧٥	﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مَنَ الْوَالِي * وَلَسَوْفَ ...﴾	٥ ، ٤	٣٦
سورة البينة			
٢٧٦	﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ....﴾	٥	١٨٩-٨٤
مسلسل	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزلزلة			
٢٧٧	﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *.....﴾	٨ ، ٧	١٠٧
سورة العصر			
٢٧٨	﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ *إِلَّا.....﴾	١ إلى ٣	١٠١
سورة الماعون			
٢٧٩	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾.....	١	٢٠٧
٢٨٠	﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ...﴾	٢ إلى ٥	٢٠٧-٢٠١
سورة الكوثر			
٢٨١	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.....	١	٣٦-٢٧

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث	مسلسل
١٣٢	ابدأ بنفسك فتصدق عليها	- ١
٢٥٣	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	- ٢
١٠٩	أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة	- ٣
١٥٦	إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد	- ٤

٢٣٧-١٦٢	إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً.....	-٥
١٥٠	أن تصدق وأنت صحيح شحيح.....	-٦
١٤٢	أن تعبد الله كأنك تراه.....	-٧
٢١٠	انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم.....	-٨
١٨٠	إن الله قد صدقك.....	-٩
٥٨	بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح.....	-١٠
١٧٨	بني الإسلام على خمس.....	-١١
٢٣٢-٤	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة.....	-١٢
١٣٣	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى.....	-١٣
١٦١	الدين النصيحة.....	-١٤
١٥٥	على كل مسلم صدقة.....	-١٥
٧٤	فإن الله - عز وجل - افترض قيام الليل.....	-١٦
١١٤	فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر.....	-١٧

٢٢٩	قال رجل: لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته.....	- ١٨
١٧٢	كان رجل يداين الناس	- ١٩
١٣٣	كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم	- ٢٠
١٢٥	لا تسبوا أحداً من أصحابي	- ٢١
٢٣٦	لا حسد إلا في اثنتين.....	- ٢٢
١٠٥-٨٣	لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر <small>رضي الله عنه</small>	- ٢٣
١٥٨	لما نزلت آية الصدقة.....	- ٢٤
١٧٠	ما تصدق أحد بصدقة من طيب.....	- ٢٥
رقم الصفحة	الحديث	مسلسل
١٧٠	ما من يوم يصبح العباد فيه.....	- ٢٦
٢١٠-٩٢	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم.....	- ٢٧
١١٩	المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه.....	- ٢٨
١٠١	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس.....	- ٢٩
٢٣٧	من دل على خير فله مثل أجر فاعله.....	- ٣٠

١١٥	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	-٣١
١٤٠	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال نزلت في النفقة.....	-٣٢
٢٣٤	بالكافر يوم القيامة.....	-٣٣

ثالثاً : فهرس الأعلام

• تنبيهات

- (أ) ذَكَرَ الباحث ترجمة موجزة مع كل علم تنميماً للفائدة .
- (ب) العلم المشهور بشهرة معينة يرد مرتين الأولي حسب ترتيب اسمه الأصلي والثانية حسب ترتيب اسم الشهرة .
- (ج) أورد الباحث الترجمة الموجزة عند اسم الشهرة ، أما عند الاسم الأصلي فيذكر اسم الشهرة ورقمه المسلسل للرجوع إليه .
- (د) يلغى في الترتيب اعتبار : ال ، ابن ، أبو ، أم ، ابن أبي ، ذو .
- (هـ) اقتصر الباحث على غالبية الأعلام الواردة في متن الرسالة دون الحواشي.

١ - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (انظر ابن فارس رقم ٣٨)

٢ - الأزهري : العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي ، اللغوي الشافعي ، ارتحل في طلب العلم ، وكان رأساً في اللغة والفقه ، ثقة ثبتاً دينياً ، مات سنة ٣٧٠هـ .
(ص ٨)

٣ - أسلم بن يزيد : أبو عمران التجيبي المصري، مولى عمير بن تميم جد التجيبي ، كان وجيهاً بمصر في أيامه، وكان الأمراء يسألونه في حوائجهم .

(ص ١٣٨)

٤ - الأصفهاني : الحسين بن محمد المفضل أبو القاسم الأصفهاني ، (أو الأصبهاني) ، المعروف بالراغب ، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصفهان ، سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرب بالإمام الغزالي ، توفي سنة ٥٠٢ هـ .

(ص ٧)

٥ - أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري ؛ صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ؛ مولده في المدينة وأسلم صغيراً وخدم الرسول ﷺ إلى أن قبض ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة فمات فيها سنة ٩٣ هـ .

(ص ٦٤ ، ٢٣٤)

٦ - أبو أيوب الأنصاري : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة أبو أيوب الأنصاري، من بني النجار : صحابي شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد ، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية صحبه أبو أيوب غازياً فحضر الوقائع ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو فلما توفي دفن في أصل حصن القسطنطينية سنة ٥٢ هـ .

(ص ١٣٨ ، ١٣٩)

٧ - البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله، حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، ولد في بخارى ونشأ يتيماً ؛ وأقام فيها ؛ وأخرج إلى خرقنك (من قرى سمرقند) فمات فيها سنة ٢٥٦ هـ .

(٦٤ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،

٢١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣)

٨ - أبو بكر بن إفريقيش (انظر ذو القرنين رقم ٤١)

٩ - الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى الترمذي ، أبو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، من أهل ترمذ ، مات بها سنة ٢٧٩ هـ .

(ص ١٣٨ ، ١٤٠)

١٠- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي : صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفي سنة ٧٨هـ .

(ص ١٣٢ ، ١٦٢ ، ٢٣٧ ،

٢٥٣)

١١- الجزيري : عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري : فقيه من علماء الأزهر ولد بجزيرة شندويل (مركز سوهاج) بمصر ، وتعلم في الأزهر ، وتوفي بحلول سنة ١٣٦٠هـ .

(ص ٩)

١٢- حذيفة بن اليمان : هو حذيفة بن جسل بن جابر العبسي أبو عبد الله ، (واليمان لقب جسل) : صحابي من الولاة الشجعان الفاتحين كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين ، توفي في المدائن سنة ٣٦هـ .

(ص ١٤٠)

١٣- الحسين بن محمد المفضل (انظر أبو القاسم الأصفهاني رقم ٤)

١٤- خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة (انظر أبو أيوب الأنصاري رقم ٦)

١٥- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام وليث المشاهد ؛ أبو سليمان القرشي المخزومي المكي ؛ هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً فشهد غزوة مؤتة، وشهد الفتح وحنين ، وحارب أهل الردة ومسيلمة وغزا العراق واستظهر ؛ وشهد حروب الشام ، توفي بحمص سنة ٢١هـ .

(ص ١٢٥)

١٦- الزمخشري : العلامة كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ؛ ولد في زمخشر من عمل خوارزم ؛ وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، وله نظم جيد ، مات ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ .

(ص ٦٣)

١٧- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأنصاري الخزرجي ، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع علي ، وكان من خواص أصحابه ، ومات بالكوفة أيام المختار سنة ٦٦هـ .

(ص ١٧٩)

١٨- زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي (انظر أبو طلحة الأنصاري رقم ٢٨)

١٩- سعد بن مالك بن سنان الأنصاري (انظر أبو سعيد الخدري رقم ٢٣)

٢٠- **سعدى أبو جيب** : ولد في دمشق عام ١٣٥١هـ — ١٩٣٢م ، نال إجازة الحقوق ، وإجازة الشريعة من جامعة القاهرة ، تولى القضاء عام ١٣٧٩هـ — ١٩٦٠م ، وهو الآن مستشار في الغرفة الشرعية في محكمة النقض ، محاضر في كلية الحقوق بجامعة دمشق . (ص ٨)

٢١- **السعدى** : الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدى من قبيلة تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم وتوفي بها عام ١٣٧٦هـ . (ص ١٤١ ، ١٥٣ ، ٢٤٦)

٢٢- **سعيد بن أبي بردة** : هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيتها، كان راوية فصيحاً أدبياً ولاءه خالد القسرى سنة ١٠٩هـ ، فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥هـ فعزله وحبسه فمات سجيناً سنة ١٢٦هـ . (ص ١٥٥)

٢٣- **أبو سعيد الخدري** : سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله ﷺ ، غزا مع رسول الله ﷺ، اثنى عشر غزوة ، وكان من نجباء الصحابة وعلمائهم وفضلاتهم ، مات في المدينة سنة ٧٤هـ . (ص ١٢٥)

٢٤- **الشوكاني** : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني : فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ؛ وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها سنة ١٢٥٠هـ . (ص ٧٨ ، ١٤٠ ، ٢٤٢)

٢٥- **الصنعاني** : محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ، ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم عز الدين ؛ مجتهد من بيت الإمامة في اليمن ، نشأ وتوفي بصنعاء سنة ١١٨٢هـ . (ص ٩)

٢٦- **الطاهر ابن عاشور** : هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، ولد بالمرسى من ضواحي العاصمة تونس سنة ١٢٩٦هـ — ١٨٧٩م ، التحق بجامع الزيتونة الأعظم ؛ تقلد وظائف قضائية وشرعية حتى أصبح كبير أهل الشورى ، ثم شيخ الإسلام المالكي ، توفي سنة ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م . (ص ٣٦)

٢٧- **الطبري** : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد أبو جعفر الطبري ، من آمل طبرستان ، مولده سنة ٢٢٤هـ ، طلب العلم وأكثر الترحال ، ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ؛ المؤرخ المفسر الإمام ، ولد في ، واستوطن بغداد وتوفي سنة ٣١٠هـ ، ودفن في داره برحبة يعقوب ببغداد .

(ص ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٨ ، ١٤٠ ، ٢٤٥)

٢٨- **أبو طلحة الأنصاري** : صاحب رسول الله ﷺ ؛ أحد أعيان البدرين ، وأحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة ، واسمه زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي النجاري ؛ قيل أنه غزا بحر الروم فتوفي في السفينة والأشهر أنه مات بالمدينة سنة ٣٤هـ .
(ص ٦٣ ، ٦٤)

٢٩- **عائشة أم المؤمنين** : بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشية ، زوجة النبي ﷺ أفضه نساء الأمة على الإطلاق ، وتوفيت بالمدينة سنة ٥٨هـ .
(ص ٧٩)

٣٠- **عبد الرحمن بن صخر الدوسي** (انظر أبو هريرة رقم ٥٨)

٣١- **عبد الرحمن بن عوف** بن عبد الحارث أبو محمد الزهري القرشي : صحابي من أكابرهم ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم وأحد السابقين إلى الإسلام ، ووفاته في المدينة سنة ٣٢هـ .
(ص ١٢٥ ، ١٧٨)

٣٢- **عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري** (انظر الجزيري رقم ١١)

٣٣- **عبد الرحمن بن ناصر السعدي** (انظر السعدي رقم ٢١)

٣٤- **عبد الله بن أبي بن سلول** : عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب المشهور بابن سلول وسلول جدته لأبيه من خزاعة ، رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة كان سيد الخزرج في جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقيّة توفي سنة ٩هـ .
(ص ١٧٩)

٣٥- عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن : صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية ، كان جريئاً جهيراً نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة ، ومولده ووفاته فيها سنة ٧٣هـ .

(ص ١١٤ ، ١٧٨ ، ٢١٠)

٣٦- عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري (انظر أبو مسعود الأنصاري رقم ٤٣)

٣٧- عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (انظر ابن كثير رقم ٤٢)

٣٨- ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو حسين ، من أئمة اللغة والأدب ، أصله من قزوين ، وأقام مدة في همدان ، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها ، وإليها نسبته ، توفي سنة ٣٩٥هـ .

(ص ٣ ، ٦)

٣٩- الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي ، من أئمة اللغة والأدب ، ولد بكارزين من أعمال شيراز ؛ وارتحل إلى زبيد ، وتوفي فيها سنة ٨١٧هـ .

(ص ٣ ، ٧)

٤٠- القرطبي : الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي ، كان إماماً عالماً من الغواصين على معاني الحديث ، توفي بمنية بني خصيب من صعيد مصر سنة ٦٧١هـ .

(ص ٦٤ ، ١٢١ ، ١٤٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،

٢٤٢)

٤١- ذو القرنين : اسمه أبو بكر بن إفريقيش من الدولة الحميرية (من سنة ١١٥ ق.م إلى ٥٥٢ ب.م) التي يسمى ملوكها بالتبابعة جمع تبع ، وكان ملكاً صالحاً .

(ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠)

٤٢- ابن كثير : الحافظ الكبير عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ، كان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم ؛ انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، توفي في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية سنة ٧٧٤هـ .

(ص ٧٨ ، ٧٩)

٤٣- أبو مسعود الأنصاري : عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري ، أبو مسعود من الخزرج ، صحابي شهد العقبة وأحد وما بعدها ، ونزل الكوفة وكان من أصحاب علي فاستخلفه عليها لما سار إلى صفين وتوفي فيها سنة ٤٠هـ .

(ص ١٥٨ ، ٢٣٧)

٤٤- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (انظر القرطبي رقم ٤٠)

٤٥- العلامة محمد بن أحمد أبو منصور الأزهري (انظر الأزهري رقم ٢)

٤٦- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (انظر البخاري رقم ٧)

٤٧- محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (انظر الصنعاني رقم ٢٥)

٤٨- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (انظر الطبري رقم ٢٧)

٤٩- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (انظر الطاهر ابن عاشور رقم ٢٦)

٥٠- محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين (انظر المناوي رقم ٥٦)

٥١- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (انظر الشوكاني رقم ٢٤)

٥٢- محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي (انظر الترمذي رقم ٩)

٥٣- محمد بن يعقوب (انظر الفيروز آبادي رقم ٣٩)

٥٤- محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (انظر الزمخشري رقم ١٦)

٥٥- مسلم بن الحجاج : الإمام الكبير الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري ، ولد سنة ٢٠٤هـ بنيسابور ، ثقة من الحفاظ ، وتوفي في شهر رجب سنة ٢٦١هـ بنيسابور .

(ص ٢١ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ،

١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧)

٥٦- المناوي : محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ،

الحدادي ، المناوي القاهري ، عاش في القاهرة ، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ .

(ص ٧)

٥٧- النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله : أمير

، خطيب ، شاعر من أجلاء الصحابة من أهل المدينة توفي سنة ٦٥هـ .

(ص ٢١٠)

٥٨- أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة : صحابي

كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له ، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية

وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأسلم سنة ٧هـ وكان أكثر مقامة بالمدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ .

(ص ١١٠ ، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٢٩ ،

٢٣٦)

٥٩- وهبة مصطفى الزحيلي : ولد في دير عطية من نواحي دمشق الفيحاء سنة ١٩٣٢م ، له مؤلفات وبحوث تقارب الثلاثين ، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق . (ص ٨)

٦٠- يوسف القرضاوي : ولد عام ١٩٢٦م ، ونشأ في مصر ، وأتم تعليمه في الأزهر الشريف فحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣م ، وعلى إجازة التدريس عام ١٩٥٤م ، كما حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣م . عمل بعد تخرجه في وظائف متعددة بالأوقاف المصرية والأزهر وقطر والجزائر ، عضو في عدة مجامع ومؤسسات علمية ودعوية .

(ص ١١١ ، ١١٥)

ثالثاً : المصادر والمراجع

* القرآن الكريم :

١- إتحاف المسلمين بما تيسر من أحكام الدين ، علم ودليل ، تأليف عبد العزيز بن محمد السلطان ، ط ٤ (١٤٠٩هـ) .

٢- الإتقان في علوم القرآن ، لشيخ الإسلام : وجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي ، ط ٤ (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ، دار المعرفة، بيروت- لبنان .

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، ط ٣ ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩ .

٤- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، ط ١٣ (١٩٩٨) ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان .

- ٥- الأم ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق وتخريج : الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، ط ١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ، دار الوفاء .
- ٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، تأليف ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، ط ١ (٢٠٠١) ، دار صادر بيروت .
- ٧- البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معرض، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٨- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، تأليف الإمام علاء الدين أبي بكر مسعود الكاساني الحنفي ، الملقب بملك العلماء ، ط ١ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ، طبعة جديدة منقحة مصححة ؛ بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٩- بصائر ذوي التمييز ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق الأستاذ عبد الحليم الطحاوي ، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) ، القاهرة.
- ١٠- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت- لبنان .
- ١١- تفسير أبي السعود ، أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، للقاضي أبي السعود ، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، ط ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ١٢- تفسير التحرير والتنوير ، تأليف الشيخ : محمد الطاهر بن عاشور ، (١٩٩٧م) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- ١٣- تفسير الجلالين ، للإمامين : جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي ، وجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي ، وبهامشه أسباب النزول للسيوطي ، راجعه وأعداه للنشر : د. محمد محمد تامر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) .
- ١٤- تفسير القرآن العظيم ، للإمام المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنا ، شركة دار القبلة ، مؤسسة علوم القرآن ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ج ٣ ، ص ١٢٠١ .

- ١٥- تفسير القرآن الكريم ، د. عبد الله شحاتة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ١٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق - سوريا ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ١٧- التفسير الواضح للدكتور محمد محمود حجازي ، ط ٤ (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ، مطبعة الاستقلال الكبرى .
- ١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، تأليف لجنة من العلماء ، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط ١ (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) .
- ١٩- تفسير النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تأليف الإمام عبد الله بن أحمد النسفي ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعّار ، ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- ٢٠- تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، للإمام الحافظ المؤرخ ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران المتوفى سنة ١٣٤٦هـ ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .
- ٢١- تهذيب سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م ، أشرف على تحقيق الكتاب شعيب الأرنؤوط ، هذبه أحمد فايز الحمص ، راجعه عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ٢٢- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ، حفظه وضبط نصه وعلق عليه : د. بشار عواد معروف ، أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة ط ٤ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٢٣- تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، مراجعة الأستاذ محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٤- التوقيف على مهمات التعريف ، تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، دار الفكر ، دمشق - سوريا .

٢٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) ، مكتبة الصفاء .

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ط ١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، لأبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري ، القرطبي (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٢٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، مكتبة دار التراث - ٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة .

٢٩- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .

٣٠- سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

٣١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للمؤرخ الفقيه الأديب ؛ أبي الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد المعروف بابن العماد ، المتوفى سنة ١٠٨٩م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣٢- الصحوة الإسلامية ، بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ، دراسة في فقه الاختلاف في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية ، الدكتور يوسف القرضاوي .

- ٣٣- صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ، بيت الأفكار الدولية للنشر .
- ٣٤- صحيح سنن الترمذي ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- ٣٥- صحيح مسلم ، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، القشيري النيسابوري ، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع .
- ٣٦- صحيح مسلم بشرح الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ٣٧- فتح القدير للشوكاني ، الجامع بين فني الرواية والدراية ، تأليف محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٣٨- الفقه الإسلامي وأدلته ، تأليف الدكتور : وهبة مصطفى الزحيلي ، ط٤ معدلة ، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ، دار الفكر المعاصر .
- ٣٩- فقه الزكاة ، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها ؛ في ضوء القرآن والسنة ، الدكتور يوسف القرضاوي ، ط٢١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ، الناشر مكتبة وهبة ، ١٤ شارع الجمهورية ، عابدين .
- ٤٠- في ظلال القرآن بقلم سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، دار الشروق، ط١٣ .
- ٤١- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت ، شارع سوريا .
- ٤٢- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً ، سعدي أبو جيب ، ط٢ (١٤٠٠هـ- - ١٩٨٨م) ، دار الفكر ، دمشق سورية.
- ٤٣- كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، تأليف عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

٤٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جار الله ، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٤٥ - كفاية الأختار في حل غاية الاختصار ، تأليف الإمام تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الحصري الدمشقي الشافعي ، ط ٢ (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٤٦ - الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٤٧ - لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت .

٤٨ - مباحث في علوم القرآن ، لمناع خليل القطان ، ط ٩ ، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، مؤسسة الرسالة .

٤٩ - المبسوط ، لشمس الأئمة أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي ، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، دار المعرفة بيروت - لبنان .

٥٠ - المحيط في اللغة ، كافي الكفاة ، صاحب إسماعيل بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن الياسين ، ط ١ (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤م) ، عالم الكتب ، بيروت ، المزركة بناية الإمام .

٥١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف العالم العلامة : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، صححه على النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية : مصطفى السقا ، دار الفكر .

٥٢ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود ، الفراء البغوي ، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٥٣ - معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمنيا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

- ٥٤- معجم الفروق اللغوية ، للإمام الأديب اللغوي : أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، حققه وعلق عليه : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، مدينة نصر - القاهرة .
- ٥٥- معجم لغة الفقهاء ، وضعه أ.د محمد رواس قلعه جي ، د حامد صادق قنبيبي ، ط ١ (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، دار النفائس .
- ٥٦- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١ (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ، دار الجيل ، بيروت .
- ٥٧- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد على النجار ، المكتبة العلمية ، طهران .
- ٥٨- المغني ، لابن قدامة ، تأليف أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .
- ٥٩- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب على متن المنهاج ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ٦٠- مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف أبو القاسم ، الحسين بن محمد بن المفضل ، العلامة الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، ط ٣ (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت .
- ٦١- من أعلام الزيتونة ، شيخ الجامع الأعظم ، محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وأثاره ، تأليف د. بلقاسم الغالي ، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- ٦٢- المهذب في فقه الإمام الشافعي ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، تحقيق وتعليق وشرح وبيان الراجح من المذاهب ، بقلم الدكتور محمد الزحيلي الأستاذ بكلية الشريعة جامعة دمشق ، ط ٢ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .
- ٦٣- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت ، ط ٣ (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) ، طباعة ذات السلاسل - الكويت .

٦٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، المكتبة العلمية - بيروت .

خامساً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ح	المقدمة
الباب الأول : الإنفاق ونظائره تعريفاً وألفاظاً	
٢	الفصل الأول مفهوم الإنفاق ومشتقاته في القرآن الكريم
٣	المبحث الأول : تعريف الإنفاق في اللغة والاصطلاح.....
٣	أولاً : الإنفاق في اللغة
٧	ثانياً : الإنفاق في الاصطلاح
١٢	المبحث الثاني : مشتقات الإنفاق الواردة في القرآن.....
١٢	أولاً : التعبير بصيغ الفعل
١٥	ثانياً : التعبير بصيغ الاسم
١٧	الفصل الثاني نظائر الإنفاق الواردة في القرآن
١٨	المبحث الأول : نظائر الإنفاق؛ المعنى والاشتقاق
٢٦	المبحث الثاني: العلاقة بين الإنفاق و نظائره
الباب الثاني : الإنفاق (غياته - أصنافه - مراتبه)	

٣٠	الفصل الأول المنفق و غايته
٣١	المبحث الأول : المنفق
٣١	المطلب الأول : إنفاق الخالق
٣٢	١ - التكريم الإلهي لأدم وبنيه
٣٣	٢ - البسط الإلهي للرزق
٣٥	٣ - العطاء الإلهي للأنبياء خاصة وللخلق عامة
٣٨	المطلب الثاني : إنفاق المخلوق
٤١	المبحث الثاني : غايات الإنفاق
٤٢	المطلب الأول : الإنفاق في مصالح الدنيا
٤٢	١ - الإنفاق على النفس والأهل والضيف
٤٥	٢ - الإنفاق على المصالح الخاصة
٤٨	٣ - الإنفاق في المصالح العامة
٥١	المطلب الثاني : الإنفاق من أجل المبادئ الفاضلة
٥٤	المطلب الثالث : الإنفاق من أجل المبادئ الضالة
٥٩	الفصل الثاني أصناف الإنفاق وأحكامه
٦٠	توطئة
٦٠	المبحث الأول : الإنفاق المطلق
٦٢	أولاً: صيغة " من خير "
٦٣	ثانياً: صيغة " من شيء "
٦٦	ثالثاً: الإنفاق من الرزق
٦٩	رابعاً: صيغ مطلقة غير محددة
٧٢	المبحث الثاني : إنفاق المال
٧٤	المطلب الأول : إيتاء الزكاة
٧٤	أولاً : آيات الزكاة في القرآن المكي
٧٥	الأول : التعبير عن أداء الزكاة بصيغ الإيتاء
٨٠	الثاني : التعبير عن أداء الزكاة بصيغ التوصية ، والفعل ، والأمر

٨٢	الثالث : التعبير بالزكاة عن الصلاح و الطهر.....
٨٣	ثانيا : آيات الزكاة في القرآن المدني
٨٤	المجموعة الأولى : آيات الزكاة خلال الحديث عن أهل الكتاب
٨٤	١ - الحديث عن شريعة أهل الكتاب عموماً
٨٥	٢ - الحديث عن شريعة بني إسرائيل السابقة
٨٥	٣ - الحديث عن أهل الكتاب الذين شهدوا النبي ﷺ
٨٦	المجموعة الثانية : الحديث عن العهد المكي في القرآن المدني
٨٧	المجموعة الثالثة : الزكاة خلال الحديث عن الموقف من المشركين
٨٨	المجموعة الرابعة : الزكاة خلال الحديث عن صفات المؤمنين
٩٣	المجموعة الخامسة : الأمر المباشر بأداء الزكاة
٩٥	المطلب الثاني : أداء الحقوق في أموال اليتامى ومهور النساء
٩٥	أولاً: إيتاء أموال اليتامى
٩٦	ثانياً: إيتاء الصداق للنساء
٩٨	المبحث الثالث : بدائل الإنفاق.....
٩٨	المطلب الأول : إنفاق النفس
١٠١	المطلب الثاني : إنفاق الوقت
١٠٢	أولاً : قصر عمر الدنيا.....
١٠٣	ثانياً : قيام الساعة بغتة
١٠٣	ثالثاً : مواقف الندم على ضياع الوقت
١٠٥	المطلب الثالث : إنفاق الجهد
١٠٩	المبحث الرابع : أحكام الإنفاق
١٠٩	الإنفاق الواجب
١٠٩	أولاً : زكاة المال
١١٤	ثانياً: زكاة الفطر
١١٤	ثالثاً: النفقات الواجبة
١١٥	الإنفاق المنسوب
١١٦	الإنفاق المكروه
١١٦	الإنفاق المحرم

١١٧	الفصل الثالث حالات الإنفاق
١١٨	المبحث الأول : إنفاق السر والعلن
١١٨	أولاً : بيان فضل الصدقة في السر والعلن
١٢١	ثانياً: بيان التفاضل بين نفقة السر ونفقة العنن
١٢٢	المبحث الثاني : إنفاق السراء والضراء
١٢٧	المبحث الثالث : إنفاق الطيب والخبيث
١٣١	المبحث الرابع : أولويات الإنفاق
١٣١	أولاً : السؤال عن جهة الإنفاق.....
١٣٢	ثانياً: السؤال عن مقدار الإنفاق.....
الباب الثالث : منهج القرآن الكريم في الحث على الإنفاق	
١٣٦	الفصل الأول الأمر بالإنفاق
١٣٧	المبحث الأول : الأمر المباشر بالإنفاق
١٤٥	المبحث الثاني : التحذير من عدم الإنفاق
١٥٠	المبحث الثالث : الدعوة إلى المبادرة في الإنفاق
١٥٣	المبحث الرابع : عدم وجود المانع من الإنفاق
١٦٥	الفصل الثاني فضائل الإنفاق
١٦٦	توطئه
١٦٧	المبحث الأول : الإنفاق يبارك في الأصل
١٧٢	المبحث الثاني : الإنفاق يعود بالخير على الإنسان.....
١٧٤	المبحث الثالث : عدم ضياع ثواب الإنفاق
١٧٤	أولاً : إقرار تمام الوفاء بالإنفاق
١٧٤	ثانياً : ثبوت أجر الإنفاق عند الله.....
١٧٥	ثالثاً : توفر الاطمئنان على مصير النفقة
١٧٦	رابعاً : بيان التجارة الرباحة
١٧٨	المبحث الرابع : الإنفاق مظهر مميز للمسلمين

١٨١	الفصل الثالث
	الربط بين الإنفاق وقضايا الإيمان والعبادات
١٨٢	المبحث الأول : ارتباط الإنفاق بالإيمان
١٨٣	أولاً : بيان أوجه العلاقة بين الإيمان والإنفاق
١٨٦	ثانياً : بيان ثمرة العلاقة بين الإيمان والإنفاق
١٨٩	المبحث الثاني : ارتباط الإنفاق بالعبادات عموماً
١٨٩	أولاً : التصريح بلفظ العبادة
١٩٠	ثانياً : التصريح بأنماط متعددة من العبادات، والأعمال الصالحة
١٩٤	ثالثاً : ارتباط الإنفاق بأعمال صالحة محددة
١٩٧	رابعاً : الصدقة تجبر العبادة
١٩٧	خامساً : التعبير عن الإنفاق
١٩٨	المبحث الثالث : ارتباط الإنفاق بالصلاة خصوصاً
١٩٨	أولاً : بيان مواضع الاقتران بين الصلاة والإنفاق في القرآن
٢٠١	ثانياً: بيان أوجه العلاقة بين الصلاة والإنفاق في القرآن
٢٠٣	ثالثاً: بيان ثمرة العلاقة بين الصلاة والإنفاق في القرآن
٢٠٨	الفصل الرابع
	الحث على الإنفاق بضرب الأمثال وذكر القصص
٢٠٩	توطئة
٢١١	المبحث الأول : الحث على الإنفاق بضرب الأمثال
٢٢٠	المبحث الثاني : الحث على الإنفاق بذكر القصص
٢٢٠	أولاً: الآيات
٢٢٠	ثانياً: عرض القصة
٢٢١	ثالثاً : العبرة العامة
٢٢٢	رابعاً : دور القصة في إبراز المعنى
٢٢٣	خامساً : عبر وعظات أخرى
	الباب الرابع : الإنفاق في ميزان الله ، وأثر ذلك على السلوك الإنساني
٢٢٦	الفصل الأول
	الإنفاق بين القبول والرد

٢٢٧	المبحث الأول : شروط قبول الإنفاق
٢٢٧	أولاً: ابتغاء وجه الله
٢٢٩	ثانياً: التواضع
٢٣١	المبحث الثاني : أشكال من الإنفاق المردود
٢٣١	١ - نفقة الرياء التي لا يقصد بها وجه الله
٢٣١	٢ - النفقة المتنوعة بالمن والأذى
٢٣٣	٣ - نفقات الكفار
٢٣٥	الفصل الثاني الإنفاق بين الرغبة والإكراه
٢٣٦	المبحث الأول : الرغبة في الإنفاق مع عدم القدرة عليه
٢٣٩	المبحث الثاني : الإكراه على الإنفاق
٢٤١	المبحث الثالث : الاعتدال في الإنفاق
٢٤٤	الفصل الثالث أثر الإنفاق على الإنسان والمجتمع
٢٤٥	المبحث الأول : أثر الإنفاق على المنفق
٢٤٩	المبحث الثاني : أثر الإنفاق على المجتمع
٢٤٩	أولاً: دور الإنفاق في إنشاء المجتمع المسلم وقيامه أساساً
٢٥١	ثانياً: دور الإنفاق في تطوير المجتمع المسلم والرقى به
٢٥٣	ثالثاً: دور الإنفاق في بقاء المجتمع المسلم واستمرار وجوده
٢٥٣	١ - دور الإنفاق في الحرب الإعلامية
٢٥٤	٢ - دور الإنفاق في إعداد الجيوش وخوض المعارك
٢٥٤	٣ - دور الإنفاق في إرهاب الأعداء
٢٥٦	الخاتمة
٢٦٥	أولاً : فهرس الآيات القرآنية.....
٢٧٩	ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....
٢٨١	ثالثاً : فهرس الأعلام
٢٨٩	رابعاً : المصادر والمراجع
٢٩٦	خامساً : فهرس الموضوعات.....

ملخص الرسالة

تتعلق هذه الدراسة كما هو واضح من عنوانها بموضوع الإنفاق ونظائره في القرآن الكريم ، وتمت معالجة ذلك من خلال محاور أربعة:

أولاً : بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للإنفاق ونظائره ، ثم توضيح العلاقة التي تربط بين هذه المعاني ، وذلك بمثابة مدخل للموضوع .

ثانياً : عرض لتصنيفات متعلقة بالإنفاق ، لإعطاء صورة شاملة للموضوع ، وتمثل هذا العرض في بيان غايات الإنفاق ، وأصنافه ، وأحكامه ، وحالاته ، ففي جانب الغايات بينت الدراسة أن العطاء يقع من الخالق سبحانه ، ويقع من المخلوق ، وأن المخلوق له غايات يرجوها من إنفاقه ، تسمو حيناً بسمو الهدف ، وتصغر حيناً آخر ، وفي جانب الأصناف التي ينفق منها ؛ خصت الدراسة إنفاق المال والنفس والجهد والوقت ، وتعرضت في مبحث خاص لبيان بعض أحكام الإنفاق العامة ، أما في الجانب الأخير فاقترصر الأمر على بيان أولويات الإنفاق وحالاته المختلفة ، وترددها بين السر والعلن وبين الطيب والخبيث وبين السراء والضراء .

ثالثاً : عرض تفصيلي لمنهج القرآن الكريم في الحث على الإنفاق ، وركزت الدراسة على أربعة أساليب استخدمها القرآن في الحث على الإنفاق ، أولها : الأمر بالإنفاق سواء بالدعوة المباشرة إلى الإنفاق والمبادرة فيه أو بالتحذير من التهاون فيه ، والثاني : بيان فضائل الإنفاق ، ونتائجه في الدنيا والآخرة ، أما الأسلوب الثالث : فحث على الإنفاق ببيان علاقته بالإيمان والعبادات وخصوصاً الصلاة ، في حين اقتصر الأسلوب الرابع على دراسة لبعض الأمثال ، وسرد للقصص ، وبيان دورها في إعداد النفس السوية وتربيتها على البذل والعطاء .

رابعاً : بيان أثر الإنفاق على الفرد والمجتمع ، وبينت الدراسة خلال هذا المحور ؛ شروط الإنفاق المقبول عند الله ، ودعت إلى الاعتدال فيه ، كما برهنت

على تأثير الإنفاق على الفرد والمجتمع ، ودوره في الرقي بهما ، والمحافظة على وجودهما .

ثم قدم الباحث النتائج التي توصل إليها والتوصيات التي خرج بها.